التُّحْفَةُ الْمَهْدِيَّةُ

شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

شرح فضيلة الشيخ:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

كان الله له في الدنيا والآخرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةِ شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّة

الْحَمْدَ لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد ذكرت في غير موضع شيئًا من فضل القرآن وأهمية حفظه ومعرفة معانيه، ودراسة تفسيره كما ذكرت ذلك في مقدمة كتابي فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلىٰ التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد.

وفي هذا الموطن أذكر شيئًا لبيان أهمية السنة النبوية فهي المصدر الثاني للتشريع، وهي وحي الله الذي أوحاه إلىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والدليل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٤]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [الحشر:٧]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾ [النساء:٦٥]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ ﴾

[النور:٦٣]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[التغابن:١٢]، ويقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، في آيات كثيرات، فحث الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الأخذ بكتابه كما حث علىٰ الأخذ بسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، ومعلومٌ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، هو الذي بيّن ما شرع الله عَزَّوَجَلَّ للأمة، فأوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إليه بالتوحيد، فبينه ودعا إليه، وكان يسير في الأسواق فيقول: «قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا»[(١)]، وإذا سمع من أحدٍ، ما يخالف التوحيد نصح وبين، فلما سمع عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، يُقسِم بأبيه قال: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»[(٢)]، وقال: «لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»[(٣)].

وبيّن الصلاة فأوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إليه خمسين صلاة، ثم إنه راجع ربه حتىٰ قال الله عَزَّوَجَلَّ: «هِيَ خَمْسٌ ، وَهِيَ خَمْسُونَ، "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ"»[(٤)]، ثم بيّن صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ للأمة مواقيت الصلاة، وكيفية الصلاة، والطهارة، وبيّن ما يتعلق بأحكام الصيام، وأحكام الزكاة، وكل ما يتعلق بدين الإسلام، من الحلال، والحرام ولم يترك شيئًا للأمة فيه نفع إلا وبيّنه، كما في حديث عبد الله ابن عمر بن العاص عند الإمام مسلم قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٦٦٠٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٦٤٦)، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٨٣٦)، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

(٤) "الشريعة" للآجري، حديث رقم: (١٠٢٦)، عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»[(١)].

شاهدنا من هذا الحديث: أن الله عَزَّوَجَلَّ افترض علىٰ كل نبيٍ أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وأفضل من قام بهذا الأمر هو محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فما من خير إلا ودلنا عليه، وما من شر إلا وحذرنا منه.

ولقد خطب الصحابة رضوان الله عليهم يومًا من بعد الفجر، حتىٰ غروب الشمس، كما في حديث زيد ابن أخطب وجاء بنحوه عن عمر ابن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ" فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٤٤)، عن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٨٩٢)، عن عمرو بن أخطب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ولم يترك شيئًا إلا وآتانا علمًا منه: ففي "صحيح مسلم": عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ إِنِّي أَرَىٰ صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّىٰ يُعَلِّمَكُمُ الْخِرَاءَةَ، فَقَالَ: أَجَلْ "إِنَّهُ نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ، أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَنَهَىٰ عَنِ الرَّوْثِ وَالْعِظَامِ" وَقَالَ: «لَا يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ»[1]، وقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث العِرباض ابن سارية، وأبي الدرداء عند ابن ماجة وغيره: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ»، فشان السنه عظيم ومنزلتها رفيعة وهي البيان لمجمل القرآن.

وقد حذّر صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طوائف ترد سنته، فقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»، وفي رواية: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»، أوتيَّ الكتاب، وهو وحي الله عَزَّوَجَلَّ وكلا مه، وأوتيَّ السُنة وهي وحي الله عَزَّوَجَلَّ، فمن ظن أنه يستغني عن السنة، بالكتاب، فهو جاهلٌ مخطئ، ومن كان ذا علمٍ ورد ذلك فهو قرآني، والعلماء قد حكموا علىٰ القرآنيين بالكفر، والزندقة وذلك أن هذه الفرقة الضالة تزعم أن لا سُنة، وأن الناس يكتفون بالقرآن، فقيل لهم: يا أيها الجُهَالْ أين في القرآن أن الصلاة خمس صلوات في الْيَوْمَ والليلة؟ واين فيه عدد ركعات الصلوات؟ واين

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٢).

فيه عدد النوافل القبلية والبعدية؟ كل هذا إنما يؤخذ من سُنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريقته وعلمهم، وكيفية الوضوء، فأين في القرآن المضمضة والاستنشاق، وتخليل اللحية، وتخليل الأصابع والتثليث في غسل الوجه واليدين والرجلين؟ كل ذلك إنما يؤخذ، من سُنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهكذا **القول في الزكاة**؛ حيث أمر الله، لكن تحديد الأنصبة، كنصاب الذهب، والفضة، والإبل، والغنم، والبقر، والحنطة، والشعير، والزبيب، والتمر؟ كل ذلك من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذًا فينبغي للناس أن يعظموا سُنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها مفسرة للقرآن، ومبينة له، **حتىٰ قال يحيىٰ بن أبي كثيرة**: (وقاضيةٍ عليه)، فمن هذا الباب اعتنىٰ المسلمون قديمًا وحديثًا بسُنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحفظ الصحابة رضوان الله عليهم، حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولًا وفعلًا وصفة، وما تركوا شَيْئًا قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ديننا إلا وبلغوه، وحدثوا فيه من بعدهم، بل إن بعضهم كان يهتم بكتابة الحديث، كما صح عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، [أنه كان يكتب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كل ما يقول به، فأنكر عليه بعضهم، وقالوا: تعلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتكلم في الرضا، والغضب، فترك الكتابة فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما شأنك يا عبد الله قال: يا رسول الله زعموا أنك تتكلم بالرضا، والغضب قال: «اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ»].

وفي حديث بن عباس: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال يوم فتح مكة: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟».

وقال أَبُو شَاهٍ رَجُلٌ مِنْ الْيَمَنِ: يَا رَسُولَ اللهِ اكْتُبْ لِي قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اكْتُبُوا لأَبِي شَاهٍ»، متفق عليه.

وقد حثَّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ حفظ السنة فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث زيد بن ثابت: «نَضَّرَ اللهُ اِمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»، أخرجه أبو داود وغيره، فدعا له بنضارة الوجه في الدنيا والآخرة؛ لأنه علِمَ الحديث، وبلَّغه وكم من أُناسٍ، كان يأتي أحدهم من جنوب الجزيرة، أو من شمالها ويستمع إلىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإذا حفظ منه حديثًا، أو حديثين، أو ثلاثة، أو أربعة، رجع إلىٰ قومه مبلغًا لدين الله، فيستفيد الناس من حديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسُنته ولما كان عصر التابعين، بدأ العلماء بتدوين السنة وكتابتها فأُلِفَت المؤلفات، وصُنِفَت المصنفات، وكان أصح كتاب صُنِف في عهد الإمام مالك "مُوَطأ مالك" حتىٰ قال الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ: (**ما تحت أديمِ السماء أصح من مُوَطأ مالك**).

ثم تتابع العلماء علىٰ التصنيف والتأليف ومن أجل أولئك أصحاب الأمهات الست كأبي داود، والترمذي، والنسائي وابن ماجة، وامتنَّ الله عَزَّوَجَلَّ، علىٰ أهل الإسلام بإمامين جليليّن، وعالميّن، عظيميّن، وهما أبو عبد الله محمد

ابن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري فهذبا الحديث وأدرجا في كتابيّهما أصح الصحيح فكان أصح كتابٍ مصنَف هو "صحيح الإمام البخاري "ثم "صحيح الإمام مسلم" وفي بقية الأمهات الست من الحديث العظيم الصحيح، والحسن، ما ينفع الله عَزَّوَجَلَّ به الإسلام وأهله.

وقد صُنِفَ قبل ذلك مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذي يسمىٰ "بديوان السُنة" حيث جمع فيه آلاف الأحاديث النبوية، والسنن المروية وأُلِفَت المعاجم كمعاجم الطبراني، وأُلِفَت المسانيد كمسند البزار، وأُلِفَت الجوامع، وغير ذلك من الكتب فدُوِنَّت حياة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قولًا وفعلًا واعتقاد، وكما حفظ الله عَزَّوَجَلَّ القرآن، حفظ الله عَزَّوَجَلَّ السنة، فهذبَ علماء السنة الصحيح من الضعيف والمقبول، من المردود، ولا يزال الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ أن تقوم الساعة يبعث من يجدد لهذه الأمة دينها بين حينٍ، وآخر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[1].

فهذه مقدمة ذكرتها قبل الشروع في تدريس كتاب: "الأربعين النووية" وهو كتابٌ مختصر مفيد، وضعه الإمام أبو زكريا يحيىٰ بن شرف النووي رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ في اثنين وأربعين حديثًا، ثم أتمه ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ، بثمانية أحاديث وفيها جوامع كلِم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ قيل في بعض حديثها:

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٢٩١)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عُمْـدَةُ الـدِّينِ عنـدَنا كلمـاتٌ أربـعٌ مِـنْ كـلامِ خيـرِ البريَّـه
اتَّـقِ الشُّـبهَاتِ وازهَـدْ ودَعْ مـا لَـيسَ يَعْنِيـكَ واعمَلَـنَّ بِنيَّـه

وكان أصل هذا الكتاب أن ابن الصلاح عقد مجلسًا للاحاديث الجوامع التي يقال أن مدار الإسلام عليها، وما كان في معناها من الكلمات الوجيزة فاشتمل مجلسه علىٰ ستة وعشرين حديثًا، ثم أخذها النووي وزاد عليها ما ذكر.

وهذا الكتاب مع صغر حجمه قد تنافس في شرحه الشُّرَّح، وفي حفظه الحُفَاظ، وفي تدريسه المدرسون، وذلك لأهميته، ففيه أحاديث في العقيدة وأحاديث في الآداب، والأخلاق، وفي الترغيب، والترهيب، وفيه أحاديث في باب الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وغير ذلك فهو كتاب مختصر، جامع ومن أحسن شروحه شرح ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المسمىٰ: "بجامع العلوم والحِكَم" وهو اسم علىٰ مسماه ولفظًا يحمل معناه فهو شرح فيه آيات كثيرات وأحاديث جليلات، وآثار عن السلف متنوعات، فتمت الفائدة علىٰ هذا الكتاب المختصر.

فالنصيحة لمن استطاع أن يحفظه فليحفظ من أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا ما تعوّد الإنسان علىٰ حفظ الأحاديث وإذا به ينشرح صدره، ويذهب ضيقه، ويذهب ما يجد من الكربة التي يعاني منها المجتمع بسبب كثرة الذنوب، والفتن، لكن مع سماع كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزول هذا كله.

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا وإياكم بما قلنا، والحمد لله رب العالمين.

أمـــلاه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري

مسجد الصحابه: بالغيضة

وكان إملاء هذه المقدمة يوم: ١٠/محرم / عام ١٤٣٩هـ

تَرْجَمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِلنَّوَوِيِّ -رحمه الله-

اسمه: هو أبو زكريا يحيىٰ بن شرف الحزامي النووي المولد سنة (٦٣١).

نسبه: ينتسب إلىٰ نوىٰ منطقة في بلاد الشام من أعمال دمشق.

مذهبه: شافعي المذهب وهو مُحدّث وفقيه ولغوي، بل أحد أبرز فُقهاء الشافعية، بل يوصف بأنه محرِّر المذهب الشافعي ومهذّبه، ومنقّحه ومرتبه.

كتبه: له كتب نفيسة في الرقاق، والحديث، والفقه، والمصطلح، واللغة، والتراجم، **من أشهرها**:

- **رياض الصالحين.**
- **الأربعون النووية.**
- **منهاج الطالبين.**
- **روضة الطالبين.**
- **تهذيب الأسماء واللغات.**
- **المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج.**
- **المجموع شرح المهذب، ولم يتمه.**
- **كتاب الأذكار.**

وغيرها كثير والله المستعان.

وفاته: توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرابع والعشرين من رجب سنة (٦٧٦) في عمر خمسة وأربعين سنة، وقد أثرىٰ المكتبة الإسلامية بكثير من الكتب النافعة.

- تنبيه: النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منحرف في باب الصفات يسير في أكثرها علىٰ طريقة المفوضة تارة، وعلىٰ طريق الأشعرية تارات؛ وهكذا في باب القدر ربما رجح طريق الأشاعرة القائلين بالكسب والموافقين لطريق الجبرية في تجويز تعذيب الله للمطيعين مخالفة لمنهج السلف الذي يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت:٤٦]، وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩]، وهكذا يرىٰ التبرك بذوات الصالحين غير رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه فالجات والله المستعان، فيتعين علىٰ من قرأ في كتبه أن يكون علىٰ حذر في هذه الأبواب، والله المستعان.

❁ ❁ ❁

مُقَدِّمَة العلامَة النَّوَوِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرَضين، مدبر الخلائق أجمعين، باعث الرسل صلواته الله وسلامه عليهم، من المكلفين لهدايتهم.

أقول: المكلفون هم الجن والإنس قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، وبيان شرائع الدين بالدلائل القطعية، وواضحات البراهين، أحمده علىٰ جميع نعمه، وأسأله المزيدَ من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، الكريم الغفار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، أفضل المخلوقين، المكرّم بالقرآن، العزيز المعجزة، المستمرة علىٰ تعاقب السنين، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين، المخصوص بجوامع الكَلِم، وسماحة الدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ سائر النبيين.

❁ أقول: المجيء بالشهادتين، عند خطبة الحاجة، سواءٌ في الجُمَع، أو الكتابة، أو الدروس، من الأمور التي رغبَ فيها نبينا ﷺ حتىٰ قال: «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٨٤١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فينبغي للإنسان ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، أن يأتي بالشهادتين في خُطَبِه، ومحاضراته، وكتاباته]، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ سائر النبيين والمرسلين، وآل كلٍ وسائر الصالحين.

❁ أقول: [الأصل أن الصلاة خاصة بالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وأما غير النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلا يُصلَىٰ عليه مفردا، فلا تقول أبو بكر صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أو علي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإنما تُصَلي علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثم تضيف إليه ما شئت من أصحابه وآله].

قال: أما بعدُ: فقد رُوِّينا عن: (علي ابن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)، و(عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)، و(معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)، و(أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، -اسمه: عويمِر-)، و(ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -وهو عبدالله بن عمر-)، و(ابن عباس، -هو عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ-)، و(أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)، و(أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -واختُلِفَ في اسم أبي هريرة، إلىٰ ثلاثين اسمًا وأصحها أنه عبدالرحمن بن صخر-)، و(أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -هو: سعد بن مالك الخدري-) رضي الله تعالىٰ عنهم، من طرق كثيرات، بروايات متنوعات: أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: «مَنْ حَفِظَ على أُمَّتي أَربعينَ حديثًا من أمْرِ دينِها بَعَثَهُ الله يومَ القيامةِ في زُمْرةِ الفُقَهاءِ والعُلماءِ»، وفي روايةٍ: «بَعَثَهُ اللهُ تعالى فَقِيهًا عالمًا»[1].

(١) أخرجه ابن عساكر في "معجمه"، حديث رقم: (١٢٢٢)، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

❁ أقول: هذا الحديث لا يصح من جميع هذه الطرق، بل هو حديث (ضعيف جدًا)، وحفظ الأحاديث قد ثبت الترغيب فيها، كما في حديث زيد بن ثابت: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»(١)، ومما يدل علىٰ أهمية حفظ الحديث قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوَفْدَ عَبْدِ قَيْسٍ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»(٢)، كما في حديث عبد الله ابن عباس في "الصحيحين".

وقال أبو هريرة: (ولا أعلم أحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر حديثًا مني)، أي: ما كان من عبدالله ابن عمر فإنه كان يحفظ ولا أحف.

وفي رواية أبي الدَّرْداءِ: «وكُنتُ له يومَ القيامةِ شافعاً وشَهيداً»، وفي روايةِ ابنِ مَسعودٍ: «قيلَ له: ادخُلْ مِن أيِّ أبوابِ الجنةِ شِئتَ»، وفي رواية ابن عُمَر رضي الله عنهم جميعا: «كُتِبَ في زُمْرةِ العُلماءِ وحُشرَ في زُمرةَ الشهَداءِ».

واتَّفَق الحُفَّاظُ علىٰ أنَّه حديثٌ ضعيفٌ وإن كثُرَتْ طُرُقُه.

فالعلماء جميعًا: علىٰ أن هذا الحديث ضعيف لا يثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن بعض العلماء قد يقول ما كان في فضائِلِ الأعمالِ يُتَجاوَز فيه، والصحيح: أنه لا يُحَدَّث إلا بما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فان حدث به فمع ذكر حاله، ولا يُعمَل إلا بما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواءً كان ذلك في

---

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم: (٢٦٥٧)، عن عبد الله بن مسعود عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٠٢٠)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاء بنحوه في الصحيحين".

فضائل الأعمال أو في غيرها، من الأحكام فكله، من الدين، فلا تأتِ بذكرٍ لم يثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول هذا من فضائل الأعمال فما جاءنا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فيه غُنْية وكفاية، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١]، يكفي كتاب الله، وتكفي سُنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويا ليت أنَّا نعمل بكتاب الله وبما ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يُحتاج إلىٰ الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ لأنها لو كانت من الدين لحفظت كما حفظ غيرها؛ ولأن العمل بها يلزم منه الاستدراك علىٰ الدين).

قال: وقد صنف العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في هذا الباب ما لا يحصىٰ من المصنفات، فأول من علمته صنف فيه عبد الله ابن المبارك، أبو عبد الرحمن إمام في الحديث ثم محمد بن أسلم الطوسي العالم الرباني، ثم الحسن بن سفيان النسوي، وأبو بكر الآجُرّي، [محمد بن حسين الآجُرّي، صاحب الشريعة]، وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهاني، والدارقطني، والحاكم، وأبو نُعَيْم، وأبو عبد الرحمن السُلَمي [شيخ البيهقي]، وأبو سعد الماليني، وأبو عثمان الصابوني، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وأبو بكرٍ البيهقي، [أحمد بن الحسين]، وخلائق لا يُحصَوّن من المتقدمين، والمتأخرين، وقد استخرتُ الله تعالىٰ، في جمع أربعين حديثًا اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفَّاض الإسلام، وقد اتفق العلماء علىٰ جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، [بل

الخلاف كبير في هذه المسألة]، ومع هذا فليس اعتمادي علىٰ هذا الحديث بل علىٰ قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الأحاديث الصحيحة: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنكُمُ الغَائِبَ»، [يعني أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لأصحابه: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ»، فإذا لم تحفظ الحديث كيف تُبلِغ؟ ففي هذا دليل علىٰ حفظ الحديث، لأن الذي يُبَلِغ هو الذي يحفظ لقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «نَضَّرَ اللهُ اِمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»، ثم من العلماء من جمع الأربعين، في أصول الدين، (أي: في العقيدة)، وبعضهم في الفروع: (**أي في الأحكام**)، [وتقسيم الدين إلىٰ أصول، وفروع، تقسيم مبتَدَع، ذكر ذلك شيخ الإسلام وغير واحد من أهل العلم؛ لأن الدين كله من الله والذي يقسِّمَ الدين إلىٰ أصل، وفرع، ما عنده ضابط يسير عليه، يقول الأصل: هي أركان الإيمان، يُقال له: وأركان الإسلام أليست أصولًا؟ فيقول الأصل ما كان من أعمال القلوب، فيُقال والصلاة أليست أصلًا؟.

فالشاهد: أنهم لم يأتوا بضابط فالدين كله من الله، منه الواجبات، ومنه المستحبات، ومنه الأركان، ومنه المندوبات وقد بينت ما في هذه الاصطلاح في كتاب معجم المصطلحات العصرية وأثارها علىٰ الشريعة الاسلامية وهو مطبوع والحمد الله.

قال: وبعضهم في الجهاد -أي وألّف بعض العلماء في الجهاد أربعين حديثًا- : وبعضهم في الزهد، وبعضهم في الآداب، وبعضهم في الخُطَب، وكلها مقاصد صالحة، رضي الله عن قاصديها، وقد رأيت جمع أربعين حديثًا أهم من هذا

كله، وهي أربعون حديثًا مشتملة علىٰ جميع ذلك، -يعني في العقيدة والأحكام والخُطَب، والمواعظ، والآداب-، وكل حديثٍ منها، قاعدة عظيمة من قواعد الدين [يعني: كل حديث قاعدة عظيمة وإن تكلمت علىٰ باب النية، والإخلاص فحديث الأعمال بالنيات قاعدة في هذا الباب، إن تكلمت علىٰ باب المتابعة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحديث: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»[1]، وإن تكلمت في الزهد فحديث: « ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»[2]، وإن تكلمت في باب، الحلال، والحرام والمشتبهات، فحديث الحلال بيّن والحرام بيّن، و كل حديث يُعتبَر، حجة وعُمّدة وقاعدة، في بابه]، قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام، أو ثلثه، أو نحو ذلك، ثم ألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيح.

(وقد يُخالَف في بعض الأحاديث؛ لأنه اعتمد علىٰ تصحيح أبي داوود رَحِمَهُ اللَّهُ، وإلا فالأصل أن أغلب الأربعين صحيحة، محتجٌ بها علىٰ ما يأتي ببيانه في موطنه إن شاء الله تعالىٰ)، ومعظمها في صحيحيّ البخاري ومسلم.

❁ أقول: البخاري هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري الجُعفِي المتوفي سنة (٢٥٦)، كتابه أصح كتاب مُصَنّف، وإن شئت أن تقول أصح

---

(١) "صحيح البخاري" حديث رقم: (٢٦٩٧)، و"صحيح مسلم" حديث رقم: (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤١٠٢)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كتاب بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه أدخل فيه أصح الصحيح، ثم يليه كتاب الإمام مسلم وهو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفي سنه (٢٠٤) وأذكرها محذوفة الأسانيد، ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها، إن شاء الله تعالىٰ.

❁ أقول: ويضاف إلىٰ ذلك أن اكثيرًا من المتأخرين لا يهتمون بالأسانيد بينما كان المتقدمون، تعجبهم الأسانيد، حتىٰ قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (لولا الإسناد لقال من شاء بما شاء)، **وقال ابن سيرين**: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذوا دينكم)، قال: (ثم أُتبِعُها ببابٍ في ضبط خفي ألفاظها إما ضبط شكل وإما ضبط معنىٰ، وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث، لما اشتملت عليه من المهمات، واحتوت عليه من التنبيه علىٰ جميع الطاعات، وذلك ظاهر لمن تدبره، وعليه اعتمادي وإليه تفويضي، واستنادي، وله الحمد والنعمة، وبه التوفيق والعصمة.

❁ أقول: هذه المقدمة النفيسة، ذكرها العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ مبينًا أهمية هذا الكتاب، الذي لا يهتم به كثيرٌ من طلاب العلم فضلًا عن غيرهم من العوام، وهو كتاب صغير الحجم يمكن أن يُخبأ في المخبأ، ويُحمَل في السفر، والحضر، فلو أكثر الإنسان من مطالعته ورسخ في ذهنه، ثم أضاف إليه ما يحتاج إلىٰ إضافة من شرحٍ، أو توضيحٍ، أو بيان، لكان قد حصل علىٰ خيرٍ عظيم.

بل إن من أتاه الله عَزَّوَجَلَّ علمًا، يستطيع أن يخطب من هذا الكتاب أربعين خطبة، وربما أكثر وربما يُخرِج منه أربعين مصنفًا؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «بعثتُ بِجوامعِ الكَلِم»، وهذا مما اختصَّ به النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ بقية الأنبياء والمرسلين، وجوامع الكَلِم هي الكلمة القصيرة التي تدل علىٰ معاني كثيرة، وأضرب لكم مثالًا حديث: «كُلْ مَعْرُوفٍ صَدَقَة»، أخرجه البخاري عن حذيفة، وأخرجه مسلم عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعًا، وهذه الثلاثة الكلمات لو تأملتها، يدخل تحتها ما لا يُحصىٰ من الأعمال "فكل" من ألفاظ العموم، ومعروف نكرة في سياق الاثبات فتفيد العموم أيضًا والمعروف كل ما وافق الكتاب والسنة الصحيحة، فكل ما وافق الكتاب والسنة فهو معروف ففعله صدقة، فإن تكلمتَ عن (**لا إله إلا الله**) فهي من المعروف العظيم والحق الواجب، وإن تكلمتَ عن متابعة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهو من المعروف، وإن تكلمتَ عن الصلاة وأحكامها فهو من المعروف، والزكاة وأحكامها وآدابها، والصوم، والحج، وصلة الأرحام، والإحسان إلىٰ الجيران، وبر الوالدين، وصدق الحديث، وحسن الخلق، والحِلم، والأناة، والرفق كله عن المعروف.

ولهذا كم تجد من الكتب الكثيرة، التي تشرح أحاديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وربما تجد مجلدًا في شرح حديث، من أحاديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأن أحاديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قائمة علىٰ جوامع الْكَلِم، وكذلك كتاب الله العظيم الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[فصلت:٤٢] الآية

يمكن أن تفسر في مجلد، وفيها من الآداب والأحكام ما لا يُحصىٰ، وانظر إلىٰ ما نقله ابن القيم عن غيره من العلماء: [إنَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْزَلَ، مِائَةً وَأَرْبَعَةَ كِتَابٍ، جَمَع علوم هذه الْكُتُب في ثلاثة: التَّوْرَاةَ، وَالإِنْجِيلَ، والقُرآنْ، ثُمَّ جَمَع عُلُومَها فِي الْقُرْآنِ، ثُمَّ جَمَع عُلُومَها في الْمُفَصَّلِ، ثُمَّ جَمَع عُلُومَ المُفَصَّل في الفاتْحَة، ثم في: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، فمدار الأمر، والنهي، والفعل، والترك، قائمٌ علىٰ تحقيق، هذه الآية إِيَّاكَ نَعْبُدُ إخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ والعبادة، قولية، وفعلية، وتَركِية، ومالية، وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ الاعتماد، والتوكل، والإنابة والرجوع، والركون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ]، فكلام الله، وكلام رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيهما الخير والبركة، ولهذا تجد أن أهل السنة والجماعة مُيّزوا، عن غيرهم بقلة الكلام، أي أنهم يذكرون، كلام الله، وكلام رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أكثر من الآراء، وأكثر من الفلسفات، وأكثر من غيرها، فيجعل الله فيها بركة؛ لأن ما كان من عند الله تعالىٰ ففيه بركة، كما قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص:٢٩] وبالله التوفيق.

الحديث الأول

«إنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجرَتُهُ إِلى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ): وهُوَ عُمَر بْنَ الْخَطَّابِ أبو حفصٍ، أميرِ المؤمنينَ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وثاني الخلفاء الراشدين، هداه الله عَزَّوَجَلَّ استجابةً لدعوة مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللَّهِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١)، ومسلم حديث رقم: (١٩٠٧)، وأبي داود حديث رقم: (٢٢٠١)، وابن ماجه حديث رقم: (٤٢٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٦٨١)، وأحمد حديث رقم: (٥٦٩٦)، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

❁ وفضائله كثيرة أشهر من أن تُذكَر وأكثر من أن تُحصَر، ترجم له الذهبي في كتاب: (**نِعْم السَمَر علىٰ سيرة عُمَر**)، وافق القرآن في قريب من أربعة عشر موطنًا، ذكر ذلك الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- **منها**: أنه قال يا رسول الله: حَجِب نسائك، فأنزل الله آية الحجاب، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾[الأحزاب:٥٩].

- **ومنها**: أنه قال يا رسول الله: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلىٰ، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾[البقرة:١٢٥]

- **ومنها**: أنه قال يا رسول الله: لا تأخذ الفدية من أسارىٰ بدر، وكان رأيه أن يُقتَلوا، فمال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أخذ الفدية، وكانت مشورة أبي بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[الأنفال:٦٧].

- **ومنها**: ولمَّا أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة:٨٠]، أراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يصلي علىٰ عبد الله ابن أُبيّ بن سلول، فنهاه، عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: إنما خيرني الله عَزَّوَجَلَّ وسأزيد علىٰ السبعين فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ

أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[التوبة:٨٤]، وكان الشيطان يفْرُق من عُمَر كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَحْسَبُ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنْكَ يَا عُمَرُ»(١)، أي: يخاف منه، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا سَلَكَ الشَّيْطَانُ طَرِيقًا يَمُرُّ فِيهِ عُمَرُ»(٢).

وفي حياته العِبَر، ومن أعظمها: عند موته حين طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، وهو يصلي بالناس الفجر، في هذه الحالة قد يهتم الإنسان بجرحه، وعُمَر مهتمٌ بمن يتقدم ليصلي بالناس، فقدّم الزبير بن العوام ليصلي بالناس، ثم أخذته غشية فأفاق منها، قال: أصلىٰ الناس؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال «**لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة**»، ثم دخل عليه رجلٌ شابٌ له ثوب يجره في الأرض، فقال: ابشر يا أمير المؤمنين بكذا وكذا، فلما أراد أن يخرج، قال: ردوا الشاب فردوه عليه فقال: "**إرفع ثوبك فَإِنَّهُ أَتْقَىٰ لِرَبِّكَ وَأَنْقَىٰ لِثَوْبِكَ**". وكان يهتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُدفَن مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: لعبد الله بن عمر اذهب إلىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقول لها عمر بن الخطاب، لا تقول أمير المؤمنين يستأذن أن يُدفَن مع صاحبيه، فذهب إليها، فقال لها ما قال أبوه، فقالت كنت ادخرته لي، ولكن لآثرنه به، فلما رجع من عندها قال له، ماذا قالت لك؟ فبشَره بموافقتها، ودخل عليه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في النَزْع، قال: والله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك؛ لأني كنت أكثر ما أسمع رسول الله

---

(١) أخرجه ابن حبان، حديث رقم: (٦٨٩٢)، عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في "السُنة" حديث رقم: (١٢٦٠)، وجاء عند البزار بنحوه.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "**دخلت أنا وأبو بكرٍ وعُمَر، وخرجتُ أنا وأبو بكرٍ، وعُمَر**"، وتجد الرافضة الذين يدَّعون حب «علي بن أبي طالب» يكرهون عُمَر ابن الخطاب رضي الله عنه جدًا؛ **والسبب في ذلك**: أن عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي زلزل الله علىٰ يديه دولة الفُرْس، ودولة الروم، مات وعمره ثلاث وستين سنة، بعمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمر، وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **في السن**: اثني عشر سنة، وقد تولّىٰ أبو بكر الخلافة سنتين وتولّها عُمَر بن الخطاب عشرًا.

وقد ذكرت شيئًا من فضائله في كتاب "سلامة الخلف في طريقة السلف" وهو مطبوع والحمد الله قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»، هذا حديث عظيم تفرّد بروايته يحيىٰ بن سعيد الأنصاري، عن محمد ابن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث متفق علىٰ صحته، وهو من قواعد الإسلام العظام فهو حديثٌ دالٌ، علىٰ أهمية صلاح أعمال القلوب ويكون ذلك بصدق النية، كما أن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[1]، دالٌ علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم حديث رقم: (١٧١٨).

أهمية إصلاح الظاهر، بموافقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من العمل إلا بتوفر شرطين:

الأول: أن يكون العمل خالصًا لله عَزَّوَجَلَّ لا يُشرَك معه غيره، لا ملكًا مقربا ولا نبيًّا مرسلًا.

الثاني: أن يكون العمل، موافقًا لطريقة، وهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ): أي صحتًا، وقبولًا فلن يقبل الله عَزَّوَجَلَّ، إلا ما كان خالصًا لله.

قال السعدي:

(النِّيَّـةُ) شَـرْطٌ لِسَـائِرِ الْعَمَـلْ بِهَـا الصَّـلاحُ وَالْفَسَـادُ لِلْعَمَـلْ

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة عند مسلم، فيما يرويه عن ربه: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٨٥).

النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[(١)].

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[(٢)].

قوله: («وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى»): أي ليس له إلا ما نواه فإن كان نيته الله، كان له الأجر العظيم، وإن كانت نيته الدنيا ليس له إلا الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾[الشورىٰ:٢٠].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ: أَنَّ يَعْلَىٰ ابْنَ مُنْيَةَ، قَالَ: آذَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَزْوِ وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ لَيْسَ لِي خَادِمٌ فَالْتَمَسْتُ أَجِيرًا يَكْفِينِي،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٤٥٨)، ومسلم حديث رقم: (١٩٠٤).

وَأُجْرِي لَهُ سَهْمَهُ، فَوَجَدْتُ رَجُلًا، فَلَمَّا دَنَا الرَّحِيلُ أَتَانِي، فَقَالَ: مَا أَدْرِي مَا السُّهْمَانِ، وَمَا يَبْلُغُ سَهْمِي؟ فَسَمِّ لِي شَيْئًا كَانَ السَّهْمُ أَوْ لَمْ يَكُنْ، فَسَمَّيْتُ لَهُ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ، فَلَمَّا حَضَرَتْ غَنِيمَتُهُ أَرَدْتُ أَنْ أُجْرِيَ لَهُ سَهْمَهُ، فَذَكَرْتُ الدَّنَانِيرَ، فَجِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ لَهُ أَمْرَهُ، فَقَالَ: «مَا أَجِدُ لَهُ فِي غَزْوَتِهِ هَذِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا دَنَانِيرَهُ الَّتِي سَمَّى»[1].

والنية محلها القلب، ولا يجوز التلفظ بها كان تقول: نويتُ أصلي، نويتُ أحجُ وهكذا كل هذا من المحدثات وأما، قوله (لبيك حجًا)، (لبيك عمرةً فهذا ليس بنية وإنما هو نُسُك.

قوله: («فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ») يعني إلىٰ العمل له، والانقياد لشرعه وإلىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمناصرة له، والمؤازرة، والتكثير لأهل المدينة، في ذلك الحين، فَهِجْرَتُهُ إِلىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ: يعني يناله أجر عظيم بقدر نيته، وبقدر طويته.

قوله: («وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا»): يعني: هاجر أو سافر أو عمل من أجل أن يتحصل علىٰ شيء من المال، أو علىٰ شيء من المناصب ليس له إلا ذلك،

قوله: («أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا»): أي: يتزوجها.

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ١٧).

قوله: («فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»): لم يقل فهجرته إلىٰ دنيا يصيبها، وإلىٰ امرأةٍ ينكحها، للتقليل من شأنها بينما لما رغَّب في الهجرة إلىٰ الله ورسوله قال كمُعظِم لذلك: «فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ».

هذا الحديث، يُعَد عمدة الدين حتىٰ قيل:

عمدة الدين عندنا كلماتٌ ... أربعٌ من كلام خير البرية

عمدة الدين عندنا كلماتٌ ... ما ليس يعنيك واعملنَّ بنية

وفي الحديث: التحذير من الرياء نسأل الله السلامة.

والرياء ينقسم إلىٰ قسمين: رياءٌ، يحبط جميع العمل ورياءٌ، لا يحبط جميع العمل وانما يحبط العمل الذي قارنه.

ولأهل العلم فيه تفصيل يأتي: فأما الذي يحبط جميع العمل، فهو أن يدخل العامل في العمل للدنيا ما يريد الآخرة، ولا يريد الله، وهذا لا يَصدر إلا من المنافقين كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة:٥٤]، وهذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[هود:١٥-١٦].

والنوع الثاني من الرياء: أن الإنسان: يعمل لله، فيصلي، ويتصدق، ويقرأ القرآن، يطلب العلم لله، ولكن قد يطرأ عليه الرياء، فهذا له حالان :

١- إن كان العمل متصلًا كالصلاة، فإن دافَع الرياء فليس عليه شيء، وإن استمر في الرياء، فيُبْطَل العمل الذي راءىٰ فيه.

٢- وإن كان العمل منفصلًا تصدق بعشرة ريالات لله، ثم راءىٰ بعشرة أخرىٰ، فما كان لله عَزَّوَجَلَّ فهو مقبول، وما كان لغيرة فليس فيه أجر.

وهنا حالة ثالثة: وصورتها: أن يعمل العبد العمل لله، ثم بعد ذلك يثني عليه الناس به، فهذا لا يضره، ففي حديث أبي ذر عند الإمام مسلم قيل: يا رسول الله الرجل يعمل الخير، يُثنىٰ عليه به قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»[1]، وهي كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦]، وفي الحديث الدلالة علىٰ وجوب الإخلاص كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾[الزمر:٢]، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[البينة:٥]، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[الليل:٢٠]، إلىٰ غير ذلك من الآيات، والأحاديث، الدالة علىٰ وجوب إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٤٢).

والكلام على الإخلاص من جهتين:

الاولى: وجوب إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ كما تقدمت الاشارة إليه، وهذا يدخل في باب العقيدة.

الثاني: تمييز العبادات عن العادات وتمييز العبادات التي من جنس واحد عن بعضها.

- **كغسل الجمعة عن غسل التبرد، وكصلاة الفجر عن ركعتي السُنة.**

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "جامع العلوم": (وَأَمَّا النِّيَّةُ بِالْمَعْنَىٰ الَّذِي يَذْكُرُهُ الْفُقَهَاءُ، وَهُوَ أَنَّ تَمْيِيزَ الْعِبَادَاتِ مِنَ الْعَادَاتِ، وَتَمْيِيزَ الْعَادَاتِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، فَإِنَّ الْإِمْسَاكَ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ يَقَعُ تَارَةً حَمِيَّةً، وَتَارَةً لِعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الْأَكْلِ، وَتَارَةً تَرْكًا لِلشَّهَوَاتِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَيَحْتَاجُ فِي الصِّيَامِ إِلَىٰ نِيَّةٍ لِيَتَمَيَّزَ بِذَلِكَ عَنْ تَرْكِ الطَّعَامِ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ.

وَكَذَلِكَ الْعِبَادَاتُ، كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ مِنْهَا فَرْضٌ، وَمِنْهَا نَفْلٌ.

وَالْفَرْضُ يَتَنَوَّعُ أَنْوَاعًا، فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَالصَّوْمُ الْوَاجِبُ تَارَةً يَكُونُ صِيَامَ رَمَضَانَ، وَتَارَةً صِيَامَ كَفَّارَةٍ، أَوْ عَنْ نَذْرٍ، وَلَا يَتَمَيَّزُ هَذَا كُلُّهُ إِلَّا بِالنِّيَّةِ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ، تَكُونُ نَفْلًا وَتَكُونُ فَرْضًا، وَالْفَرْضُ مِنْهُ زَكَاةٌ، وَمِنْهُ كَفَّارَةٌ، وَلَا يَتَمَيَّزُ ذَلِكَ إِلَّا بِالنِّيَّةِ، فَيَدْخُلُ ذَلِكَ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّمَا لِكُلِ امْرِئٍ مَا نَوَى»). اهـ

الحَدِيثُ الثَّانِي

مَجِيءِ جِبْرِيلَ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ دِينَهُمْ

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيضاً قَال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوْسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَاب شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيْمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً»، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآَخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنْ أَمَارَاتِها، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرى الْحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي البُنْيَانِ»، ثُمَّ انْطَلَقَ

فَلَبِثَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ»[(١)].

الشَّرْحُ

❁ هذا الحديث أخرجه البخاري، ومسلم، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانفرد به مسلم، عن عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

- وفيه قصة:

عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: "فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي"، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب: الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حديث رقم: (٨).

اللهِ بْنُ عُمَرَ "لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ" ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.. فذكره.

وحديث عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشهر حديث في الباب، وهو أول حديث صد به الإمام مسلم كتابه "الصحيح"، وهو من الأحاديث، التي عليها مدار الإسلام، فقد حوىٰ البيان لمراتب الدين وهي: (**الإسلام، والإيمان، والإحسان**).

قوله: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوْسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ): وهذا كان يفعله الصحابة، كثيرًا يبقون مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيسمعون منه العلم، ويتلقون منه الحديث، ويعلمون آخر ما نزل من الوحي، وفي "الصحيحين": [أن عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان له جارٌ من الأنصار، فكان الأنصاري، يشهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا ويشهده عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا كانوا يتناوبون في أخذ العلم، من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

وهذه المرتبة التي نالها الصحابة رضوان الله عليهم، وهي الجلوس مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مرتبة لم، ولن ينالها غيرهم مرتبة الصحبة حيث " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ورضوا عنه" وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم أنهم في الجنة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة:١٠٠].

وأمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء لهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر:١٠].

❁ ويذكر العلماء في الواجب تجاه الصحابة أمور:

الأول: **ذِكر محاسنهم**، لأن محاسنهم مذكورة في الكتاب والسُنة.

الثاني: **الكف عن مساويهم**، فلا تُذْكَر مساويهم علىٰ سبيل الذم، أو التَنَقُص فإنهم قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، ولهم السبق في الإسلام .

الثالث: **الكف عما شجَرَ بينهم فقد شجَرَت بينهم خلافات**، كما حصل بين عليٍ وعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، في حرب الجمَل، وكما حصل بين علي، ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، في حرب صِفّين، مع أننا نعتقد أن الحق كان مع علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، لكن لا يجوز لنا الخوض فيما شجَرَ بينهم لما يؤدي إلىٰ التنقص، أو الطعن في عدالتهم، وقد يمًا قيل:

دَعْ الصحابة فيما جرىٰ بينهم فكلهم في الحَشْر مَغْفُورٌ لَهمْ

وقد تكلم شيخ الاسلام رَحِمَهُٱللَّهُ بكلام نفيس عما يتعلق بالصحابة في "الواسطية" فراجعه إن شئت.

قوله: (**إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَاب شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ**): أي رأوا رجُلًا بهذه الهيئة، وهذا غالبًا ما يكون في الرَجُل الذي يخرج من بيته، إلىٰ

المجلس مباشرة، ولكن تعَجَّب الصحابة من هذه السِيمَاء إذ هي علىٰ رجلٍ كالقادم من السفر، لكن لا يُرَىٰ عليه أثر السفر.

❁ وفي الحديث من الفوائد:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ وهبَ للملائكة، القدرة علىٰ التكَيُّف فهم يتكيّفون، كما أذن الله عَزَّوَجَلَّ، وقد رأىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جبريل علىٰ صورة "دُحيَة الكلبي" ورآه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ صورته، مرتين، له ستمائة جناح سادًا عِظَم خلقه ما بين السماء، والأرض.

٢- وفي الحديث أن السفر قد يؤثر في الإنسان، في خَلقِه، وخُلُقِه وما سُميَ السفر بهذا الاسم إلا أنه يُسفِر عن الرجال، والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ»[1].

وللسفر أحكام كثيرة، صنّفَ العلماء فيها مصنفات ومنها كتاب شيخنا يحيىٰ بن علي الحجوري حفظه الله "ضياء السالكين، في أحكام وآداب المسافرين"، فله أحكام في باب الصلاة، والصوم، و العلم، وغير ذلك من الأبواب.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٨٠٤)، ومسلم حديث رقم: (١٩٢٧)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأسفار النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كانت في التجارة قبل البعثة، وفي الهجرة، والجهاد والحج والعمرة، فلم يكن يسافر للسياحة.

قوله: (وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ): أي: أن الهيئة التي جاء بها لم تكن معروفة عند أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، فهو رجل جميل، ويدل علىٰ جماله "شدة بياض الثياب" وكذلك "شدة سواد الشعر" فإن هذا ممدوح عند العرب.

قوله: (حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ): أي: كان مقصده الإتيان إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهكذا عادة الناس أن القادم لحاجةٍ أن يأتي إلىٰ رئيس أو مُقَدَّم القوم، إن كان عالمًا جاءه لقضاء حاجته مِن سؤالٍ ونحوه، وإن كان عِريفًا أو مسئولًا أو غير ذلك، تقدَّم إليه لقضاء حاجته.

قوله: (فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ): أي: أنه جلَسَ مواجهًا للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كحال الجالس في التشهد، وجعل ركبتيه أي جِبْرِيل عليه السلام، متَجِهه إلىٰ رُكبَتيّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فكان كالمواجِه له، وهذه مِن الآداب التي ذكرها العلماء في جلسات طلب العلم.

وقوله: (وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ): قد ظن بعضهم أن جِبْرِيل عليه السلام وضع كفيه علىٰ فخِذَيّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وليس بصحيح، وإنما وضع كفيه علىٰ فخِذَيّ نفسه.

قوله: (يَا مُحَمَّدُ): فيه جواز مناداة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ باسمه والأولىٰ أن يُنادىٰ: (**يا رسول الله، أو يا نبي الله**)، وربما نادوهُ يا أبا القاسم، ومحمدٌ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أسماء: فهو محمدٌ وأحمد، والحاشر، والمُقَفِّي، ونبيُ التوبة، ونبيُ الرحمة، وسمّاه الله رؤوفًا رحيمًا، كما صح من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ): وبدأ به لأنه الأصل في قبول الأعمال وفيه سؤال أهل العلم فيما يُشْكِل، وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك فقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل:٤٣]، والإسلام ينقسم إلىٰ قسمين:

❁ الإسلام بمعناه العام: وهو دعوة جميع الرسل، فكلهم يقول: ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[يونس:٩٠].

❁ والإسلام الخاص: وهو المقصود بالسؤال وهو دعوة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو الدين المهيمن علىٰ جميع الأديان والناسخ لجميع الملل، ولا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ من عامل عملًا بعد مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا به، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة عند الإمام مسلم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1]، وفي حديث نُبَيْشَة، وابن مسعود، وأبي سعيد، وغيرهم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ»[2]، وكلها في "الصحيح" وفي الحديث إجابة العالم إذا سُئل، ولا يجوز

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠٦٤).

كتم العلم قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[1].

- ومعلوم أن التعليم والفتوىٰ من أبلغِ أنواع الكرَم؛ لأن الجود بالعلم سببٌ لصلاح الدارين .

قوله: («الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله»): فسَّرَ الإسلام بأركانه، وإلا فإن العلماء يُعَرِّفون الإسلام بقولهم: (**الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله**)، وهذا الذي ذكره النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُسمىٰ بالشهادتين، أو بالشهادة، ولا يُجزِئ أحدهما عن الآخر، وهذا أحد الأوجه التي فُسِرَ بها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح:٤]، أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ قَرَن الشهادة لمحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالنبوة، بالشهادة لله عَزَّوَجَلَّ بالوحدانية.

والشهادة: هي الإخبار مع الاعتقاد الجازم المطابق للواقع؛ فإن المنافقين كانوا يقولونها مع كفرهم فما نفعتهم قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون:١]، وكان مبدأ الإسلام قول: (**لاَ إله إِلاَّ الله**) كما في حديث طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يسير في الأسواق ويقول،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٤٩) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجاء عند أبي داود وغيره.

«قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا»[١]، قد شَهِدَ الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه بالألوهية وأشهدَ علىٰ ذلك ملائكته، وأولي العلم فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران:١٨].

وشَهَادَةُ: (أَنَّ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله)، مبدأ الأمر وآخره، فلا يدخل أحدٌ في الإسلام إلا بها، قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث عبد الله ابن عمر عند الشيخين: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، فَإِذَا قَالُوْهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإسلام وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»[٢]، وهي آخر الأمر قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٣]، كما جاء عن أبي سعيد، وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عند مسلم،

وفِي حديث عائشة: «لَقِّنُوا هَلْكَاكُمْ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٤]، وفِي حديث معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (٦٥٦٢)، عن طارق بن عبد الله المحاربي.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٢).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٩١٧)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) أخرجه النسائي حديث رقم: (١٨٢٧).

اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١]، وتُسَمىٰ هذه الكلمة بـ(كلمة التوحيد)، و(كلمة الإخلاص) و(العروة الوثقىٰ) و(كلمة التقوىٰ) وهي أفضل كلمة.

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٢]، وفي حديث جابر: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٣]، ومع ذلك لا بد من العمل، **قال الزهري بعد حديث رقم (٦٥٧) في مسلم**: (ثم نزلت بعد ذلك فرائض وأمور نرىٰ أن الأمر انتهىٰ إليها فمن استطاع أن لا يغتر فلا يغتر، **قال وهب بن منبه**: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**) مفتاح الجنة، ولكل مفتاح أسنان).

قوله: (**وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**): أي: وأن تشهد أن محمدًا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أرسله الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ الناس كافة.

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٣١١٦)، وأخرجه الحاكم وفي سنده صالح بن عريب.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٥٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٣٨٣)، عن جابر بن عبد الله.

❁ والإيمان بأن محمد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يتضمن أمورًا:

الأول: (أن الله أرسله إلىٰ الناس كافة)، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١]، وقد وُجِد من النصارىٰ، من يقول: (بأن محمدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رسول، ونبي لكن إلىٰ العرب)، وهذا لا يدخلهم في الإسلام فلا بد من الإيمان بأنه رسول إلىٰ (الناس كافة).

وعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(١).

الثاني: (أن يُعتقَد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين)، أي: آخرهم قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا رَسُولَ»(٢)، وقد زعمَ بعض من لا يعقِل، أن المراد بخاتم النبيين زينة النبيين

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٣٥)، ومسلم حديث رقم: (٥٢١).

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" حديث رقم: (٤١٠٥)، عن وهب بن منبه.

فقط، ثم ادعو النبوة (لأحمد القادياني) ونحوه، وهذا قولٌ باطل، فإن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر الأنبياء والمرسلين ومن ادعىٰ النبوة بعده، أو اعتقدها في غيره فهو كافر، كفر أكبر مخرج من الملة.

وقد قال الامام الطحاوي: (وَكُلُّ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوًىٰ، وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَىٰ، بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ. انتهىٰ)[1].

الثالث: (**طاعته فيما أمر**)، وأدلته كثيره منها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران:٣٢]، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾[النساء:٨٠].

الرابع: (**وتصديقه فيما أخبر**)؛ لأنه الصادق الأمين والمبلغ عن الله عَزَّوَجَلَّ وتكذيبه تكذيب الله عَزَّوَجَلَّ وطعن في الرسالة.

الخامس: (**الانتهاء عن ما نهىٰ عنه وزجَر**)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور:٦٣].

---

(١) متن "العقيدة الطحاوية".

السادس: (وأن لا يُعبَد الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما شرع)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب:٢١].

قوله: («وَتُقِيْمَ الصَّلَاةَ»): و هي الركن الثاني من أركان الإسلام، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[المزمل:٢٠]، في آياتٍ كثيرات من القرآن، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾[التوبة:١١]، مفهوم الآية: أنهم إذا لم يصلوا ليس بإخواننا، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾[الماعون:٤-٥]، فتارك الصلاة متوَعَّد من باب أولىٰ.

وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»(١)، وفي حديث بريدة قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»(٢)، فتارك الصلاة كافر، كفر أكبر، مخرج من الملة، علىٰ القول الصحيح من أقوال أهل العلم.

❁ وهي خمس صلوات في اليوم والليلة، بإجماع المسلمين: (الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء)، وكان قد فرضها الله عَزَّوَجَلَّ خمسين

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨٢)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٢١)، وجاء عند النسائي، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه.

صلاة، ثم خفف عن المسلمين، رحمة بهم ومع ذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ لمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ»[(١)].

❁ **والصلاة منها الفرض**: وهي ما ذُكِر، **ومنها النفل**، والنفل ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: **نفل مطلق** كـ(صلاة الضحىٰ، وقيام الليل)، ونحو ذلك.

والثاني: **نفل مقيّد**: وهو اثنتيّ عشرة ركعة مذكورة في حديث أم حبيبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»[(٢)]، **وهي**: (ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء)، ويستحب أن يُصلىٰ بين الأذان ولإقامة؛ لما صح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ»، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ»[(٣)].

قوله: («وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ»): سميت زكاة من الزكاء والنماء، **والمراد بها هنا**: الزكاة المفروضة، كما في حديث أبي أيوب وغيره قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ

---

(١) أخرجه النسائي حديث رقم: (٤٤٩)، وجاء عند البخاري ومسلم بنحوه.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٢٨).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٢٧)، عن عبد الله بن مغفل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

النَّارِ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ» فَلَمَّا أَدْبَرَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ" وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ إِنْ تَمَسَّكَ بِهِ»[1]، وفي حديث طلحة بن عبيد الله: يا رسول الله هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»[2].

❁ والصلاة، والزكاة، لا يُفَرَّق بينهما، كما فعل بعضهم في زمن أبي بكر، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ)[3].

وهؤلاء وقعت لهم شُبْهة من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة:١٠٣]، وقد قال بعضهم:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر!

أيورثها بكرا إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهلا رددتم وفدنا بزمانه ... وهلا خيشتم حس راغية البكر!

وإن التي سألوكم فمنعتم ... لك لتمر أو أحلىٰ إلي من التمر

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٣)، عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤)، عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٣٩٩، ١٤٠٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ والزكاة هي في تسعة أصناف: في (النقدين: الذهب، والفضة أو ما يقوم مقامهما، من الأوراق النقدية، وفي الأنعام: البقر، والإبل، والغنم، وفي الحبوب: الحِنطة والشعير، وفي الغراس: الزبيب، والتمر)، واختلفوا، في العسل، ولها أحكام تُعرَف في موطنها.

وتاركها لا يكون كافرًا إلا مع الجحود؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ، وَجَبِينُهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا، إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ، تَسْتَنُّ عَلَيْهِ، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ فَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلَا جَلْحَاءُ، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»[1]، فلو كان كافرًا لم يكن له منزلًا في الجنة.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٩٨٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: («وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ»): الصوم في اللغة: الحبس والامساك، وهو الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس، وفي الحديث ردٌ علىٰ من أنكر تسمية رمضان بهذا الاسم، وفي حديث طلحة بن عبيد الله في سؤاله عن الصوم فقال له رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَصِيَامُ رَمَضَانَ» فقال: يا رسول الله هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»[1].

❁ والصيام له أحكامه وآدابه:

- ومنه: أنه يكون من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس، ويستحب فيه تأخير السحور، وتعجيل الفطور، ومن أكل، أو شرب ناسيًا فليُتِم صومه، وإن كان مسافرًا جاز له الفطر، وكذلك المرضع، والحُبْلىٰ، يجوز لهن الفطر ويقضين من أيام أُخَر، علىٰ الصحيح.

قوله: («وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً»): الحج: القصد والزيادة، وهو: القصد لزيارة البيت العتيق علىٰ جهة مخصوصة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[آل عمران:٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤)، عن أبي أيوب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

﴿٢٧﴾ [الحج:٢٧]، والحج أجره عظيم وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(١).

❁ وأركانه:

الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة، والسعي.

❁ وأنواعه ثلاثة:

التمتع والقِران، والإفراد.

- **والسبيل، والاستطاعة وعرفها العلماء**: بالزاد، والراحلة، وأمن الطريق، فالزاد الذي يتزود به لنفسه، ويُزَوِد به أبنائه في موطنه والراحلة التي يركب عليها، وأمن الطريق، بحيث أن يكون الطريق آمِنًا ويُزاد في حق المرأة وجود المحرم؛ لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ»(٢).

قوله: (قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ): إذ المعهود عند الناس: أن الذي يسأل لا يعلم، لكن لما قال له: صدقتَ عَلِموا أنه كان يعلم لجواب، وسيأتي في آخر الحديث، أنه إنما جاء من أجل أن يُعلِم الناس، دينهم ففيه من

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٥٢١)، ومسلم حديث رقم: (١٣٥٠) بنحو، كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٠٨٨)، ومسلم حديث رقم: (١٣٣٩)، كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أدب الطلب سؤال العالم، لإفادة الآخرين، ويكون في ذلك من تبليغ العلم؛ لأن بعض الناس، لا يُحسِن السؤال، كما قال أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ شَيْءٍ. فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَأْتِي الرَّجُلُ الْعَاقِلُ، مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، يَسْأَلَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ] متفق عليه.

- فإذا جاء الرجل العاقل يسأل استفادوا من إجابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا يفرحون بذلك وفي الحديث تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام بالأعمال الظاهرة ومنها: القولي: كالشهادتين، ومنها الفعلي البدني: كالصلاة.

ومنها: **الفعلي المالي**: كالزكاة، ومنها: ما هو مجموع من فعل البدن، وفعل المال، كالحج لبيت الله عَزَّوَجَلَّ وهذه الأركان الخمسة اتفق عليها جميع الرسل، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريم:٥٥]

قوله: (فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ): **الإيمان في اللغة**: الإقرار، **وعرَّفه بعضهم**: بالتصديق، والصحيح الأول؛ لأن الإقرار تصديقٌ وزيادة، والزيادة هي الانقياد، وإلا فإن اليهودَ كانوا يعلمون ويُصدِقون أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله ولكنهم لم يُقِروا بذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[البقرة:١٤٦].

- ومن ذلك حديث ثوبان عند الإمام مسلم: أنه يهوديًا سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عن بعض الأشياء، ومنها أين يكون الناس " أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ

تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»، فقال اليهودي: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ[1]، إلا أنه لم يُقِر بالنبوة، فلم يدخله مجرد التصديق في الإيمان.

والإيمان في اصطلاح أهل السنة والجماعة: قولٌ باللسانِ وتصديقٌ بالجنانِ وعَمَلٌ بالجوارحِ، والأرْكَان، يَزِيدُ بالطاعةِ ويَنْقُصُ بالعصيانِ.

- والدليل على ذلك: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مسلم قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[2]، ومما يدل علىٰ ذلك أيضًا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة:١٧٧]، فجعل كل هذه الأعمال من الإيمان، ومنها ما هو بالاعتقاد وما هو

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣١٥)، عن ثوبان مولىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالقول وما هو بالفعل، وقد بوّبَ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، في كتابه الصحيح «باب أمور الإيمان»، واستدل بالآية التي ذكرتها سابقًا، وجاء أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِل عن الإيمان ففسَره بالآية من حديث أبي ذرٍ أخرجه الآجُرّي وغيره ولكن الحديث ضعيف.

- والأدلة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة تدل علىٰ دخول الاعمال في مسمىٰ الإيمان.

- **ويعتقد أهل السنة والجماعة**: أن الإيمان يزيد، وينقص، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فما كان دون الكمال فهو ناقص، وفي الحديث قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْصَالِحْ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»[1]، أخرجه البخاري، ومسلم عن أبي سعيد، وابن عمر وأبي هريرة رضوان الله عليهم، وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند مسلم، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن رَأى مِنكُم مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠٤)، عن أبي سعيد الخدري.

فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِقَلبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ »[١]، فالإيمان أعلىٰ، وأدنىٰ وقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «المُؤمِن القَوِيُّ خيرٌ وَأَحبُّ إِلى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[٢].

❁ **وزعَمَت الخوارج و المرجئة**: أن الإيمان لا يزيد، ولا ينقص ويقولون زيادته ونقصانه كفر، وهذا لجهلهم وضلالهم، ويُرد عليهم بما تقدم من الأدلة.

❁ **ومن عقيدة أهل السنة والجماعة**: أن الأعمال داخله في الإيمان، فالصلاة والحج، والزكاة، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وحسن الخلق، والرفق، والصدقة، واتباع الجنائز، وصيام رمضان، وقيامه، وقيام ليله القدر إيمانًا واحتسابًا، والجهاد، كل ذلك من الإيمان، فكل عمل صالح، يُتقرب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إيمان، وكل عمل سيئ تركه لله عَزَّوَجَلَّ إيمان فإن الله يطاع بالفعل، والترك.

فقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: هذا أمر بالطاعة بالفعل، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[الإسراء:٣٢]، هذا أمر بالطاعة بالترك.

❁ ومن عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الإيمان، والإسلام بينهما، عمومٌ وخصوص، فعند الانفراد، الإسلام والإيمان شيءٌ واحد، وفي حديث وفد عبد قيس أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سُئل عن الإيمان فقال: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٩)، عن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ»[1]، ففسَّر الإيمان، بالإسلام لكن إذا اجتمعا، فالإيمان يدل علىٰ الأعمال القلبية والإسلام يدل علىٰ أعمال الجوارح.

ومن طريقة أهل السُنة والجماعة في هذا الباب الاستثناء في الإيمان، فإذا قيل لك: (أمؤمنٌ أنت؟ تقول: إن شاء الله أو أرجو، أو تقول: أنا مؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وبالقدر خيره، وشره)، لا تجزِم وتقول: أنا مؤمن، قال رجل عند عبد الله ابن مسعود: «أنا مؤمن» قال له عبد الله ابن مسعود: أتقول أنا في الجنة؟، قال لا أعلم قال: إذًا قل مؤمن إن شاء الله.

- **وَمِمَّا يدل علىٰ الاستثناء بغير شكٍ**: قوله الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح:٢٧]، مع أنه يعلِمَ الله أنهم داخلون.

وقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما في "صحيح مسلم" من حديث بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ - فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ-: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ، - وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ -: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ».

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٣٩٨)، ومسلم حديث رقم: (١٧)، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وقد عَلِم أنه سيلحق بهم فالاستثناء عند أهل السُنة ليس علىٰ الشك فالشك كفر ولكنه للتبرك باسم الله عَزَّوَجَلَّ وعلىٰ عدم الجزم بالخاتمة والكمال.

قوله: (قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله»): وأركان الإيمان ستة، وهي أصول عظيمة، من أصول الدين وقواعده العظام أولها الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وهو أفضل الأعمال، كما في حديث أبي هُريرة في الصحيح قيل: يا رسول الله ما أفضل الأعمال؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، وكم في الآيات القرآنية الدالة علىٰ الأمر به، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[النساء:١٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[البقرة:٢٨٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾[الأعراف:١٥٨]، وقال محذرًا من الكفر به: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[النساء:١٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

❁ والإيمان بالله يتضمن أربعة أركان:

الأول: الإيمان بوجود الله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: الإيمان بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه الخالق الرازق، المالك، المدبر، لهذا العالم.

الثالث: الإيمان بألوهية الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه المعبود بحقٍ لا يجوز أن يُشرَك معه غيره، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿* وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود:١٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر:٩٩].

الرابع: الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأن الله عَزَّوَجَلَّ سمّىٰ نفسه بأسماء وسمَّاه رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأسماء ووصف نفسه بصفات كما وصفه رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بصفاتٍ، فيجب أن نعتقد، ونقول بما قال الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وما قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وكل اسم من أسماء الله يتضمن صفة فالقوي، ذو القوة والعزيز ذو العزة، والرحيم ذو الرحمة، ونعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ «يُحِبْ»، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة:٢٢٢]،

ويرضىٰ: كما قال تعالىٰ: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [المائدة:١١٩]، ويغضب: كما قال تعالىٰ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[الفتح:٦]، وأنه يسخط: كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[محمد:٢٨]، وأنه يكره: كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾[التوبة:٤٦]، وكما في حديث أبي هريرة وغيره: «كَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ»[1]، وأنه ينزل إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ »[2]، فنؤمن بكل ما أخبر الله به، وأخبره به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الحذر من أربعة أمور:

(أمران عند الإثبات، وأمران عند النفي)، فعند الإثبات التمثيل، والتكييف فإن الله ليس كمثله شيء، وكما قال تعالىٰ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم:٦٥]، وقال تعالىٰ:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) خرجه البخاري حديث رقم: (٧٤٩٤)، ومسلم حديث رقم: (٧٥٨)، كلاهما عن أبي هريرة، وجاء أيضًا عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، وعند التنزيه من التعطيل وهو نفي الصفات، والتحريف وهو تغير معاني الآيات عما دلت عليه بل نُثبِت لله ما أثبته لنفسه واثبته له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ونقول كما قال الله، وكما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقف حيث وقف الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم عن علمٍ وقفوا وببصرٍ نافذ كفُّوا كما قال عمر بن عبدالعزيز وقد خالف في هذا الباب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن إليهم فعطلوا الله عَزَّوَجَلَّ مما دلت عليه النصوص مع التفاوت في تعطيلهم.

قوله: («وَمَلَائِكَتِهِ»): هذا هو الركن الثاني من أركان الإيمان، **الإيمان بملائكة يتضمن**: أنهم خُلِقُوا من نور، كما في حديث عائشة عند مسلم: قالت قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ مِمَّا ذُكِرَ لَكُمْ»[1]، وأنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦]، **ومنهم**: الصَّافُّون ومنهم المُسَبِّحُون، وَمنهم: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾[النازعات:١-٥]، ومنهم: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٩٦)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ ﴾ [المرسلات:١-٥]، علىٰ قول لأهل العلم أنهم الملائكة.

❁ ورؤساؤهم ثلاثة:

١- (**جبريل**) وهو الملَك الموكل بالوحي.

٢- (**وميكائيل**) وهو الملَك الموكل بالقَطر.

٣- (**وإسرافيل**) وهو الملَك الموكل بالنفخ في الصور.

ونؤمن بما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ من أوصافهم وبما أخبر الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، من أسمائهم، كمالك خازن النار، وملَك الجبال، وما تقدم ذكره وأما تسمية ملَك الموت (عزرائيل) أو خازن الجنة (برضوان) فليس عليه دليل يثبت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وهم مخلوقات عظيمة، ففي حديث جابر قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»[1]، والمعلوم أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رأىٰ جِبْرِيل مرتين له ستمائة جناح، ساد عظم خلقهما ما بين السماء والأرض، وهم خَلق من خلق الله، وليست قوىٰ خير كما يقول الفلاسفة بل لهم صفاتهم وذواتهم ويتكلمون وينزلون ويعرج بهم، والعداءُ لهم أو بغضهم كفر قال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٢٧)، عن جابر بن عبد الله.

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾

[البقرة:٩٧-٩٨].

قوله: («وَكُتُبِهِ»): وهي الكتب المنزلة علىٰ رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد:٢٥]، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر:٧٨].

❁ إلا أن الكتب المعلومة لنا: (التوراة، والإنجيل، والزبور والقرآن، وصحف إبراهيم، وصحف موسىٰ)، ونؤمن بها إجمالًا، ونؤمن أنها حُرِّفت، وغُيرَت، وبُدِّلَت إلا القرآن فإنه محفوظ بحفظ الله عَزَّوَجَلَّ :قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[الحجر:٩]، ويجب الإيمان بالقرآن إجمالًا وتفصيلًا مع العمل به، والإيمان، بأنه كلام الله، ووحيه وتنزيله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود فمن اعتقد ان القرآن مخلوق فهو كافر كفر أكبر مخرج من الملة؛ لأنه يزعم أن أسماء الله وصفاته مخلوقة والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء:١٦٦]، ويقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾[التوبة:٦]،

ويقول: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النساء:١٦٤].

قوله: («وَرُسُلِهِ»): أي: الإيمان برسل الله الذي أرسلهم لتبليغ رسالاته، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾[النحل:٣٦].

❁ وأفضلهم خمسة أولو العزم من الرسل: وهم (محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإبراهيم، وموسىٰ، ونوح، وعيسىٰ عليهم السلام)، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب:٧]، والتفرق بينهم كفر، قال تعالىٰ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥]، ومن كفر بواحدٍ منهم كَفَرَ بهم جميعًا قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء:١٠٥]، وكان كفرهم وتكذيبهم لنبيهم نوح عليه السلام ومع ذلك أخبر الله أنهم كذبوا جميع المرسلين.

❁ وآخرهم، وخاتمهم، وأفضلهم: (محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ومن الإيمان بهم: الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ بعث كل رسولًا لقومه خاصة إلا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه بعثه إلىٰ الناس عامة، كما قال تعالىٰ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا

رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨]، وأما حديث أبي سعيد وأبي هريرة: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال في شأن نوح: «فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»(١)، فكان قوم نوح هم أهل الأرض في ذلك الزمان.

قوله: («وَالْيَوْمِ الآخِرِ»): **سمي اليوم الآخر**؛ لأنه ليس بعده يوم، وهو يومٌ طويل، يُبعث الناس من قبورهم ويحشرون إلىٰ ربهم، حفاةً، عراةً، غرلًا، ثم يكون مآلهم فريق في الجنة، وفريق في السعير، ثم يُذبَح الموت، ويقال يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالقبر وما فيه من النعيم، والعذاب، والقبر **فيه ثلاثة أمور**:

١- (**الضمة**): ولا يسلم منها أحد إلا الأنبياء.

٢- (**الفتنة**): يسلم منها الأنبياء، والشهداء، والصديقون، والمرابطون، علىٰ ما جاءت به الأحاديث الثابتة عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

٣- (**النعيم**) للمؤمنين والعذاب للكافرين ومن شاء الله من عصاة المؤمنين، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالبعث، والنشور، والصراط، والحوض، والميزان، والشفاعة، وكل ما يقع في ذلك اليوم، من مجيئ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للفصل بين العباد، قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٤٧٦)، حديث الشفاعة، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

[الفجر:٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام:١٥٨].

- **وهكذا رؤية المؤمنين لربهم** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[القيامة:٢٢-٢٣]، وله أسماء كثيرة منها يوم القيامة، ويوم التناد، واليوم الآخر ويوم التغابن ويوم الجمع وغير ذلك.

قوله: («وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»): أي: من الله عَزَّوَجَلَّ، فالله هو خالق الخير، وخالق الشر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾[الزمر:٦٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[الصافات:٩٦]، إلا أن الخير محبوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والشر غير محبوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والخير مرادٌ لذاته لأنه يُتَقَّرب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والشر مراد لغيره فتتحقق بوجود ه مصالح.

❁ **وأعظم الشر إبليس**، فكان بوجوده من الحِكَم ما لا يعلمه إلا الله، ومنها إخراج آدم من الجنة، وإهباطه إلىٰ الأرض ثم بعد ذلك وقع التكليف، وتحققت مصالح من إرسال الرسل وإنزال الكتب، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والنصيحة، وطلب العلم، وغير ذلك، والله عَزَّوَجَلَّ هو الحكيم، الخبير.

❁ **ومراتب الإيمان بالقدر:**

الأولى: (العلم) وأن الله بكل شيء عليم بما سبق وَبمَّا يأتي لا تخفىٰ عليه خافية، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١٦﴾ [الحجرات:١٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿* وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[الأنعام:٥٩].

الثانية: (الكتابة) وهي: أن الله عَزَّوَجَلَّ قد كتب مقادير الخلائق جميعًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد:٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه:٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد:٢٢]، وفِي حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١).

الثالثة: (المشيئة) وأنه لا يقع في هذا العالم شيء إلا بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان:٣٠]، والمشيئة تكون في المحبوب وغيره وهي علىٰ مقتضىٰ حكمة الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يقع شيء من الخير، والشر، في هذا العالم إلا وشاءه الله، وأراده كونًا، لكنه لا يوصف بالشر

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٠٠)، وأحمد حديث رقم: (٢٢٧٠٥).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[1]، أي: لا يضاف إليه ولا يتقرب به إليه، أو انه ليس بشر بالنسبة إلىٰ الله وإنما شر بالنسبة لنا؛ لأن أفعاله علىٰ مقتضىٰ حكمته، وعلمه.

الرابعة: (**الخلق**) وهو: أن الله خالق كل شيء من الخير، والشر كما تقدمت الأدلة بذلك.

قوله: (**صدقتَ**): وهذا دليل علىٰ أن جِبْرِيل عليه السلام إنما جاء إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتعليم الناس أمر دينها، ومدار العمل الصالح علىٰ هذه الأركان قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[فاطر:٣٢].

قوله: (**قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**): وهذا ركن عظيم يدل علىٰ عِظَم المراقبة لله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[الشعراء:٢١٨-٢٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة:١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر:١٩-٢٠]، فاعبد الله كأنك تراه، فإن ذلك أدعىٰ للتعظيم

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٧٦١)، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأدعىٰ للنشاط في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن لم يكن هذا الأمر؛ لأن الله لا يُرىٰ في الدنيا، ففي الحديث الصحيح: «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ»[(١)].

- **فلنعلم أن** الله يرانا، قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُم»[(٢)]، فالمراقبة شأنها عظيم ينزجر بها العبد من السيئات، ويُقبِل بها العبد علىٰ الطاعات، وفي حديث أبي ذر ومعاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[(٣)]، **وقد أحسن من قال:**

إذا ما خلوتَ الدهر يومًا فلا تقُـلَ خلـوتُ ولكـن قُـلْ علـيَّ رقيـبُ

فالإنسان يتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بالمراقبة له، وانظر إلىٰ ذلك الشاب الذي راود ابنت عمه علىٰ نفسها وأعطاها عشرين ومائة دينار علىٰ أن تُخَلِّي بينه وبين نفسها، فلما استمكن منها، وقعد بين رجليها قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقام عنها وهي من أحب الناس إليه، وترك المال الذي أعطاها، المراقبة لله عَزَّوَجَلَّ شأنها عظيم، وهي أعلىٰ مراتب الدين والإحسان فيما بين العبد وبين الله، أعظم الإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٢٣٥)، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٦٨٧)، عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

﴿١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥]، وفي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[1].

قوله: (فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ) أي: وقتها وهذا لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: («مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»): أي: أنا لا أعلم كما أنك لا تعلم، قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾[الأحزاب:٦٣]، وقال تعالىٰ:{﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[لقمان:٣٤].

قوله: (فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا) أي: عن علاماتها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾[محمد:١٨]، أي: علاماتها.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٩١)، ومسلم حديث رقم: (١٣١)، كلاهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: («أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»): وهذا من الأشراط الصغرىٰ للساعة، فلها أشراط كبرىٰ، وصغرىٰ وقيل: معنىٰ ذلك أن يكثر السبي حتىٰ تلد المرأة سيدتها فتكون الأم جارية وأبنتها حرة.

وقوله: («وَأَنْ تَرى الْحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي البُنْيَانِ»): وهذا ظاهر الآن في بلاد الخليج، والجزيرة، تجد التطاول في البنيان، وبناء ناطحات السحاب، بينما كان الشأن أنهم رعاة للغنم، والإبل، وكانوا حفاة.

- أما العلامات الكبرى منها: خروج الدجال، ونزول عيسىٰ ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، ونار تخرج من عدن تحشر الناس، ودابة الأرض إلاغير ذلك علىٰ ما هو مبين في الكتب المطولة مثل: "التذكرة" للقرطبي ونحوها.

قوله: («ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟»): أي: سأل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، عمر ابن الخطاب بعد ذهاب جبريل عليه السلام: «أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» وعُمَر لا يدري؛ لأنه جاء إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بصورة إنسان غير معروف لد يهم.

قوله: («قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوله أَعْلَمُ»):وهذا في حياة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وفِي أمور الدين تقول الله ورسوله أعلم، أما في ما شأنه الغيب، فالله أعلم وأيضًا بعد موته لا يقال الله ورسوله أعلم.

قوله: («فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ»):وفيه فضيلة التعليم، وفضيلة العلم، وفيه رحمة الله بعباده حيث ينزل الوحي علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في تعليم الناس الدين والخير وفيه أن جميع الأعمال الصالحة، تُسمىٰ دين، الإسلام والإيمان، والإحسان.

قوله: «رواه مُسْلِم»: أي: في "صحيحه" ومسلم هو ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري.

الحديث الثالث

بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (عَنِ ابْنِ عُمَرَ): هو أبو عبد الرحمن، عبدالله بن عمر بن الخطاب وقد روىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أكثر من ألفين حديث، فهو من المكثرين في رواية حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من المتتبعين لآثار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كان مُقْبِلًا علىٰ العبادة لاسيما قيام الليل، حيث ترك بيت أبيه وسكَن في المسجد، فرأىٰ رؤيا: (كأن ملكين أخذا بضبْعيه ثم انطلقا به إلىٰ النار، فجاء ملَكٌ آخر وقال إنك لن تُراعَ إنك لست من أهلها)، فأخبر حفصة فأخبرت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧)، ومسلم حديث رقم: (١٦).

كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلًا[١].

وبعدها: قال عبد الله: (رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ، وَلَيْسَ مَكَانٌ أُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ إِلَيْهِ، قَالَ فَقَصَصْتُهُ عَلَىٰ حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهُ حَفْصَةُ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَرَى عَبْدَ اللهِ رَجُلًا صَالِحًا»)[٢]، وقد اعتزل الفتن ولَم يشارك بسيفه ولا بلسانه، بل إن مُعَاوِية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خطب في المسجد فقال: من يَقُوْل بأنه أحق بهذا الأمر منا؟ قال: (**فحللت حبوتي وأردت أن أقوم وأقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك علىٰ الكفر**)، ثم ذكر الفتنة وترك ذلك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فكان عاقلًا وكان حريصًا علىٰ الخير، وكان ذَا برٍ بأبيه حتىٰ بعد موته فقد لقيَ رجُلًا في الطريق فأعطاه عِمَامته وأعطاه حمارًا كان يركبه: فقيل له: يا أبا عبد الرحمن هؤلاء من الأعراب، ويرضون بالقليل، قال: إن أباه كان صديقًا لعُمَر وقد سمعت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «أَبَرُّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»[٣].

إلىٰ غير ذلك من الفضائل، والشمائل الذي تميّز بها هذا الصحابي الجليل، وقد شهد مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، المشاهد غير بدر وأُحُد كان صغيرًا.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٤٧٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٤٧٨).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٥٢).

قوله: («بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»): وهذا حديثٌ عظيم، من قواعد الإسلام، شبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الإسلام بالبناء المرتكز علىٰ خمس دعائم عِظام:

- أولها: الشهادتان، ولا يُدْخَل في الإسلام إلا بها كما تقدم.
- وثانيها: الصلاة.
- وثالثها: الزكاة.
- ورابعها: الصوم.
- وخامسها: الحج.

❁ قد يقول قائل: لماذا لم يُذكَر الجهاد في هذا الحديث مع أنه من القواعد العظيمة ومن الفرائض الجليلة؟

- الجواب: قيل: السبب في ذلك: أن الجهاد "فرض كفاية" ولأنه ليس بواجب علىٰ الجميع أما هذه الفرائض، فهي عامةٌ في حق كل مكَّلَف من المسلمين.

قوله: («شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»): قد تقدم بيانها، وأنها أعظم شهادة علىٰ أعظم مشهود ومعناها: (لا معبود بحقٍ إلا الله)، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾[الحج:٦٢].

❁ ولها شروط ذكرها العلماء، في المطولات، والمختصرات:

فالأول: (العلم) قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد:١٩]، وفي حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

ثانيها: اليقين ،قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات:١٥].

ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»(٢).

ثالثها: (**الإخلاص**)، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾[الزمر:٢].

وعن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦)، عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣١).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥٧٠).

رابعها: (الصدق)، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[التوبة:١١٩].

ففي "صحيح البخاري": حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَىٰ الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا[1].

خامسها: (المحبة)، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾[البقرة:١٦٥].

ففي "الصحيحين" من حديث أَنَسٍ: أن النَّبِي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٩٤١)، ومسلم حديث رقم: (٤٣).

سادسها: (الانقياد)، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾[النور:٥١].

سابعها: (القبول)، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء:٦٥].

ثامنها: (الكفر بالطاغوت)، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة:٢٥٦].

ففي "صحيح مسلم": عَنْ أَبِىٰ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ «مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[1].

- وقد نضمها بعضهم في بيتين من الشعر:

علْمٌ يَقينٌ وَإخلاصٌ وَصدقكُ مَعَ ... مَحبـــةٍ وَانقيَـــادٍ وَالقَبُـــولُ لَهَـــا

وَزدْ ثَامِنُهَـــا الكُفْـــرانُ مِنْـــك بِمـــا ... سِوىٰ الإِلَه مِـنَ الأنـداد وَقَـد أُلِهـا

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٣).

قوله: («وَأَنَّ مُحَمَّدًا»): أي: وأشهد وأقر وأعترف أن محمدًا عبد الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: («عَبْدُهُ»): جاء بكلمة (عبد) للرد علىٰ الغلاة، الذين يرفعون محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوق منزلته، وربما دعَوْهُ، ورَجَوْهُ، واستشفعوا به، إلىٰ غير ذلك، وهو ميت، وقد وصفه الله عَزَّوَجَلَّ بالعبودية في أشرف المواطن:

- مواطن الاسراء، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء:١].

- ومواطن الوحي، قال تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[النجم:١٠].

- ومواطن إنزال الكتاب، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[الفرقان:١].

- ومواطن الدعوة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[الجن:١٩].

قوله: («وَرَسُولُهُ»): ردًّا علىٰ الجفاة الذين يزعمون أن محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ليس برسول وإنما هو رجلٌ ذكي استطاع أن يجمع المسلمين، علىٰ أفكارٍ تخيّلها لهم فهو عبد الله، وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾[الفتح:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾[الأحزاب:٤٠].

قوله: («وَإِقَامِ الصَّلَاةِ»): تقدم نقلَ الإجماع علىٰ أن تركها كُفْر، فقد قال عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة).

وقال هذا في جمعٍ من الصحابة، ولم يُنكَر عليه وقال شقيق ابن عبد الله: ما كان الصحابة يرون شيئًا تركه كُفْر إلا الصلاة، ومع ذلك جمهور العلماء لا يكفرون إلا الجاحد لها مع اتفاق جميعهم علىٰ قتل تارك الصلاة.

قوله: («وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ»): الزكاة المراد بها هنا المفروضة، وأنها تكون في أشياء مخصوصة، ويدخل في ذلك زكاة عروض التجارة علىٰ تفاصيل في كتب الفقه، **والأصل**: أن الزكاة تُخرَج في أهل البلد، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[1]، ويجوز أن تُنقَل إلىٰ البلد الأحوج من بلاد الإسلام.

قوله: («وَحَجِّ الْبَيْتِ»): قدّم الحج في هذه الرواية، وعليه اعتمد البخاري في ترتيب صحيحه، فقدّمَ كتاب الحج، قبل كتاب الصيام والرواية المشهورة، أن الصوم مُقَدّم علىٰ الحج.

قوله: («وَصَوْمِ رَمَضَانَ»): أي صوم شهر رمضان، وقد اختلف العلماء في بعض هذه الأركان، هل تاركها يكفر أم لا، أما الصلاة فقول جمهور أهل الحديث، أن تاركها كافر كفر أكبر مخرج من الملة، وأما الزكاة **فالصحيح**: أن من تركها جاحدًا كَفَر؛ لأنه جحودها إنكار شيء معلوم من الدنيا بالضرورة مما أنزله الله علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان إنما يبخل بها، فهو عاصي وهو تحت المشيئة كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٣٩)، عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»[1].

والشاهد قوله: «فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»: فالكافر منزله النار.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٩٧٨).

و استدل بعضهم علىٰ كفر تارك الحج؛ بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧]، **والصحيح**: أن تارك حج البيت مع القدرة، يُعتَبر من العصاة وعلىٰ خطر عظيم، ولا يكفر تاركه إلا بالجحود.

وصوم رمضان، واجبٌ علىٰ جميع المكلَفين أن يصوموه ورخصَّ الله عَزَّوَجَلَّ، للرضع والحبلىٰ، والمريض، والمسافر، في فِطْرِه، ويجب عليهم القضاء بعد ذلك، ولا يكفر إلا من أنكر وجوبه علىٰ القول الصحيح من أقوال أهل العلم، وقد تقدمَ في حديث عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بيان بعض المعاني الذي دل عليها هذا الحديث العظيم، فينبغي حفظ مثل هذه الأحاديث، وتعليمهم الصبيان حتىٰ يعرفوا ما لهم وما عليهم، ويكون عندهم تعظيم لما جاء عن الله، وجاء عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله: (**رواه البُخَارِيْ وَمُسْلِم..**) أي متفقٌ عليه، وقد تقدم بيانه، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

الحديث الرابع

«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ-: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؛ فَوَاَللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»[1].

الشَّرْح

قوله: (عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُوْدْ): وهو أبو عبد الرحمن الهُذلي، أسلمَ قديمًا وكان من علماء التفسير والقرآن، وهو القائل: (وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ)[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٤٥٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٤٦٣).

وهو القائل: (لقد أخذتُ من فِي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سبعين سورة لا يشاركني فيها أحدٌ)[١].

ومن فضائله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال له: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ»[٢]، وهذه فضيلة ومنزلة ربما لم يُشارَك فيها غيره.

ومن فضائله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال له: «اقرأ عليَّ القرآن» قال: أقرأ عليك وعليك أُنزِل؟ قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النِّسَاءِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾ [النساء:٤١]، فَبَكَىٰ، قَالَ مِسْعَرٌ: فَحَدَّثَنِي مَعْنٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مَا دُمْتُ فِيهِمْ، أَوْ مَا كُنْتُ فِيهِمْ»، شَكَّ مِسْعَرٌ[٣].

ومن فضائله رضي الله عنه: (أنه قام ليلةً يصلي بسورة النساء، فسَحَلَها سحْلا، فإذا برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، يسمع له ثم قال: «سَلْ تُعطَه، سَلْ تُعطَه»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢١٦٩).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨٠٠).

(٤) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧٥).

وكان من دعائه: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَعْلَىٰ غُرَفِ الْجَنَّةِ، جَنَّةِ الْخُلْدِ)[1].

ومن فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[2].

وله غير ذلك من الفضائل.

قوله: (حَدَّثَنَا رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ): أي: صادق في نفسه فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُسَمَّىٰ عند كفار قريش، "بالصادق الأمين" ولم يطعنوا في صدقه، ولمَّا قال لهم: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا[3].

سيأتي مزيد بيان لفضائل هذه الخصلة الكريمة.

قوله: (المَصْدُوْقُ): أي: المصدق من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادقًا في نفسه، مصدوق من ربه يأتيه الوحي بالخبر ولأحكام، وهذا القول من عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للإشعار بأن الحديث الذي سيأتي، ينبغي للمسلم أن يؤمن به، ويُصدِق ما دل عليه، وإن كان يظنه علىٰ خلاف

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٣٧٩٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (١٣٨)، وأحمد حديث رقم: (٤٢٥٥)، وابن حبان حديث رقم: (٧٠٦٧).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٩٧١).

عقله، فإن باب القدر، قائمٌ علىٰ الاستسلام لله والتسليم له، والقدر سر الله عَزَّوَجَلَّ، لم يُطلِع عليه نبيًا مرسلا، ولا ملكًا مقربا وقد تقدمت الأدلة علىٰ كينية الإيمان بالقدر عند حديث عمر الطويل المعروف بحديث جبريل.

قوله: («إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا نُطْفَةً»): الحديث في الصحيحين بدون ذِكر نُطْفَةً وإن كانت النطفة هي التي يقتضيها السياق إِنَّ أَحَدَكُمْ: أي: أي إنسان من الرجال، والنساء، وهذا مؤكد بقوله (إن) ومؤكد بالقَسَم في بعض الروايات: «والذي لا إله غيره وإِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا نُطْفَةً»، والنُطْفَةً هي بداية التكوين، وهي عبارة عن أمشاجٍ من مني الرجل وماء المرأة كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾[الإنسان:١-٢].

قوله: («ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ») : أي: أربعين يومًا أخرىٰ يكون فيها علقة وهي عبارة عن قطعةٍ من الدم، لم تتحول إلىٰ لحم.

قوله: («ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ»): أي: أربعين يومًا أخرىٰ يكون فيها مضغة، وهي عبارة عن لحمة، لا عظم فيها وهذه الأطوار الثلاثة: النطفة، والعلقة، والمضغة، لا تتعلق بها أحكام للجنين، فإنه إذا سقط في مدتها لا يُغسَل ولا يُصلَّىٰ عليه، ولا يلزم أن يُسَمَّىٰ وإذا دُفِن، يُدفَن في أي مكانٍ ولا يلزم منه أن يُدفَن كما يُدفَن أموات المسلمين وإنما تقع الأحكام بعد المائة والعشرين يومًا،

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]، وهذا بيان عظيم في كيفية خلقت الانسان.

قوله: («ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ»): وثم تأتي للتعقيب فإرسال الملك يكون بعد أن تتكون الخلقة، كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "الصحيحين": «إن لله عَزَّوَجَلَّ قد وكل بالرحم مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[1].

وفي حديث حُذَيفة ابن أسِيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "صحيح مسلم": «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥٩٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٤٦)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ »[1].

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح صحيح مسلم": قَالَ الْعُلَمَاءُ طَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ لِلْمَلَكِ ملازمة ومراعاة لحال النطفة، وأنه يقولك يارب هَذِهِ عَلَقَةٌ، هَذِهِ مُضْغَةٌ، فِي أَوْقَاتِهَا فَكُلُّ وَقْتٍ يَقُولُ فِيهِ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ أَعْلَمُ سُبْحَانَهُ، وَلِكَلَامِ الْمَلَكِ وَتَصَرُّفِهِ أَوْقَاتٌ: أَحَدُهَا: حِينَ يَخْلُقُهَا اللهُ تَعَالَىٰ نُطْفَةً ثُمَّ يَنْقُلُهَا عَلَقَةً وَهُوَ أَوَّلُ عِلْمِ الْمَلَكِ بِأَنَّهُ وَلَدٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ نُطْفَةٍ تَصِيرُ وَلَدًا وَذَلِكَ عَقِبَ الْأَرْبَعِينَ الْأُولَىٰ، وَحِينَئِذٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقَاوَتَهُ أَوْ سَعَادَتَهُ، ثُمَّ لِلْمَلَكِ فِيهِ تَصَرُّفٌ آخَرَ فِي وَقْتٍ آخَرَ وَهُوَ تَصْوِيرُ هُو خلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وَعَظْمِهِ، وَكَوْنُهُ ذَكَرًا أَمْ أُنْثَىٰ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَرْبَعِينَ الثَّالِثَةِ: وَهِيَ مُدَّةُ الْمُضْغَةِ وَقَبْلَ انْقِضَاءِ هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ وَقَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ لِأَنَّ نَفْخَ الرُّوحِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ صُورَتِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي إِحْدَىٰ الرِّوَايَاتِ: «فَإِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يارب أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول: ربك ما شاء ويكتب الملك وذكر رزقه»، فقال الْقَاضِي وَغَيْرُهُ: لَيْسَ هُوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَلَا يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ بَلِ الْمُرَادُ بِتَصْوِيرِهَا وَخَلْقُ سَمْعِهَا إِلَىٰ آخِرِهِ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٤٥).

أَنَّهُ يَكْتُبُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَفْعَلُهُ فِي وَقْتٍ آخَرَ؛ لِأَنَّ التَّصْوِيرَ عَقِبَ الْأَرْبَعِينَ الْأُولَىٰ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الْعَادَةِ وَإِنَّمَا يَقَعُ فِي الْأَرْبَعِينَ الثَّالِثَةِ وَهِيَ مُدَّةُ الْمُضْغَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]، ثم يكون للملك فيه تصوير آخر وهو وقت نَفْخِ الرُّوحِ عَقِبَ الْأَرْبَعِينَ الثَّالِثَةِ حِينَ يَكْمُلُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ.

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ نَفْخَ الرُّوحِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ..» **فَقَوْلُهُ**: «ثُمَّ يُبْعَثُ بِحَرْفِ ثُمَّ يَقْتَضِي تَأْخِيرَ كَتْبِ الْمَلَكِ هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَىٰ مَا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ»، الثَّالِثَةِ وَالْأَحَادِيثُ الْبَاقِيَةُ تَقْتَضِي الْكَتْبَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ الْأُولَىٰ وَجَوَابُهُ أَنَّ قَوْلَهُ ثم يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمُلْكُ فَيُؤْذَنُ فَيَكْتُبُ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَمُتَعَلِّقٌ بِهِ لَا بِمَا قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: «ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ» مُعْتَرِضًا بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَذَلِكَ جَائِزٌ مَوْجُودٌ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَغَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ.

قَالَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ: وَالْمُرَادُ بِإِرْسَالِ الْمَلَكِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَمْرُهُ بِهَا وَبِالتَّصَرُّفِ فِيهَا بِهَذِهِ الْأَفْعَالِ وَإِلَّا فَقَدْ صَرَّحَ فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ موكل بالرحم، وأنه يقول يا رب نطفة، يا رب عَلَقَةٌ، قَالَ الْقَاضِي وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ يا رب أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ لَا يُخَالِفُ مَا قَدَّمْنَاهُ وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ بَعْدَ الْمُضْغَةِ بَلِ ابْتِدَاءٌ لِلْكَلَامِ، وَإِخْبَارٌ عَنْ حَالَةٍ أُخْرَى فَأَخْبَرَ أَوَّلًا بِحَالِ الْمَلَكِ مَعَ النُّطْفَةِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ إِظْهَارَ خَلْقِ النُّطْفَةِ عَلَقَةً كَانَ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ الْمُرَادُ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرَ مِنَ الرِّزْقِ وَالْأَجَلِ وَالشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالْعَمَلِ وَالذُّكُورَةِ وَالْأُنُوثَةِ أَنَّهُ يُظْهِرُ ذَلِكَ لِلْمَلَكِ وَيَأْمُرُهُ بِإِنْفَاذِهِ وَكِتَابَتِهِ وَإِلَّا فَقَضَاءُ اللهِ تَعَالَى سَابِقٌ عَلَى ذَلِكَ وَعِلْمُهُ وَإِرَادَتُهُ لِكُلِّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي الْأَزَلِ. اهـ

وفيه: دليل على الايمان بالملائكة، فمنهم ملائكة موكلة بالقطر وملائكة موكلة بقبض الأرواح، وملائكة موكلة بكتابة أعمال بني آدم، وملائكة موكلة بالأرحام، وما فيها من الأجنة، يكتبون أرزاقهم، وآجالَهُم، وأعمارهم، وهل هم من أهل الشقاوة، أو من أهل السعادة كما تقدم .

قوله: («فَيَنفُخُ فِيهِ الرُّوحَ»): وهذا دليلٌ على أن النفخ في الروح يسير ولهذا كان دور النطفة، والمضغة، والعلقة مائة وعشرين يوم ومما يدل على ذلك أنه عقَّبَها بالفاء الدالة على الاتصال.

قوله: («وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ»): أي يؤمَرُ الملَك الموكل بالرحم بأربع كلماتٍ، يكتبها وهذا يسمىٰ بالتقدير العمري علىٰ ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ والمراد بالكلمات أربع جمل.

قوله: («بِكَتْبِ رِزْقِهِ»): الرزق العطاء وهو ما ينال الإنسان من طعام، أو شراب أو كساءٍ، أولباسٍ وغير ذلك فهو أعم من المال الذي يأخذه الإنسان بيده، فكل ما يُرزَقه الإنسان، من طعامٍ أو شرابٍ، أو لباسٍ ، أو أبناء، أو زوجة، أو بيت كله من رزق الله عَزَّوَجَلَّ، فيُكتَب ذلك له وهو في بطن أمه، قال تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾[الذاريات: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾[الملك: ١٥].

وقوله: («وَعَمَلِهِ»): من صالحٍ أو طالحٍ كله مكتوبٌ من حين يُنْفَخ فيه الروح.

وهذا كما تقدم من باب التقدير العمري، وأما التقدير العام فقبل ذلك.

قوله: («وَأَجَلِهِ»): أي عمره، وهذا رد علىٰ الرافضة، والمعتزلة الذين يزعمون أن من مات بحادث، أو بقتلٍ انخرَمَ أجله والصحيح أن من مات موتًا طبيعيًا كما يُقال أو مات مقتولًا أو مدهوسًا فإنه قد انتهىٰ أجله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ﴾[آل

عمران:١٤٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾[الرعد:٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾[النحل:٦١].

وقوله: («وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ»): أي ويُكتَب هل هو من أهل الشقاوةِ أو من أهل السعادة، وأهل الشقاوة المطلقة هم أهل النار، الكفار، وأهل السعادة المطلقة هم أهل الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الأعلىٰ:١١-١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٥-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿* وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾[هود:١٠٨]

- **وهذه الأربع الكلمات**، تُكتَب عند الملَك والله عَزَّوَجَلَّ يعلمها ازلًا وأبدًا؛ لحديث عبد الله بن عمرو ابن العاص عند المسلم قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ الله كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[1].

قوله: («فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ»): فيه: جواز الحلف بغير استحلاف والحلف يؤتىٰ به لتوكيد الأمر الذي يُحلَف عليه وهذا الذي قاله النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَلِف بالله.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٥٣).

❁ وأيمان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كثيرة: منها قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»، و«وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ»، و«لاَ وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ»، ونحو ذلك من الأيمان.

قوله: («إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»): هذا مُفَسَّر بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[1].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خارج "الصحيح": «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَخْتِمُ اللَّهُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَجْعَلُهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يَخْتِمُ اللَّهُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَجْعَلُهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[2]، وليس معناه الركون إلىٰ ما في الكتاب وأنه يدخل النار، بغير عمل قدّمَه.

❁ وإنما دال الحديث مع بقية الأحاديث: أن أهل الجنة يُختَم لهم بعمل أهل الجنة، وأهل النار يُختَم لهم بعمل أهل النار.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٥١).

(٢) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (٦١٧٦).

- وفي حديث سهل بن سعد في "الصحيحين": قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

- وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ، حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمْرِهِ، أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ "يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»(٢).

❁ ودل الحديث أيضًا: (**إنما الأعمال بالخواتيم**): فالإنسان يُقضىٰ له بما خُتِمَ له إن كان آخر عمله عمل أهل السعادة، فهو للسعادة وإن كان آخر عمله الذي مات عليه عمل أهل الشقاوة، فهو من أهل الشقاوة نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة

- **والحديث لا يدل علىٰ** أن الذي يُختَم له بعمل أهل النار مطلقًا، هم أصحاب الخلود في النار بل قد يكون، من عصاة المسلمين، فيكون متوعَّد بالنار، ومآله إلىٰ الجنة، فإن المسلم حتىٰ وإن دخل النار للتصفيةَ والتنقية، مآله

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٨٩٨)، ومسلم حديث رقم: (١١٢).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٢٢١٤).

إلىٰ الجنة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨].

وفي حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»[1].

قوله: («وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»): فيه: أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يدخل النار أحد إلا بذنبه ومعصيته كما أخبرَ عن نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾[فصلت:٤٦]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾[الكهف:٤٩]، فمن دخل الجنة فسببه ما قدم من الأعمال الصالحة، قال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾[الزخرف:٧٢]، و(الباء) هنا باء السبب، أي: أن دخولكم الجنة بسبب العمل الصالح، لا باء العُوَض، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدٌ منكم الجَنَّةَ بعَمَلُهُ»، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ منه وفَضْلٍ»[2].

- **وكذلك أهل النار لا يدخلون النار، إلا بعملٍ قدموه وبذنبٍ اقترفوه.**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٦٧٣)، ومسلم حديث رقم: (٢٨١٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: («حَتَّى مَايَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»): وهذا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده المؤمنين، أنه لا يؤاخذهم بما مضىٰ من أعمالهم قبل الاستقامة أو بما أذنبوه ثم تابوا منه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه:٨٢]، بل إن الله يبدل السيئات حسنات كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[الفرقان:٧٠].

- وفي الحديث: وعيدٌ شديد وهو أن يبقىٰ العبد خائفًا وجِلًا: أن يُختَم له بعمل أهل الشقاوة، حتىٰ وإن كان عمله في الحال صالحًا، فعليه أن يبقىٰ داعيًا لله عَزَّوَجَلَّ أن يثبته علىٰ طريق الاستقامة والهداية ولهذا أوجب الله عَزَّوَجَلَّ علينا قراءة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة:٦-٧]، في كل ركعة من الصلاة فرضًا ونفلًا.

- وفي الحديث: رجاءٌ من المؤمنين بربهم؛ وذلك أنه جعلهم من أهل السعادة، يعملون بطاعته ويبادرون إلىٰ مرضاته، ويعتصمون بكتابه ويلتزمون سنة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وفي الحديث: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» قَالَ: قُلْنَا: لَا، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَىٰ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى،

بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، لَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ: «هَذَا كِتَابُ أَهْلِ النَّارِ، بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، لَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلِأَيِّ شَيْءٍ إِذَنْ نَعْمَلُ إِنْ كَانَ هَذَا أَمْرًا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ لَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ»، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ فَقَبَضَهَا ثُمَّ قَالَ: «فَرَغَ رَبُّكُمْ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْعِبَادِ»، ثُمَّ قَالَ بِالْيُمْنَىٰ: فَنَبَذَ بِهَا، فَقَالَ: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ»، وَنَبَذَ بِالْيُسْرَىٰ، فَقَالَ: «فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»[1].

ولا ينبغي للإنسان أن يتكل علىٰ الكتاب ويتوقف عن العمل، والجُهَال وأما المؤمن فهو علىٰ ما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[2].

وفي حديث علي بن أبي طالب في "الصحيحين": «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٦٥٦٣).

- وهو حديث حسن وخرجه الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند".

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٩٤٩)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٤٧).

أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[الليل:٥-١٠](١).

- وفي الحديث من الفوائد: أن الله عَزَّوَجَلَّ على كل شيء قدير: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[يس:٨٢]، فَلَو أراد أن يكون هذا المخلوق في ساعةٍ، أو دقيقةٍ، أو لمحة بصر لكان، ولكن حكمته اقتضت، أن يتدرج هذا المخلوق، على هذا النحو من التدرج.

- وفيه: أن الحياة الحقيقية تكون بنفخ الروح ولهذا جاء في الحديث: «مَنْ فَارَقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ»(٢)، فإن الإنسان يموت بخروج الروح من الجسد.

- وفيه: أن هذه الكتابة مما أوحاه الله إلى الملائكة، وأن ما في علم الله الأزلي لا يتغير ولا يتبدل إن كان الإنسان من أهل الشقاوة، فهو في علم الله، من أهل الشقاوة، وإن كان من أهل السعادة، فهو في علم الله من أهل السعادة.

والحديث دليلٌ على الإيمان بالقدر، خيره، وشره، من الله على ما تقدم بيانه وفوائده كثيرة.

والقدرية لم يستوعبوا هذا الحديث؛ ولذلك قال عمرو بن عُبَيْد بن باب عليه من الله ما يستحق: [لو حدثني بهذا الحديث الأعمَش لكذبته، ولو حدثني زيد بْن وهب لما قبِلتُه، ولو حدثني عَبْد الله بْن مسعود لرددتُه، ولو حدثني

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٣٦٢)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٥٧٣)، وابن ماجه حديث رقم: (٢٤١٢).

رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما أخذتُه، ولو حدثني الله عَزَّوَجَلَّ لقلت: ما علىٰ هذا أخذت العهد والميثاق] **نعوذ بالله من الخذلان**.

ولهذا ينبغي أن نُكثر من قول: «يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، «ويَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْوبَنَا عَلَى دِينِكَ»، فإن الأمر لله من قبل، ومن بعد.

الحديث الخامس

«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالَتْ قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رد»، رواه البخاريُّ ومُسلم، وفي روايةٍ لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ»[1].

الشَّرْح

قوله: (عَنْ عائشةَ): هي أم المؤمنين؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، وكنّاها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ(أم عبد الله)، وقال في شأنِهَا: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[2].

ولَم يتزوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكرًا غيرها، عَقَد عليها وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثمانية عشر سنة، وهي فقيهة هذه الأمة من النساء فقد روت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث كثيرة، وبعض الأحاديث مما لم يطَّلِع عليه الرجال، فحفِظَت واستفاد الناس

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم حديث رقم: (١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٤٣٣)، ومسلم حديث رقم: (٢٤٣١)، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

من علمها، وقد كان في شأنها عدة بركات للأمة، فمنها أن الله عَزَّوَجَلَّ: شرع التيمم حين حُبِسَ الناس علىٰ عَقْدٍ لها؛ ففي "الصحيحين": عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَتْ: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، فَأَتَىٰ النَّاسُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلاَ تَرَىٰ مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَىٰ فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ فَخِذِي، «فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا»، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ)[1].

وهذا من النعم العظيمة بل ومن خصائص هذه الأمة حيث جعل الله عَزَّوَجَلَّ التربة لهم طَهُورًا، فإذا لم يجد أحدٌ الماء ما عليه إلا أن يضرب بيده علىٰ ما علا من الأرض ثم يمسح وجهه وكفيه وقد اختلف العلماء في هذه المسألة، هل

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٣٤)، ومسلم حديث رقم: (٣٦٧).

يلزم التراب أم لا يلزم، والذي يظهر ورجَّحَه الشنقيطي وغير واحد من المتقدمين والمتأخرين أنه لا يلزم، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣].

- والصعيد: كل ما صَعَد علىٰ وجه الأرض، وقوله: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَطَهُورًا»[1]؛ هذا للغالب؛ لأن أكثر ما يتيمم به التراب، وإلا فقد سافر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ تبوك ومعلوم ما لحقهم من قِلةِ الماء، فاحتاجوا إلىٰ التيمم، والطريق إلىٰ تبوك أغلبها رِمال، وليس فيها تراب.

- ومن بركتها رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أنها حين اتُهِمَت بما برأها الله منه وكان الذي تولىٰ كِبر ذلك القول: عبد الله بن أُبيّ بن سلول واتُهِمَت برجلٍ من الصالحين، قال عنه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا»، أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في شأنها قُرْآنًا يُتْلَىٰ وتكَّلم فيها بالوحي يُبرءؤها مما اتهمها به المنافقون قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور:١١]، الآيات.

- وسلَّمَ عليها جِبْرِيل عليه السلام.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣١٧).

- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات بين حانِقَتِها، وذاقِنَتِها وفي حِجْرِها وآخر ما ناله أنها بللت له السِواك فأخذه من فِيهَا وجعلَ يتسَوَّك به، ودُفِنَ في حجرتِها.

والأحاديث في "الصحيحين" في بيان ذلك كله وإنماء هذه إشارات.

وفضائلها كثيرة وهي زوجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة، كما قال عمار ابن ياسر «إِنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّهَا مِمَّا ابْتُلِيتُمْ»[1].

قوله: («مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»):هذا حديثٌ عظيم وهو ميزانٌ للأعمال الظاهرة، وقد تقدم معنا أن حديث الأعمال بالنيات، ميزانٌ للأعمال الباطنة، فأيُ عملٍ لا يُرَاد به وجه الله عَزَّوَجَلَّ، فهو مردود علىٰ صاحبه، وأيُ عملٍ يعمله الإنسان، ولم يكن علىٰ طريقة رسول لله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مردود علىٰ صاحبه، ويدل علىٰ معنىٰ هذا الحديث، آيات كثيرات:

- منها: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر:٧].

- ومنها: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب:٢١].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٠١).

- ومنها: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران:١٣٢]، في آيات كثيرات بأمر الله عَزَّوَجَلَّ بطاعته رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بل يجعل طاعته طاعة لله فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾[النساء:٨٠].

- ومنها: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[آل عمران:٣١].

- ومنها: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾[الأعراف:٣].

- ومنها: قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[النساء:٦٥].

ومن الأحاديث ما كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، يكرره في خطبة الحاجة في كل جمعة كما في حديث جابر بن عبد الله في "صحيح مسلم": «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1]، فشر الأمور المحدَثة في الدين، التي لم تكن علىٰ عهد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقد أحسن ابن حزم إذ يقول:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨٦٧).

فَخيرُ الأمُور السَّالِفاتِ عَلىٰ الهُـدىٰ وَشـرُ الأمُـورِ المُحْـدَثات البـدائعِ

وسيأتي حديث العِرْبَاض بن سارية الذي أخرجه أبو داوود والترمذي وغيرهما، وهو حديثٌ مُحتَجٌّ به ذكره الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في كتابه "الصحيح المسند"، وفيه أنهم قالوا: يا رسول الله إن هذه موعظة مودع، فأوصِنا قال: «أُوصيكُمْ بِتقْوَى اللهِ، والسَّمعِ والطاعةِ، فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكمْ فسَيَرَى اخْتلافًا كثيرًا، فعليكُمْ بِسُنَّتِي وسنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشِدينَ المهديِّينَ، عَضُّوا عليْها بالنَّواجِذِ، وإيّاكُمْ ومُحدثاتِ الأُمورِ فإن كل محدثةٍ بِدعه وَكل بِدعة ضلالة»، و(كلَّ) من ألفاظ العموم.

قوله: («مَنْ أَحْدَثَ»): أي حدَثٍ في الدين كان، سواءً كان الحدث صغيرًا أم كبيرًا، فهو بدعه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب:٤٦].

- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن دعا إلىٰ غير الله فقد أشرك، ومن دعا إلىٰ الله بغير إذنهِ فقد ابتدع).

قوله: («فِي أَمْرِنَا»): المراد به الدين، أي من اخترع في هذا الدين الذي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته فقد ابتدع؛ لأن الله قد أتم دينه وأكمله؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

﴿لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣]، فالمبتدع كأنه يستدرك على الله عَزَّوَجَلَّ، وعلى رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلى السلف رضوان الله عليهم.

قوله: («هَذَا»): إشارة إلى الدنين وعبر عنه باسم الإشارة الذي يدل على القرب.

قوله: («مَا لَيْسَ مِنْهُ»): أي: الذي ليس من شرع الله ولا من وحيه ولا من تنزيله فما عمل به بدليل شرعي من الكتاب والسنة فهو من الذي وما قام على الرأي المجرد والقياس الفاسد فليس من الدين.

قوله: («فَهُوَ رَدٌّ»): أي مردودٌ عليه، لا يقبله الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان:٢٣]، فشرطا قبول العمل: (**الإخلاص، والمتابعة**) وقد تقدمت الأدلة:

- **ومنها**: ما أخرجه الشيخان عن أنس رضي لله عنه قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ

إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)].

- **ومنها**: ما جاء عن عبد الله بن مسعود قوله: (**واقتصاد في سنة**)، خير من اجتهاد في بدعة وهذه قاعدة سلفية أصيلة، أن الإنسان وإن قل عمله مع السُنة، فهو خير وأفضل ممن كَثُر عمله مع البدعة، بل إن صاحب البدعة يلحقه الإثم، والتبعات، وقد جاء في الاثر أن رجلًا أحرمَ من مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحج فسأل سعيد بن المسيب فقال له: أترىٰ يُعذِبني الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أميالٍ أزيدها؟ فقال: (**يُعَّذِبُك علىٰ مخالفة السنة**).

- **ومنها**: صلىٰ بعضهم بعد العصر، فأنكر عليه بعض السلف فقال: أيُعذبني الله علىٰ الصلاة؟ قال: (**يُعَّذِبُك علىٰ مخالفة السنة**).

فالواجب على الإنسان: أن لا يخالف ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولًا، أو فعلًا، أو تقريرًا، فما جاءنا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففيه الكفاية، والغنية، فقد كان السلف يكرهون المحدثات.

وفي "سنن الدارمي" عن أبو موسىٰ الأشعري فقال: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّىٰ خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَىٰ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٠٦٣)، ومسلم حديث رقم: (١٤٠١).

رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: «**أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ**»، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟**» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: «**فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ**»، قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: «**وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَدَّثَنَا أَنَّ: «قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»**، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ[(١)].

أي: قتلوا في النهروان علىٰ بدعة الخوارج فالبدعة سببٌ والعياذ بالله لسوء الخاتمة.

---

(١) أخرجه الدارمي حديث رقم: (٢١٠).

قوله: (وفي روايةٍ لمسلمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ»): الرد علىٰ من عمل بعمل قد أحدثه غيره، فسواءٌ أحدثه بنفسه، أو أحدثه غيره، والبدع تبدأ صغيرة، ثم تكبر، فالإنسان لا يتصاغر البدعة والإحداث في الدين، بل عليه أن يكون منكرًا لها، ولذلك كان السلف يهجرون أهل البدع، ويُجَرِّحونهم ويحذرون منهم؛ لأن الابتداع ضرره علىٰ الدين عظيم حتىٰ قيل: (ما تُرِّكَت سُنة إلا عُمِل بمثلها بدعة، وإذا حلَّت البدعة ذهبت السنة، وإذا وُجِدَت السنة، ذهبت البدعة)؛ لا، وأما ما يذكره بعضهم من أن البدع تنقسم إلىٰ قسمين، بدعة حسنة، وبدعة سيئة فهذا تقسيم لا دليل عليه، وقد أنكره كثير من أهل العلم.

- وأما قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرِهَا وأَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، إِلَى يَوْمَ القِيَامَة، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فعَلَيْهِ وِزْرَها وَوِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، إلى يوم القِيَامَة»[1].

فالمراد: أن هذا رجل أحيا السُنة التي كانت قد انطمست أو جُهلت، فإنه بدعوته إليها، كأنه أحياها ويؤجر علىٰ ذلك الأجر العظيم، وأما قول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: في شأن صلاة التراويح (نِعْمَت البدعة)، فيذكر العلماء: أن المراد بالبدعة هنا البدعة اللغوية لا الشرعية، فإن قيام الليل في رمضان في المسجد كان أصله في عهد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقد صلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ثلاث ليالٍ بأصحابه في المسجد، كما صح من حديث أبي ذَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والنعمان

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠١٧).

بن بشير، وفي حديث عائشة وزيد بن ثابت في الصحيحين أنه صلىٰ في المسجد فصلىٰ الناس بصلاته فالحديث حُجَّة علىٰ كل من أراد الإحداث في دين الله عَزَّوَجَلَّ، قولًا، أو فعلًا، أو اعتقادًا، فالحذر الحذر من البدع، فإنها من أسباب بُغْض الله للعبد، ومن أسباب حجب التوبة عن العبد.

- **وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يدع بِدعَتَه»[1]، قال الأمام أحمد: (**أي: لا يُوَفّق للتوبة**).

وهنا مسألة وهي: أن البِدَع تنقسم إلىٰ قسمين: (**مخرجة من الملة، وغير مخرجة منها**)، فبدعة الجهمية، والرافضة، والباطنية وغُلاة الصوفية وعُبَّاد القبور، مخرجة من الملة أي: صاحبها ليس من الثنتين والسبعين فرقة وبدعة التحزب والخروج، غيرها غير مخرجه من الملة وهي بدعة مفسقة، دون هذا في الشأن، لكن صاحبها علىٰ خطر عظيم، إن لم يتداركه الله بتوبة، ومات علىٰ الإحداث في الدّين، فيُخشىٰ أن يُطرَد من حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكريم كما قال عليه الصلاة والسلام : «فَيُؤتى بأُنَاسٍ من أُمَّتِي فَيُذَادَوُنَّ كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُّ؛ فَيَقُول يَا رَبْ مِنِّي وَمِن أُمَّتِي فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدرِي مَاذَا أَحْدَثُوا بَعدَكَ. فَأَقُولُ: سُحقًا سُحقًا، بُعدًا بُعدًا»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه بنحوه حديث رقم: (٥٠).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥٨٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٦)، بنحوه.

- **وكما قال النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ! أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ يَا رَسُوْل الله: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «قَوْمٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَهْتَدُونَ بِغَيْرِ بِهَدْيِي، وَيَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسُ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْس بِوَارِدٍ عَلَيَّ الحَوْضِ، وَمَنْ لَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، فَهُو مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِد عَلَيَّ الحَوْضِ»[(١)].

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٥٢٨٤).

الحديث السادس

«إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ أبي عبد الله النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سمعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1].

الشَّرْح

قوله: (عَنِ أبي عبد الله النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ): هو وأبوه صحابيان وهو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحه ولد علىٰ رأس أربعة عشر شهرًا من الهجرة، وهو أول مولود ولد من الأنصار بعد الهجرة.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٢)، ومسلم حديث رقم: (١٥٩٩).

وأُمُه: عَمْرَة بنت رواحة، طلبت من أبيه أن يهبَ له غُلامًا ويُشهِد علىٰ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوهبَ له غُلامًا، ثم ذهب يُشهِد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ»[1]،وفي رواية: «لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ»[2].

وهم من الأنصار وفضلهم عظيم، دعاء لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»[3].

قوله: («إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ»): هذا حديثٌ عظيم القدر، ورفيع المنزلة يتعلق به بيان الحلال والحرام، وما بين ذلك، فالأمور تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: (**الحلال المحض**): الذي يعلم حِلَه العالم والجاهل والحضَري والبَدَوي، كحِل الطعام وحِل الفواكه، وحِل ذبيحة بهيمة الأنعام.

القسم الثاني: (**حرام محض**): يعلمه من تقدّم كالسرقة والخمر، والزنا، ونحو ذلك، ومنها أمورٌ مشتبهة بين الحِل والحرمة وهذا الاشتباه، لا يكون لجميع الناس وإنما يكون الاشتباه عند أصنافٍ من الناس والله عَزَّوَجَلَّ يقول:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٢٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٦٥٠).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٩٠٦)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٠٦)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء عند أحمد وغيره عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف:٧٦]، فما أشكل عليك من أمرٍ فارجعهُ إلىٰ أهل العلم العلماء: قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣]، وقد حذَّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العلماء من كتم العلم: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

القسم الثالث: (أمور مشتبهة): وهذه الأمور المشتبهة، إما لعدم قوة الأدلة فيها، في بيان حِلها وحُرمَتِها، وإما لقلة فَهمِ القارئ أو السامع، أو المجيب، وإما لسوء قصدٍ عند بعض الناس، وربما يكون المشتبه فيه "حلال" كالخيل، وعند مالكٍ وغيره من العلماء "حرام" واستدلوا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل:٨]، **قالوا**: ما خلقها الله للأكل، وإنما خلقها الله للركوب والزينة، ورَدَّ عليه من أباحها بما ثبَتَ من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأسماء وكلاهما في "الصحيح"، قال: «**نَحَرْنَا فَرَسًا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَأَكَلْنَاهُ**»(٢)، فلا يُمنع أن يكون زينة ويؤكل، كما أن البقر للحرث وتؤكل.

ومن المشتبهات: (**الضِبْ**): فبعضهم يراه من الحشرات المستقذرة، حتىٰ أن بعض العلماء جعل من أسباب التحريم الاستقذار، **والصحيح**: أنه ليس من

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٣٦٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند أحمد وابن ماجه وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٥١٩)، ومسلم حديث رقم: (١٩٤٢).

أسباب التحريم، فالحرام ما حرمه الله والحلال ما أحله الله، وإلا لو عدنا إلىٰ مسألة الاستقذار، لرأينا أن كثيرًا من الناس في المناطق الجبلية يألفون أشياءً وكثيرًا من الناس في المناطق الساحلية، يألفون أشياءً، وتجد العكس، فهل نقول هذا الأمر المستقذر عند من استقذره حرام؟ وعند من استطابه حلال؟

الجواب: فالمسائل التي اختلف فيها الناس الحق واحد، وهو ما دل عليه الدليل فعلىٰ المسلم، أن يلازم الحلال في المأكل، والمشرب، والملبس، والمنكَح وغير ذلك، والحلال هو المأذون فيه من الله عَزَّوَجَلَّ، والحرام هو الذي منعه الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء:٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة:٩٠]، فالمشتبهات ينبغي للإنسان أن يكون حذرًا منها، مبتعدًا عنها حتىٰ يسأل؛ لأنه إذا سأل من هو أعلم منه، فأفتاه بالدليل انشرح صدره لِمَا أفتاه به، فإن كان حلالًا أكله واستخدمه بطمأنينة نفس، وإن كان حرامًا تركه علىٰ ذلك، وهو منشرح الصدر، أما فِعل المُشتبَه فهو حرج، ولذلك تجد كثيرًا من الناس يسألون في هذه الأمور المشتبهه، فيفعلونها ثم يتحرجون، لو تَرَكُوها حتىٰ يأتيهم العلم لسَلِم لهم دينهم، وعقيدتهم.

قوله: («لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ»): معناه: أن كثيرًا من الناس يعلمون هذه المُتَشَابِه، ويعلمون حكمه لأدلته، وهناك أُناسٌ كثر آخرين، لا يعلمون الحكم، ويُشْكِل عليهم الأمر.

قوله: («فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ»): أي: من جعل بينه وبين الشبهات وقاية، وابتعد عنها وحذِرَها علىٰ نفسه، وعلىٰ أهله.

قوله: («فَقَد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»): وهذه، مسألة الورَع التي ينبغي للناس أن يتحَّلوا بها، فإنها قد تحول بين الإنسان، وبين كثيرٍ من المعاصي، بل ربما يترك الوَرِع المباحات خشية أن تحول بينه وبين طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وقوله «فَقَد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ» أي: أنه لم يقع في الحرام، «وَعِرْضِهِ» أي: حمىٰ نفسه من الكلام فيه من أجلها، في الإنسان حين يقع في الحرام، يتكلم فيه الناس، يذمونه، وربما هتكوا ستره، وربما رفعوا أمره إلىٰ السلطان، وربما جُلِدَ، ورُجِم إذا كان الشأن يتعلق بحرامٍ ظاهر.

وهكذا المشتبهات ربما الذي يراها من المحرمات يتكلم فيه، ويقول هذا يفعل، ويفعل، فيكون عِرضَه عُرْضَةٌ للكلام، والتحذير، والسخرية، وغير ذلك، بينما إذا استبرأ وتركها وابتعد عنها، حصل له البراءة في دينه والبراءة في عِرضِه والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما قلب صفيةٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في ليلةٍ مُظلمة من المسجد، إلىٰ بيته، ثم رأىٰ رجلين من الأنصار يسرعان في الخُطىٰ فقال: «على رُسْلِكُما، إنها

صفية بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالاَ سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا»[1].

- وقد قال مَن قال من أهل العلم: ينبغي للداعي إلىٰ الله وللعالم، إذا تُكُلِّمَ في عرضه أن يُبَيِّن، استدلالًا بهذا الحديث.

وقد حرم عَزَّوَجَلَّ علينا الوقيعة في الأعراض: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[2].

قوله:(«وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ»): أي: قارب الحرام فلو كان من وقع في الشبهات وقع في الحرام، بمعني أنه ارتكب الحرام، لكان حكم الشبهات الحرمة والتحريم فيها ظاهرٌ، لكن التحريم غير ظاهر هنا، ولكن من وقع في الشبهات يوشك أن يقع في الحرام، وعبَّر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بلفظ الوقوع بالفعل الماضي، لبيان أن فاعل ذلك قريبٌ من الحرام.

قوله: («كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى»): هذا هو الدليل علىٰ ما قلناه مِن أنه ما وقع حقيقةً وإنما قارب ذلك من قوله: «يُوشِك أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ»، فرجل له إبل أو غنَم أو بقَر يرعَىٰ حول مزرعة إنسان آخر، فإذا اقترب منها يوشك أن ترتعَ فيها الدواب فيقع الضرر عليه وعلىٰ صاحب المزرعة وتحصل الخصومة ربما.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٢٨١)، ومسلم حديث رقم: (٢١٧٥).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٧٩).

قوله: («أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى»): أي: محمية، فالملوك يجعلون محميات في بلدانهم، حتىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جعل محميات لإبل الصدقة، وجعل محميات لبعض الناس الذين أتوا إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقالوا يا رسول الله: اجعل لنا منطقة كذا، فيقول: هي لكم، فالمحميات قد تُجعَل إما للمحافظة علىٰ البيئة كما هو الحال الآن أو المحافظة علىٰ بعض الحيوان من الانقراض، أو جَعْل بعض الأماكن لإبل الدولة، وأغنام الدولة، أو ما يختص بذلك.

قوله: («أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُه»): (ألا): للتنبيه، والله عَزَّوَجَلَّ هو ملِك الملوك، فله حِمىٰ وهذه الحِمىٰ هي المحارم، أمرَ بالابتعاد عنها، والحذر منها، ومع ذلك تجد كثيرًا من الناس يقرب منها، ويرتكب ذلك، نسال الله السلامة، فكم حرم الله من المحرمات سدًا لذرائع محرمات أعلىٰ منها كغض البصر سدًا لذريعة الزنا.

قوله: («أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ»): أتىٰ إلىٰ مسألة أخرىٰ وهي مسألة القلب، وما يتعلق به من صلاحٍ، وفساد، لهذا الجسم، وإذا تأملت القرآن لوجدت فيه الوصف العجيب للقلوب، فقلب المؤمن يوجَل، ويرهب، ويرجو، ويخاف، وغير ذلك من أعمال القلوب.

وقلب الكافر، والمنافق، مريض، وأغلف، وسقيم، ولا يفقه، ولا يعقِل، وغير ذلك من أمراض القلوب، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة.

قوله: («إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ») أي: إذا صلح القلب صارت الجوارح علىٰ سيّره، وانقادت لما هو فيه، وكما يُقال: (ما أسرَّ رجلٌ سريرة... إلاَّ أظهرها الله علىٰ صفحاتِ وجهه، وفلتات لسانه)؛ فإن القلب هو الذي تتعلق به الإرادات، فما من إنسان يقع في الحرام، إلا وقد نوىٰ الحرام، وتعلقت الخاطرة ثم الإرادة، ثم العزم، في القلب، وما من رجل يقع في الحلال إلا وقد تعلق بذلك النية والخاطرة، والعزم، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، ونؤمن بذلك، ونثبت لله صفة الأصابع، لله عَزَّوَجَلَّ كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فقلوب العباد بين أصابعه وهو في علوه علىٰ عرشه، يقلبها كيف يشاء.

وقيل: سُمِي القلب قلبًا؛ لكثرت تقلُّبِه؛ ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[1]، ومن دعاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»[2]، فيدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يسلل سخيمة القلب، وأكثر ما يسبب طبع القلب "المعاصي"، ففي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه سلم: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ»[3].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١١٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٥١٠).

(٣) أخرجه النسائي حديث رقم: (١٣٦٩)، وأبو داود حديث رقم: (١٠٥٢).

وأكثر ما ينشرح به الصدر والقلب: طاعة الله قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر:٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال:٢]، وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»(١).

قوله: («أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»): فسَّرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقلب فهو محل نظر الله عَزَّوَجَلَّ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(٢).

وينبغي للمسلم: أن يحرص كل الحرص، علىٰ سلامة قلبه من الشرور والآثام قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]، والقلب السليم هو القلب الموَحِد، القلب الطائع،

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤٢١٦).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القلب المنيب، القلب المخبِت لله عَزَّوَجَلَّ، والحديث شرحه يطول وأحكامه كثيرة، لكن هذا ملخص لها والحمد لله رب العالمين.

الحديث السابع

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): وهو: أبو رُقَيَّةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والداري نسبة إلىٰ جده، وقيل: إلىٰ دير كان فيه، واسمه: تميم بن أوس بن خارجه بن سود بن جذيمة بن ذراع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم من بني الدار من قبيلة لخم، صحابي مشهور، كان نصرانيًا فقدم المدينة فأسلم، وذكر للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصة الجساسة والدجال، فحدث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه بذلك علىٰ المنبر، وعد ذلك من مناقبه، أسلم تميم سنة تسع هو وأخوه نعيم، ولهما صحبة، وغزا تميم مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سكن المدينة بعد إسلامهِ ثم خرج منها إلىٰ الشام بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، توفي سنة أربعين في فلسطين.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٥)، والنسائي حديث رقم: (٤١٩٧)، وجاء عند أبي داود وأحمد وابن حبان وغيرهم.

قوله: («الدِّينُ النَّصِيحَةُ»): في رواية: (ثَلَاثًا): ثَلَاثًا ليست في "مسلم" وفي مسلم بدون زيادة: (ثَلَاثًا)، فجعل النصيحة هي الدين؛ لأنها لبهُ الذي يدور قيامه عليها.

قوله: (قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟): سؤال العالِم عما أشكل علىٰ الطالب للاستفصال، والبيان.

قوله:(«لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»): هذا حديث عظيم، دل علىٰ أهمية النصيحة ووجوبها وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣]، فالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر هو النصيحة والنصيحة دين جميع الرسل، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن نوح: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٢﴾ [الأعراف:٦٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ عن هود: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ ۝٦٨﴾[الأعراف:٦٨]، وقال عن صالح عليه الصلاة والسلام كذلك: ﴿وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾[الأعراف:٧٩].

والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يبايع الصحابة علىٰ النصيحة، قال جرير رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»، وهكذا جاء من حديث ابن عمر وكلاهما في "الصحيحين": وَعَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، ومنها: «وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ»[١].

ويقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»[٢]، يجب عليه أن يأتي بالنصيحة علىٰ الوجه الذي يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والنصيحة من الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فالناصح بالخير، داعي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأن المنصوح غالبًا إما أن يكون قد وقع في مخالفةٍ شرعية، فاحتاج إلىٰ النصح فيها، أو أنه التبس عليه أمرٌ فاستنصحَ الناس فيه، فيُوَجَه ويُدعَىٰ إلىٰ الخير.

والنصيحة تُعتَبر من بث العلم، والدعوة إليه، وهي سببٌ لسلامة المسلمين من الشرور، والآثام، فما وقع البلاء في الأمة إلا حين ترك الناس النصح، وإلا فإن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، فيُوجهه إلىٰ الخير ويحذره من الشر.

سؤال: **قد يقول قائل**: كيف تكون النصيحة لله؟

الجواب: النصيحة لله، بإخلاص العمل له، وبإفراده بالعبادة، وبـ امتثال شرعه ودينه، وهو كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ»[٣]، فالنصيحة

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤١٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٥١٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٥١٦).

لله بطاعته، من كان موحدًا طائعًا لله عَزَّوَجَلَّ فهو ناصح لله عَزَّوَجَلَّ، ومن كان مضيعًا لحق الله عَزَّوَجَلَّ فهو غير ناصح لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله:(«ولِكِتَابِهِ»): النصيحة لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، بـ اعتقاد ما فيه من الحق وكله حق: ﴿* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦]، والعمل به، والقراءة له، والقيام به، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ»[1]،

ولو نصحت الأمة لكتاب ربها، لما وقع شرٌ في الأمة، فهو كتاب عظيم، كلام الله المتين، ووحيه المبين، ومن النصيحة له اعتقاد أنه الكتاب الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤٢].

- ومن النصيحة له: (التحاكم إليه)، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩]،

- ومن النصيحة له: (الاهتداء به)، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٥٢٩)، ومسلم حديث رقم: (٨١٥)، عن ابن عمر.

سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦].

- ومن النصيحة له: (اعتقاد أنه محفوظٌ بحفظ الله عَزَّوَجَلَّ)، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[الحجر:٩].

- ومن النصيحة له: (التعلم لتفسيره، ومعرفة ما دل عليه من الأحكام، والبيان وما دل عليه في باب التوحيد والأسماء والصفات، وجميع المغيبات من الإيمان باليوم الآخر واشراط الساعة)، فلا صلاح للأمة إلا بالعودة إلي الكتاب والسنة علمًا عملًا واعتقادًا ودعوة وتحاكمًا.

قوله: («ولِرَسُولِهِ»): النصيحة لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بمحبته، وتوقيره، وتعزيره: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾[الفتح:٩].

- والنصيحة له: بالصلاة عليه إذا ذكرته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب:٥٦]

- والنصيحة له: بـ اتباع سنته، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

- والنصيحة له: بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر، وأن لا يُعبَد الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما شرع صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

- والنصيحة له: بالدفاع عنه وعن سنته من المبطلين، الطاعنين، فيما كان يدعو إليه ويُرَغب فيه والنصيحة له بمحبته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقد قال، «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»[1].

- ومن النصيحة له: المحبة لأصحابه، والدفاع عنهم والترَضي عليهم، لأن الله عَزَّوَجَلَّ ورضوا عنه كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩]، فكل خير في النصيحة لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ باتباع سنة والأخذ بطريقته فهي سبيل النجاة ففي حديث العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[2]،

قوله: («وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ»): أي: لحُكَّام، وعلماء المسلمين، فتكون النصيحة للحكام بطاعتهم في طاعة الله، كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لاَ طَاعَةَ

---

(١) أخرج البخاري حديث رقم: (١٤)، والنسائي حديق رقم: (٥٠١٥).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٧٦)، وجاء عند أبي داود وابن ماجه وأحمد.

فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»[١]، وفي "الصحيحين": عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»[٣]، وكما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ أُمِرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[٤]، وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ قبل ذلك: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[النساء:٥٩]، وفي حديث عبادة بن الصامت قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ

وإذا وقع من الأمير ما يخالف الشرع يُنصَح بغير دعوةٍ إلىٰ ثورةٍ ولا إلىٰ انقلاب ولا إلىٰ اعتصامات ولا إلىٰ شيء من الفوضىٰ، وانظروا إلىٰ ما حل بالأمة الإسلامية الآن بسبب مخالفة هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطريقته في

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٤٥)، ومسلم حديث رقم: (١٨٤٠)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) "صحيح البخاري" حديث رقم: (٧١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٣٧)، ومسلم حديث رقم: (١٨٣٥).

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٩٣)، وجاء عند ابن ماجه وأحمد.

(٥) صحيح البخاري (٩/ ٧٧).

النصح لأولياء الأمور، وإلا فإن الإسلام لا يرضىٰ بالمعصية لا من ولي الأمر ولا من المَرعِي من الناس، بل الكل يجب عليهم أن يطيعوا الله عَزَّوَجَلَّ، لكن الإسلام ينظر إلىٰ المصالح، والمفاسد:

ومَـــنْ أزال مُنْكَـــرًا بِـــأنْكَرِ كَغَاسِـــلِ الحَـيْضِ بِبَـولٍ أَغْبَـرِي

إذا تغير المنكر بالخروج علىٰ الحكام، يحصل من وراء ذلك منكرٌ أعظم من ذلك.

والنصيحة لعلماء المسلمين: وهم من أولي الأمر كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[النساء:٨٣]، فالنصيحة بالدعاء لهم، بالتوفيق والتسديد، فتوفيق العلماء توفيق للأمة، والنصيحة لهم ببث علومهم، والنصيحة لهم بعدم ذكر مساويهم، والتشهير بهم والتزهيد من العلوم التي يحملونها، والنصيحة لجميع الأئمة بطاعتهم، في طاعة الله، هذا هو الباب العظيم، الذي به تقوم الأرَضين، الطاعة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أوأولي الأمر من الأمراء والعلماء في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ثم إن الطعن في العلماء، والأمراء، سببه غالبًا التطلُع إلىٰ الدنيا، والرغبة فيها، والزهد في الآخرة ولذلك كان ضرره عظيم، لو طعنت في زيد من الناس وإن كان طعنك فيه باطلًا، الضرر علىٰ "شخص"،أما إذا طعنت في العالِم أو في الأمير، فإن يحصل الضرر علىٰ أمة، وفساد عريض والله المستعان.

قوله: («وعامَّتِهِمْ»): أي: وعوام المسلمين ويُنصَح لهم بتوجيههم إلىٰ الخير، ودعوتهم إليه، وحثهم عليه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[1].

فالمهم أن النصيحة مطلوبة لكل أحد، من الأب لأبنائه، ومن الزوج لزوجته، ومن الجار لجاره، ومن الخطيب لمجتمعه، ومن المجتمع لعالِمِهم، وخطيبهم، والنصيحة متبادلة بين الجميع، حُكَّامًا ومحكومين، وعلماء وجُهَال، لكن يجب أن تكون النصيحة من الكتاب والسنة، إلىٰ الكتاب والسنة، فإنك إذا نصحت بغير الكتاب والسنة، وإلىٰ غير الكتاب والسنة، حصل الاختلاف قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]، لكن إذا كان نصحك من الكتاب والسُنة، وإلىٰ الكتاب والسُنة، ما علىٰ السامع إلا أن يقول كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن المؤمنين: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥]، وما يستطيع أن يقول: لا، وإن قال: لا، فهو من باب المكابرة وربما راجع نفسه في يوم من الأيام، أما أن

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٥).

تنصحه برأيك، أو بذوقك او بإرادتك، ربما تكون نصيحتك ماهي بنصيحة، فالنصيحة الحقة هي النصيحة بالكتاب والسنة.

وما يذكره العلماء هنا أن النصيحة تكون برفقٍ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[1]، وتكون سرًا ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا، يُذْكَر عن الشافعي:

تَعَمَّدني بِنُصْحِكَ في انْفِرَادِي ... وجنِّبني النصيحة َ في الجماعهْ

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... من التوبيخِ لا أرضىٰ استماعه

إلا إذا انتشر الشر، وظهر فعند ذلك تكون النصيحة ظاهرة، أما إذا لم يشتهر صاحب الشر، وكان مستورًا ومغمورًا بين الناس، فلا يجوز أن يُفضَح، وإنما يُستَر، وفي ذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٩٤)، وجاء عند البخاري بنحوه.

السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[(١)].

هذا إذا كان ذنبه عليه، ولا بأس إذا خطب أن يُحذِر من هذا الباطل الذي وقع فيه هذا الرجل؛ لكن يقول كما كان يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ما بال أقوام، وما بال بعض الناس يصنع ويصنع**)، فإذا ما جاهر بالمعصية، فعند ذلك له أن يُحذِر منه ويَذْكُرَه بما فيه؛ لأنه قد هتكَ السِتر فيما بينه وبين الله، العاصي إذا جاهر بالمعصية، هتك الستر الذي بينه وبين الله.

وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»[(٢)].

وهكذا إذا كان مبتدعًا ومخالفته تضر في الدين، فمن النصيحة له وللمسلمين، أن يُبيَن ضلال الدعوات المخالفة للكتاب والسنة والدعاة المخالفين للكتاب والسنة، فقد قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر أقوامًا بأسمائهم وقال: (**ما أرى فلانًا وفلانًا يعلمان من ديننا شيء**).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٦٩)، ومسلم حديث رقم: (٢٩٩٠).

وقد قام وقال: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ): فلكلِ مقامٍ مقال فالنصيحة إذا وضعت في موطنها تكون نافعة، والحمد لله رب العالمين.

الحديث الثامن

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النّاسَ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْه: أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى»[(١)].

رَوَاهُ البُخَارِيُّ ومسلِم.

الشَّرْح

هذا الحديث جاء عن عدة من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منهم:

- **عُمَر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في "الصحيحين" وفيه قصة ولفظه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٢).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٤٠٠، ١٣٩٩).

- ومنهم: جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه مسلم، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه مسلم، وجاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا شَهِدُوا أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللهِ، وَصَلَّوْا صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا»[1].

- وفي الحديث من الفوائد: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدٌ مأمور يطيع الله عَزَّوَجَلَّ، والدليل علىٰ ذلك أنه يقول: «أُمِرْتُ»، والذي أمره هو الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر:٩٤]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة:٦٧].

قوله: («أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ»): القتال غير القتل، القتل أن تُزهَق روح الإنسان بآلةٍ، والقتال مقاتلة، وقد يكون معه قَتْل وقد لا يكون، والمراد بالناس هنا الذين هم علىٰ خلاف الإسلام، أما الذين قد أقّروا بالتوحيد ظاهرًا فيُكَف عنهم حتىٰ تعلم ردتهم باليقين، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قيل: يَا رَسُولَ اللهِ: دَعْنِي

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٩٢).

أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:: «دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[1].

ولم يُعلَم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قاتل أحدًا من المنافقين أو قتله، وإنما كان يعاملهم بما ظهر.

قوله: («حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»): أي: إلىٰ أن يشهدوا فإذا ما قالوا لا إله إلا الله، وجب الكف عنهم، ثم ينظر الإمام إن عَمِلوا بمقتضاها، والتزموا بما تدل عليه فهي نافعةٌ لهم، وإن ناقضوها فيُحكَم عليهم بقدر ما نقضوها به، والدليل علىٰ الكف عمن قال لا إله إلا الله، ما جاء في "صحيح مسلم": عن أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وعن جابر بن سمرة رضوان الله عليهم: أنهم غزو قَوْمًا من المشركين، فلما رفع أسامة سيفة علىٰ رجلٍ منهم قال: لا إله إلا الله، فكَفَّ الأنصاري، وضربه أسامة بالسيف، ثم إنهم رجعوا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبشروه، حتىٰ ذكروا له خبر الرجل، فالتفت إلىٰ أسامة وقال يا أسامة: «أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟» قال يا رسول الله: إنما قالها مُتَعَوِّذًا، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟»، قال يا رسول الله: إنما قالها مُتَعَوِّذًا، وفي رواية قال له: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها حقًّا أم قالها مُتَعَوِّذا؟» قال أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فتمنيت أني لم أكن أسلمتُ إلا ذلك

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٩٠٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٨٤)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اليوم؛ وذلك من شدة عتاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ووجده عليه، لأنه قَتَل رجلًا قال لا إله إلا الله وظهر منه الإسلام.

وقد أنزل الله عَزَّوَجَلَّ قرانًا يُتلىٰ في الإنكار علىٰ من قتل من أظهر الإسلام فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[النساء:٩٤]

قيل في سبب نزول هذه الآية: أن قومًا كانت لهم أغنام، فمر بهم قومٌ من المسلمين، فأظهروا لهم الإسلام، فأبىٰ المسلمون أن يقبلوا منهم علانيتهم، وقتلوهم، وأخذوا ما معهم، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ الآية، فالواجب علىٰ المسلم أن يُعامل الناس بما ظهر منهم، قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إِنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا نُعَامِلُ النَّاسَ بِمَا ظَهَرَ مِنْهُم، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمَّنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ وَسَرِيرَتِهِ إِلىٰ اللهُ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا غَيْرَ ذَلِك ولَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُقَرِّبهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ[(١)].

ولا بد في صحة شهادة: (أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ): أن يجمع نُطْق مع اعتقاد فإنها ليست بنافعة إلا بذاك أما إذا نطقها بلسانه، ولم يعقد عليها بقلبه، فحاله كحال المنافقين، الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر عياذًا بالله.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٦٤١).

وقوله: («أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»): أي لا معبود بحقٍ إلا الله قال الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾[لقمان:٣٠].

قوله: («وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ») أي: حتىٰ يجمعوا إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، شهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإلا فإنهم إذ لم يعتقدوا صدق رسالة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فليسوا بمؤمنين ولا تغني عنهم لا إله إلا الله.

- ومعنى شهادة أن محمدًا: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع وقد تقدم ويأتي شيء يتعلق بذلك إن شاء الله.

قوله: («وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ») أي يأتوا بالصلاة المفروضة كما شرعها الله عَزَّوَجَلَّ، في أوقاتها المعلومة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء:١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[البقرة:٤٣].

وَرأىٰ حُذَيْفَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رَجُلًا يُصَلِّي ولَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: (يَا فُلَان مَا صَلَّيْتَ وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَيْهَا)[1].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٩١).

- **والصلاة لها أركان، واشروط، وواجبات، ومستحبات، فينبغي للإنسان، أن يصلي كما صلىٰ رسول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **حتىٰ تُقْبَل صلاته، وفي حديث مالك بن الحويرث:** «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[١].

قوله: («وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»): أي: الزكاة المفروضة وقد تقدم بيان شيء من أحكامها، فيما تقدم من الأحاديث، وقد جمع الله عَزَّوَجَلَّ بين الصلاة، والزكاة، في كثيرٍ من آيات القرآن، وذلك لأن الصلاة حق الله عَزَّوَجَلَّ، والزكاة حق المال حق لله، لكن هي في المال والصلاة في البدن، ولذلك قال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ)[٢]، لأن الله عَزَّوَجَلَّ جمع بينهما، فكيف هو يُفَرِّق بينهما.

قوله: («فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ»): أي: التزموا ما تقَدَم مع غيره من الفرائض؛ لأن سفيان بن عيينة، وجمع من أهل العلم، كانوا يقولون كان هذا في أول الإسلام، ثم فرض الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك فرائض، كالزكاة، والهجرة، والصيام، والحج، وغير ذلك،، وقوله: («فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ»): أي التزموا شرع الله ظَاهِرًا.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٣٩٩، ١٤٠٠).

قوله: («عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»)؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِيْ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِيْنِهِ الْمُفَارِقُ للجماعَةِ»[(١)].

ومعنى: «عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» أي: منعوها حتىٰ لا تؤخَذ منهم أما أموال الكفار الحربيين ودماء الكفار الحربيين فليست بمعصومة، وأما الكافر المستأمَن أو الكافر الذِمي، أو المسلم فعِرضه ودَمُه، وماله معصوم: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُم هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[(٢)]، هكذا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: («إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ»): أي من أحدث حدثًا وجب عليه به القتل فإنه يؤَآخَذ به، حتىٰ وإن شَهِدَ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأقام الصلاة، وآتىٰ الزكاة، وصام رمضان، ثم قَتَل يُقْتَل، إن قَتَل عمدًا، أو زنىٰ، وكان ثيبًا، فإنه يُرجَم، أو كذلك خرج علىٰ إمام المسلمين، أو بُيِعَ لخليفَتين، أو كذلك اللوطي، أو المُتَجّسس للكفار علىٰ المسلمين، أو الساحر مجموعة من الأصناف، قريب من الأربعة عشر صِنفًا ذكرتهم في كتاب "أحكام قتل النفس المعصومة".

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٨٧٨)، ومسلم حديث رقم: (١٦٧٦)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٧٩)، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه.

فحق الإسلام قد يوجب إزهاق النفس حتىٰ علىٰ المصلي، والصائم، والقانت، والعابد، وحافظ القرآن، قد يوجب عليه الإسلام حق إذا خالفه.

قوله: («وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى»): أي أنهم يُعَامَلون بالظاهر فإذا قدِموا علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، حاسبهم علىٰ ما ظهر منهم، وفي هذا دليل، علىٰ أن المنافقين كذلك يُعَامَلون بالظاهر ولم يُعلَم أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قاتل المنافقين أو أمر بقتالِهم، وإنما يُجَاهَدون باللسان ويُبَيَن عَوَارُهم وتُبَيَن بدعتهم، ويُبَيَن ضلالهم، فإن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كان مجاهدًا لهم بذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣]، ومعلوم أنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يجاهد المنافقين بالسيف، وإنما جاهدهم باللسان وفَضَح ما هم عليه.

❁ ❁ ❁

الحديث التاسع

«مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»[1].

الشَّرْح

قوله: (عَن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): واسمه عبد الرحمن بن صخر على الصحيح من أقوال أهل العلم، كان يحفظ من الأحاديث، ما لا يحفظ غيره، والسبب في ذلك أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ يَبْسُطُ رِدَاءَهُ؟» فَبَسَطَ أبو هريرة رِدَاءَهُ فدعاء له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعد ذلك كان يحفظ الحديث.

وكان حريصًا على سماع حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى السؤال، حتى قال: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ عَلِمتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ. قَبْلَك،

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب "الاعتصام بالكتاب والسنة"، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (٦٧٧٧) ومسلم - كتاب: "الفضائل"، باب: توقيره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (١٣٣٧).

وَذَلِك لِحِرْصِكَ عَلَى الْعِلْم، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»[1].

- وله قصص مع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منها: قال أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ عَلَىٰ أَهْلٍ وَلَا مَالٍ، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَىٰ الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ وَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَىٰ بَطْنِي مِنَ الجُوعِ وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَىٰ طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ فِيهِ فَمَرَّ بِي أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا أَسْأَلُهُ إِلَّا لِيَسْتَتْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا أَسْأَلُهُ إِلَّا لِيَسْتَتْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ مَرَّ أَبُو القَاسِمِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَقَالَ: «أَبَا هُرَيْرَةَ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «الحَقْ»، وَمَضَىٰ فَاتَّبَعْتُهُ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَاسْتَأْذَنْتُ فَأَذِنَ لِي فَوَجَدَ قَدَحًا مِنْ لَبَنٍ فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ لَكُمْ؟» قِيلَ: أَهْدَاهُ لَنَا فُلَانٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَبَا هُرَيْرَةَ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ. فَقَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ»، وَهُمْ أَضْيَافُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ عَلَىٰ أَهْلٍ وَمَالٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ وَقُلْتُ: مَا هَذَا القَدَحُ بَيْنَ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَأَنَا رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ فَسَيَأْمُرُنِي أَنْ أُدِيرَهُ عَلَيْهِمْ فَمَا عَسَىٰ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْهُ، وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُصِيبَ مِنْهُ مَا يُغْنِينِي، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمَّا

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٩٩).

دَخَلُوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ فَقَالَ: «أَبَا هُرَيْرَةَ، خُذِ القَدَحَ وَأَعْطِهِمْ»، فَأَخَذْتُ القَدَحَ فَجَعَلْتُ أُنَاوِلُهُ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّهُ فَأُنَاوِلُهُ الآخَرَ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ رَوَىٰ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ: «أَبَا هُرَيْرَةَ اشْرَبْ»، فَشَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ: «اشْرَبْ»، فَلَمْ أَزَلْ أَشْرَبُ، وَيَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّىٰ قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، فَأَخَذَ القَدَحَ فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّىٰ ثُمَّ شَرِبَ[1].

وصبروا من أجل العلم، ومن أجل الدين، ومع ذلك قال بَخٍ بَخٍ، لقد أصبح أبو هريرة يمْتَخِط بالمناديل حيث كانوا يصحبون النبي ﷺ وحالهم دون ذلك، ثم طالت بهم الأيام، فما صار أحدٌ منهم إلا وهو أمير علىٰ مِصر من الأمصَار والتفرغ لطلب العلم مفيد، فأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أسلمَ بعد الحديبية، ولزِمَ النبي ﷺ أربع سنين، ومع ذلك حديثه أكثر الحديث، والسبب أنه تفرغ حين شُغِلَ الناس وحضر حين غاب الناس، حتىٰ قال ذلك عن نفسه: يقولون أكثرَ أبو هريرة!.

ويرحم الله إخواني من الأنصار شغَلَهم العمل بمزارعهم، ويرحم الله إخواني من المهاجرين شغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ علىٰ ملىء بطني.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٤٧٧).

فالعلم يحتاج إلىٰ صبر، لكن الصابر قد يتحصل علىٰ علمٍ كثير في فترةٍ وجيزة، إذا تفرغ بينما إذا لم يتفرغ قد لا يتحصل علىٰ ذلك، المهم أن قصة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مليئة بالحِكَم ومليئة كذلك بالعِبَر.

❁ والحديث له قصة: وهي أنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: «يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا»، فقَالَ رَجُلٌ، جاء في حديث ابن عباس خارج الصحيح وهو الأقرع ابن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟.

الأمر الأول: (مطلق)، وأنَّ علىٰ الناس حجٌ، فسأل الرجل أفي كل عام، يعني يتكرر الحج كالصلاة تتكرر في كل وقتٍ؟ فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»[1].

❁ والواجب على الإنسان لا سيما في زمن التشريع: أن لا يسأل عن شيء لم يَنْزِل، حتىٰ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»[2]، وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[المائدة:١٠١].

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره كثرة المسائل، ويعيبها، وربما غَضِبَ حين أكثروا عليه في بالمسألة، حتىٰ جثىٰ عُمَر علىٰ ركبتيه وقال تُبْنا إلىٰ الله، وإلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٣٣٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٢٨٩)، سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- وفيه: أن هذا الإسلام يُسر؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ فرض علىٰ عباده الحج مرة في العمر، وليس علىٰ كل أحدٍ وإنما علىٰ المستطيع: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧].

- وفيه: أن العبادات تتفاضل وتتنوع فلما كانت الصلاة سهل الوصول إليها، وسهل المبادرة إليها فُرِضَت علىٰ الجميع ولما كان الحج فيه من المشقة ما لا يستطيعه إلا ذوي اليسارة، وكذلك ذوي الصحة سهل الله عَزَّوَجَلَّ شأنه.

- وفيه: أن أمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يفيد الوجوب، وأنه علىٰ الفور علىٰ الصحيح إلا أن تأتي قرينه تصرفه عن ذلك.

- وفيه: أن المفروض ما فرضه الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان مُبَلِغ عن الله كما تقدم في الحديث الذي سلف: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ»، فهو مأمورٌ بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، فقَالَ رَجُلٌ: «أَفِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟».

- فيه: سؤال العالم إذا أشكل علىٰ الطالب شيء من العلم، فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ».

وهذا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد ترك أمورًا خشية أن تُفرَض علىٰ الأمة، ترك قيام رمضان في المسجد جماعةً خشية أن يُفرَض علىٰ الناس وترك الوصال ونهىٰ عنه، خشية أن يُفرَض علىٰ الناس، وهكذا فكان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رحيمًا بأمته: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨]،

قوله: («مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ»): والنهي هو طلب الترك علىٰ وجه الاستعلاء أي من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ، كما أن الأمر هو طلب الفعل، فمن حيث الطلب: الأمر والنهي طلب، لكن طلب فعل في الأمر، وطلب ترك في النهي، وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بامتثال أمر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور:٦٣].

قوله: («فَاجْتَنِبُوهُ»): أي ابتعدوا عنه واتركوه وجوبًا، صَغُرَ أم كَبُر، دَقَ، أم جُلْ.

قوله: («وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ»): وهو طلب الفعل، علىٰ وجه الاستعلاء، ومنه الواجبات، ومنه المستحبات، ومنه المباحات، فمن الواجبات الصلاة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[البقرة:٤٣].

- ومن المستحبات: ما أمر به من الجلوس للشرب، أو كذلك صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب وقال في الثالثة لمن شَاء، وقال بين كل أذانين صلاة.

- ومن المباحات مثل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة:١٠]، فهذا علىٰ الإباحة.

قوله: («فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»): وهذا من رحمة الله بعباده أنه في المنهيات أمرهم بالاجتناب فورًا، وذلك أن المنهي تَرْك، لا يحتاج إلىٰ كُلفة من الإنسان، إلا أن يجاهد نفسه فيبتعد عما نهىٰ الله عنه، ونهىٰ عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما الفعل عن الأمر فهو طلب فِعْل، وهذا الفعل قد يَشُق علىٰ الناس في بعضها، ولهذا قال: «فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»، وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[الطلاق:٧].

ومثله قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث عمران: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[(١)]، فالدين مبنيٌ علىٰ التيسير: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر:١٧]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ..»[(٢)].

ثم قال: («فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»): أي: اليهود والنصارىٰ، وهذا غالبًا لأن اليهود والنصارىٰ أهل كتابٍ وخَبَرُهم كان سائرًا لا سيما حين أنزل الله عَزَّوَجَلَّ القرآن فنهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن مشابهتهم وهكذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد

---

(١) أخرجها لبخاري حديث رقم: (١١١٧)، وأبو داود حديث رقم: (٩٥٢).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٩)، وجاء عند النسائي وابن حبان.

يكون الهلاك حِسيًّا وقد يكون الهلاك معنويًا فمِن مَن أُهلِكوا حِسيًّا كأصحاب السبت، حيث جُعِلوا قردة وخنازير، مُسِخُوا وَأُهلِكوا وقد يكون معنويًا بحيث ضَعُفَ إيمانهم وسُلِبَ منهم الخيرية التي كانوا فيها فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول عن بني إسرائيل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾[البقرة:٤٧]، أي: علىٰ عالم زمانهم، ثم سُلِبَت منهم هذه الفضيلة وأُعطِيَت لأمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

قوله: («كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ»): أي سبب هلاكهم، لأمرين:-

- الأول: (كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ): يسألون أنبياءهم ورسلهم، عما لم يقع، فإذا ما وقع تنكروا لهم، ولم يعملوا بأمرهم، ومنها: ما قصه الله عَزَّوَجَلَّ في سورة البقرة من أنهم: ﴿قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾[البقرة:٢٤٦]، نهاهم عن السؤال وحذرهم أنهم قد لا يستجيبون لأمرِ الله: ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦﴾[البقرة:٢٤٦]

وممن جعله الله عَزَّوَجَلَّ قائدًا لهم "طالوت": فاعترضوا علىٰ ذلك وقالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ

يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة:٢٤٧].

- **وهكذا**: حين أمرهم الله أن يذبحوا بقرة، لو امتثلوا أمر الله لأخذوا أي بقرة، وذبحوها ووجدوا الآية فيها: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾[البقرة:٦٧]، يعني جعلوا النبي عليه السلام كأنه يمزح معهم، "اذبحوا بقرة" كأنه يمزح معهم، كما تقول لصاحبك حين تتخاطَب معه، (منك جد؟ أم تمزح؟) هذا لا يليق بمقام نبوة ومقام رسالة، وهم يقولون ويعترضون عليه، فما زالوا يسألون، ويسألون، ويكررون، حتىٰ شُدِدَ عليهم: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾[البقرة:٧١].

- **فكثرت المسائل من أسباب الهَلَكة**؛ ولهذا نهىٰ النبي ﷺ أصحابه أن يسألوه، كما في حديث أَنَسٍ في الصحيحين قَالَ: نُهِيْنَا أَنْ نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عن شَيْءٍ، وَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلُهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ[1].

لأن البادي ليس عليه حرج في السؤال، أما أهل المدينة الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ فقد نهاهم عن السؤال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٢)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١]، ولذلك تجد في القرآن قليل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ قليل جدًا، بخلاف ما عليه اليهود من كثرة المسائل ولهذا كان السلف يعيبون المسألة: أن تأتي وتسأل في شيء لم يقع، أو تأتي وتسأل عن شيءٍ لا يخصك.

وقد رأينا من هذا الصنف الشيخ الفوزان حفظه الله، إذا جاء أحد يسأله عن مسألة لا تخصه، يقول له: (**وقعت فيها أم غيرك؟ يقول غيري، يقول: يأتي يسأل هو**)؛ لأن بعض الناس ليس القصد من السؤال رفع الجهل وإنما يريد ربما التَّرَفُّع علىٰ الإنسان، أو التعيير للإنسان أو غير ذلك، وإلا إذا سُئل عن عِلْم يُجَاب.

وفي بعض الأسئلة حرج جاء رجل إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ أَحَدَنَا رَأَىٰ امْرَأَتَهُ عَلَىٰ فَاحِشَةٍ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ إِنْ تَكَلَّمَ، تَكَلَّمَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَإِنْ سَكَتَ، سَكَتَ عَلَىٰ أَمْرٍ عَظِيمٍ، قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنَّ الَّذِي سَأَلْتُكَ عَنْهُ قَدْ ابْتُلِيتُ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي فِي سُورَةِ النُّورِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النور:٦]، حَتَّىٰ خَتَمَ الآيَاتِ، فَدَعَا الرَّجُلَ، فَتَلَا الآيَاتِ عَلَيْهِ، وَوَعَظَهُ، وَذَكَّرَهُ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ فَقَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا كَذَبْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ ثَنَّىٰ بِالمَرْأَةِ، فَوَعَظَهَا، وَذَكَّرَهَا، وَأَخْبَرَهَا أَنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ

الآخِرَةِ، فَقَالَتْ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا صَدَقَ، قَالَ: فَبَدَأَ بِالرَّجُلِ، فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، وَالخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ، ثُمَّ ثَنَّى بِالمَرْأَةِ فَشَهِدَتْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ، وَالخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا[١].

قوله: («وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»): وأيضًا مما أُهلِكوا به أنهم اختلفوا علىٰ أنبيائهم، فيردون أوامرهم، ويعصونهم ويتنكرون لهم، ومن ذلك ما أخبر الله به عن موسىٰ عليه السلام، حين سَيَّره الله إلىٰ بيت المقدس بطلبٍ منهم، حيث سألوا موسىٰ أن يسري بهم إلىٰ الأرض المقدسة، وأن يفتح الأرض المقدسة، فلما سألهم القتال معه قالوا له: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾[المائدة:٢٤-٢٦].

فكم من القصص القرآني، والقصص النبوي، الذي يبين هلاك هذه الطائفة من أهل الكتاب، بكثرة المسائل وبالاختلاف علىٰ الأنبياء، فالواجب علىٰ المسلمين السمع والطاعة، والعمل بما أمرهم الله عَزَّوَجَلَّ به، ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا، والبعد عما نهاهم الله عَزَّوَجَلَّ عنه، والبعد عن أسباب الهلكة.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٢٠٢).

وقد تكلمتُ عن بعضها، في كتابي: (**المبحث البديع عن أسباب وحلول ونتائج التمييع**)، وذكرت هذا الحديث من جملة أحاديثٍ حذّر فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسباب الهلاك،

- وأعظم سبب للسلامة: الاعتصام بالكتاب والسنة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ»[(١)].

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧١٤٥)، عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث العاشر

«إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِيْنَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[البقرة:١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك»[(١)].

الشَّرْح

❁ هذا حديثٌ عظيم، فيه بيانٌ لِمَا ينبغي أن يكون عليه المسلم من طِيب الحال، ومن ذلك: طِيب الطعام والشراب، فإنه من أسباب طِيب النفس، والنفس تطيب بذكر الله، وتطمئن بذلك، ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠١٥).

فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ»[1]، طابت نفسه؛ بسبب أنه كان محافظًا علىٰ ذكر الله وعلىٰ طاعته، «وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ».

قوله: («إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»)- في هذا الحديث: بيانٌ أن من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ "الطيب"، فهو طيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **والطيب يأتي بمعنىٰ**: الطاهر والمنزه من النقائص والعيوب فالله عَزَّوَجَلَّ له الكمال المطلق من كل وجه، ولهذا وصف الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونساءه بقوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾[النور:٢٦]، فالله عَزَّوَجَلَّ لمّا كان طيبٌ لا يقبل إلا طيبا سواءً كان من الصدقات أو من الأعمال، أو الأقوال، فالله لا يقبل إلا الطيب ولا يُرفَع إليه إلا الطيب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾[فاطر:١٠]، بينما الكَلِم الخبيث، والفعل الخبيث، لا يُرفَع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يُتَقَرَّب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك جاء في الحديث: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[2]، وكانت أفضل الكلمات الكلمة الطيبة لا إله إلا الله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[إبراهيم:٢٤]، فضُرِب بالكلمة الطيبة التي هي: (**لا إله إلا الله**)، مَثَلٌ بالشجرة الطيبة التي هي التمرة، أو النخلة فيؤكل من ثمرها ويُستَفاد من نواها ويُستَفاد من ساقِهَا ويُستَفاد من جميع شأنها؛ ولهذا قال النبي

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١١٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٧٦١)، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»[1].

- قال العلماء: النخلة يُستَفاد من كل جزءٍ منها، وهذا مُطَبَّق وصحيح، فانظر إلىٰ النوىٰ الذي يلقيه الإنسان ما يحتاجه، أصحاب الخيل يأخذونه ويتخذونه للخيول طعام أو شيء من ذلك فيُستفاد منه، وفي الحديث حثٌّ من الله للعبد علىٰ ملازمة الأفعال الطيبة، حتىٰ تُقْبَل منه.

قوله: («وإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ به المُرْسَلِينَ»): وذلك أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، هم صفوة المؤمنين، وذروة المؤمنين وأعلىٰ درجات المؤمنين فالأمر لهم أمر للمؤمنين، إلا ما كان من الخصائص، فانظر إلىٰ القرآن أو السنة، تجد الأوامر التي هي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي أوامر لنا إلا ما خصه الدليل بذلك وجعل له من خصائصه كجواز الزيادة علىٰ الأربع في النكاح، وهكذا ما رخص له الله عَزَّوَجَلَّ من الوصال في الصيام وغير ذلك من الأعمال، وفيه دليل علىٰ أن الآمِر والناهي هو الله للعباد، فالعباد عبيده، وهو ملكهم ومالكهم يأمرهم وينهاهم: ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤]، قال العلماء: ابتلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إبراهيم عليه السلام بالأوامر فأتاها

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وبالنواهي فاجتنبها، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأنه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم:٣٧].

قوله: (فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]): هذا أمر من الله عَزَّوَجَلَّ لرسله، أن يأكلوا من الطيبات، أي من المباحات ومن الحلال ويجتنبوا الخبائث ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، **ومع الأكل من الطيبات ينبغي للمرء**: أن يشكر هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه، ويأتي بالعمل الصالح: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾، فالمؤمن إذا أكل أو شرب أو لَبِس أو سكَن يستفيد من هذه النعم في الاستعانة بها علىٰ طاعة الله بينما الكافر قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد:١٢].

- **وأيضًا**: المؤمن يحرص علىٰ ألا يأكل إلا طيبًا، والكافر لا يبالي: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ»[1]، هكذا يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وكثير من الناس يرزقهم الله عَزَّوَجَلَّ الأموال الطيبة، والأحوال الطيبة، ومع ذلك لا يأتون بالعمل الصالح فهؤلاء لم يقع منهم الشكر لله عَزَّوَجَلَّ كما يجب.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٠٥٩).

قوله: (وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]): فهذا الأمر موافق للأمر الأول إلا أنه في الأمر الأول زاد: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾، وفي الآية الثانية لم يذكر العمل الصالح لكن لازم الشكر لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نعمه العظيمة الإتيان بالعمل الصالح.

❁ وفيه: أن رزق الله عَزَّوَجَلَّ ينقسم إلىٰ قسمين:

١- منه الطيب.

٢- ومنه الخبيث.

- قد يقول قائل: لماذا خلق الله عَزَّوَجَلَّ الرزق الخبيث؟

الجواب: ليبتلي العباد به: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك:٢]، فالمؤمن يأتي الحلال الطيب، والكافر والعاصي يأتي الخبيث الذي هو غير طيب، فيؤجر المؤمن علىٰ الطاعة ويأثم العاصي علىٰ المعصية، فهذا من باب الابتلاء والاختبار، وبعض الناس قد يصل به الحال إلىٰ تحليل الحرام وتحريم الحلال، وهذه بلية أعظم من كونه يأكل الحرام، كونه يتعدىٰ علىٰ حق الله عَزَّوَجَلَّ ويحلل الحرام، أو يحرم الحلال، هذا اعتداءٌ علىٰ حق الله عَزَّوَجَلَّ وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة:٤٤]، فإذا كان يحلل ويُحَرِم معتقدًا ذلك هذا والعياذ بالله كفر بالله

العظيم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[يونس:٥٩].

قوله: («ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ»): المسافر، قد جاء في بعض الأحاديث: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»[1].

قوله: («أَشْعَثَ أَغْبَرَ»):- فهذا الرجل مسافر ومثله يُستجَاب له؛ لأن حاله يدل علىٰ ذلك أشْعثَ أَغْبَرَ وربما شعَثُه وربما اغبراره؛ بسبب ضيق الحال الذي هو فيه، والاضطرار الذي هو عليه والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل:٦٢]، ومع ذلك يمد يديه إلىٰ السماء يأتي بسببٍ آخر لاستجابة الدعاء، وهو رفع اليدين وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ »[2]، وهذا يرفع يديه ويبالغ في مدهِمَا إلىٰ السماء وحاله حالة اضطرار، ومع ذلك يُكرر: «يَا رَبِّ يَا رَبِّ» أي: يدعو المرة تلو المرة، ولا يستجاب له، ما السبب؟ السبب: «ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِّيَ بالحَرَامِ»): فكان الحائل بين هذا العبد وبين استجابة الله عَزَّوَجَلَّ لدعوته وتفريج كربته، هو التلبس بالحرام أكلًا

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٤٤٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٥٥٦)، وأبو داود حديث رقم: (١٤٨٨)، عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وشربًا ولبسًا وتغذيتًا، وقد جاء في الحديث: «أَيُّمَا لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْت، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»[(١)]، نسأل الله السلامة.

فالله عَزَّوَجَلَّ كما تقدم، طيبٌ يقبل الطيبات ويحب الطيبات، ويُثيب عليها، ويكره الخبائث ورحم هذه الأمة فأحل لها الطيبات وحرّم عليها الخبائث وجعل المؤمن طيبًا، وجعل أعماله طيبة، فينبغي للمسلم أن يستحضر هذه النعمة، وأن يحرص كل الحرص علىٰ الاحتياط في مأكله، ومشربه، وملبسه، وفيما يفعل، ويذر.

فإذا كان هذا الأمر في دعوةٍ لا تُستجاب يُخشىٰ أن لا يُستجاب غيرها من الأعمال الصالحة، وأن لا تُرفَع غيرها من الأعمال الصالحة، نسأل الله السلامة.

- وفي هذا الحديث: بيانٌ أن السفر كما تقدم من أسباب استجابة الدعاء، فينبغي للمسلم إذا كان ضاربًا في الأرض، أن يكثر من الدعاء لنفسه، ولأهله وللمسلمين جميعًا، ويتحين مثل هذه الفُرَص، وأحسن هذه الأحوال إذا كان سفره في طاعة، في سفر حج، أو سفر عمرة أو في زيارة الأبوين والأرحام، أو في سفر للإصلاح بين الناس، أو سفر لطلب العلم، فتجتمع أحوال تؤدي إلىٰ استجابة الدعاء.

---

(١) أخرجه الترمذي بنحوه حديث رقم: (٦١٤)، وأحمد بنحوه حديث رقم: (١٤٤٤١).

- وفيه: أن المسلم كلما تواضع لله عَزَّوَجَلَّ كان ذلك من أسباب استجابة دعائه، فإن الذي هو علىٰ شَعَث في الحال تواضُعًا لله عَزَّوَجَلَّ يرجىٰ استجابة دعائه، إلا أن هذا الرجل الذي حال بينه وبين استجابة الدعاء "الحرام".

- وفيه: أهمية رفع اليدين عند الدعاء إلا في خطبة الجمعة وإلا فالأصل أن اليدين تُرفَع عند الدعاء، عند التضرع، وإن لم تأتِ أدلة في بعض المواطن، إلا أن الدليل العام يرفع يديه.

والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رفع يديه في ليلة بدر ورفع يديه عندما استسقاء عند أحجار الزيت، ورفع يديه يدعو علىٰ كفار قريش، حين آذَوْه فقال: (**اللهم عليك بفلان وعليك بفلان**).

وفي الحيث: **قوله**: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ»: دليلٌ علىٰ أن الله في السماء، وهذا من الأدلة علىٰ أن الإنسان إذا أراد قضاء الحاجة رفع يديه إلىٰ السماء ينتظر الفرج أن يأتي من جهة السماء ولو كان الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان كما يقول الحلولية والاتحادية ومن إليهم لكان في رفع الأيادي إلىٰ السماء عبث أو مخالفة لما عليه الناس، لكن لمَّا كان المسلم يرفع يديه إلىٰ السماء دل علىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء.

- وفي الحديث: **قوله**: «يا رَبُّ يا رَبُّ»: دليل علىٰ أهمية الإلحاح والله عَزَّوَجَلَّ يحب من عبده أن يكون مُلِحًا عليه في الدعاء وفي الرجاء فإن الله يحب الدعاء

ورَغَّبَ فيه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة:١٨٦].

قوله: («ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ»): دليلٌ علىٰ أن أكثر الحرام المتناول يأتي من باب المطعم ويأتي من باب المشرب، فالبطن والفم من أعظم أسباب دخول النار، كما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه سُئِلَ: عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»[1]، الفم يقع فيه الطعام، والشراب، ويقع منه الغيبة، والكذب، والنميمة، وغير ذلك من الأعمال ومَلبَسه حرام وهذا قد يقع، ويكون لبس الحرام إما أن المال الذي أخذ منه واشترىٰ منه اللباس حرام، أو أن اللباس نفسه حرام فلباس الذهب للرجال أو كذلك لباس الحرير للرجال حرام.

قوله: («وغُذِّيَ بالحَرَامِ»): فيه: تخوُّف حتىٰ علىٰ الجنين إذا نشأ علىٰ الحرام أن يكون علىٰ غير الصلاح، وهذه والله مصيبه عظيمة، أن الإنسان يؤَكِل أهله وأبناءه، الحرام فيقع الضرر ولو بعد حين نسأل الله السلامة.

إلا أن يقع من الإنسان توبة نصوحة مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر أن لا يؤاخذ أحد بجريرةِ أحد، لكن مع ذلك قد يكبر الولد وينشأ علىٰ ما كان عليه أبوه من أكل الحرام، ويحب ذلك، ويميل إلىٰ ذلك، فيأثم علىٰ فعله وصنيعه

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٠٤).

وإلا فقد اختلف العلماء، إذا كان الأب صاحب حرام، **هل يأثم الابن علىٰ أكله معه أو من شربه معه أو من لباسه معه؟**

الجواب: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الإثم علىٰ المباشر وهذه كانت فتوىٰ لشيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهكذا هو قولٌ لعبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولكثيرٍ من أهل العلم.

وبعضهم فرّق، يقول: ما كان تحريمه لسببه فالإثم علىٰ المباشر، كإنسان يشتغل في البنك أو يشتغل في الضرائب اشتغل في هذه الأمور قال الإثم علىٰ المباشر لأن الحرمة هنا متعلقة بالسبب لا بعين المال، وما كان حرمته لعين المال، فلا يجوز لا للمباشر ولا لغير المباشر الأكل منه والاستفادة منه كالخمر، والمخدرات ونحو ذلك من المحرمات.

- **وفيه**: من الأحكام غير هذا لكن نكتفي بهذه الفوائد وهو حديث طيب، يعني يحدد للإنسان أهمية أكل الحلال وأهمية لبس الحلال، وأهمية شرب الحلال، وأهمية تغذية أبناءه بالحلال الطيب وهو مأجور علىٰ ذلك إذا حرص علىٰ أن لا يأكل الإنسان إلا الحلال.

وأبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الصِّدِيق كان له غلام وكان يتكَهَّن في الجاهلية، فلما أسلم وجد ذلك الغلام رجلًا كان قد تكّهن له في الجاهلية فأعطاه مالًا مقابل الكهانة، فذهب هذا الغلام واشترىٰ طعامًا، ثم جاء إلىٰ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فناوله الطعام

فأكلَ منه فلما استقر في بطنه، قال: له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من أين لك هذا الطعام؟ قال: كنت قد تكَّهنّتُ في الجاهلية فوجدت الرجل فأعطاني المال.

فقام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأدخل إصبعه في فِيْه ثم أخرج ما أدخل من الطعام، وهذا من الورع، أن لا يكون في بطنه شيءٌ مما حرم الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا انظروا إلىٰ الحالة التي وصل إليها أنه الصِّدِيق وأفضل هذه الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحمد لله رب العالمين.

الحديث الحادي عشر

«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عَلِيّ بنِ أَبِي طالبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيْبُكَ»(١).

رواهُ النَّسَائي، والتِّرْمِذيُّ وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الشَّرْح

قوله: (عَنْ الحسَنِ بْنِ عليّ وهو أَبو مُحَمَّدٍ بْنِ، سِبْطِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): بشره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فقال: «الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٢)، فهذا الصحابي الجليل، هو ابن فاطمة، بنت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حقق الله عَزَّوَجَلَّ فيه قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٥١٨)، والنسائي حديث رقم: (٥٧١١)، وأحمد حديث رقم: (١٧٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٧٨١)، وجاء عند أحمد.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٧٠٤).

فقد تنازل عن الخلافة، وهو أحق بها ولكنه تنازل لحقن دماء المسلمين، وكان شبيهًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخوه الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وهو في الفضل مبَشَر بالجنة مثل أخيه كما تقدَّم الحديث، وقُتِل مظلومًا وقصة مقتله معلومة.

قوله: («دَعْ ما يُرِيبُكَ»): أي دع واترك ما يجعلك، متَشَككًا مضطربًا، قلقًا، «إلى مَا لاَ يُرِيبُك»: إلىٰ ما يجعلك مطمئنًا، ساكنًا، فهذا الحديث من الأدلة العظيمة في ملازمة الوَرَع، وقد تقدم معنا حديث: «إن الْحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُما أمور مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ الناسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهاتِ».

وهذا الحديث أتىٰ بمعنىٰ ذلك الحديث فأي شيء ترتاب فيه سواءٌ كان مسألة علمية أو عملية فاسكن حتىٰ تصل إلىٰ الطمأنينة، ولا تفعل إلا ما أنت مطمئن إليه وقلبك راضٍ به وساكن به؛ لأن الإنسان إذا فعل خلاف ذلك يبقىٰ خائفًا ومضطربًا، وقلقًا، لعله أصاب، لعله أخطأ، لعله كذا، فما وقع فيه الريبة في نفسك فاتركه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، فإذا تيقنت أنه حلال، أو مباح، أو مأمور به مستحب، أو مندوب أو واجب، فعند ذلك تُقدِم عليه وأنت منشرح الصدر.

وتتمة الحديث تبين هذا المعنىٰ قال: «فَإِن الصِدْق طَمَأنِيْنَة»، الصدق طمأنينة، صدق الأقوال، وصدق الأفعال، من أسباب طمأنينة القلوب،

«والكَذِبَ رِيبَة»، إذا كذب الإنسان في قوله، أو في منقولة، أو في طريقته يبقىٰ مرتابًا خائفًا أن يُفضَح، وخائفًا أن يُتَفَطَن له، فَلَو قُدِّر أن هذا الرجل باع سلعةً فيها عيب وكذب فيها ولم يصدق يبقىٰ خائفًا أن يظهر العيب في هذه السلعة، وربما إذا لقي من وجده يتغير وجهه مع أن ذلك الرجل ربما لن يتكلم لكن الكذب ريبة أو كذلك كذَب في كلمة من الكلمات يبقىٰ خائفًا أن تُفضَح هذه الكلمة، أو تظهر هذه الكلمة فلا أحسن من الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ، ثم الصدق مع عباده والصدق يهدي إلىٰ البر، والبر يهدي إلىٰ الجنة والصدق يُنَال بملازمة أمر الله، ثم بالتعود عليه، والكذب يُترك بملازمة أمر الله ثم بالابتعاد عنه.

❁ **وهذا الحديث** قد طبّقه جمعٌ من المتقدمين والمتأخرين، فتجد أن بعضهم ترك أموالًا كثيرة خشية أن يكون هذا المال قد اشترك بالحرام أو اجتمع مع الحرام، كما فعل يزيد ابن زُرَيع حيث ترك إرث أبيه؛ لأن أباه كان يدخل علىٰ السلاطين وترك ذلك تَوَرُعًا.

❁ **وهكذا** الإمام أحمد كان إذا زار ولده صالح لا يرضىٰ أن يأمل مما خُبِزَ في تُنُوره أو مما صُنِع في بيته وذلك لمداخلته للسلاطين، وكان يخشىٰ أن يكون قد اجتمع في بيته أو مع ماله شيء من الحرام.

❁ **وهكذا** محمد ابن سيرين، اختلط الزيت الذي معه بفأرةٍ ماتت فيه فألقاه حتىٰ أصبح دينه أربعين ألفًا، وكان بإمكانه أن يلقيها وما حولها لكن وجد أن الفأرة تحركت وخشيَ أن يبيع للناس علىٰ غررٍ وعلىٰ غشٍ فترك ذلك تَوَرُعًا لله

عَزَّوَجَلَّ، وكم من المسائل، التي يتركها السلف تورُّعًا لله عَزَّوَجَلَّ بخلاف ما عليه الناس الآن فإنهم قد يفعلون ما هو حرام، بدون وجه حق، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ»[1].

قوله: (رواهُ النَّسَائي): وهو أحمد ابن شعيب صاحب "السنن الصغرىٰ"، و"الكبرىٰ".

قوله: (والتِّرْمِذيُّ) وهو: محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة صاحب "الجامع".

قوله: (وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ): اختلف العلماء في معنىٰ (حسن صحيح) فقيل: بسندٍ حسن وبسند صحيح، وقيل: لأنه متردد بين الحُكْم بالصحة والضعف، وقيل: حسن المتن صحيح الإسناد، وهذا حديثٌ من قواعد الدين العظيمة سواءً كان ذلك في العبادات أو في المعاملات.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٠٥٩)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الحديث الثاني عشر

«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَيَعْنِيْهِ»[1].

قال: حديثٌ حسنٌ، رواه الترمذي وغيره.

الشَّرْح

❁ وهذا الحديث أعلَّه العلماء؛ لأنه لا يصح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما هو مُرسَل عن علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

ورجَّح هذا جمعٌ من المتقدمين ومن المتأخرين، ومن المتأخرين شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، وهكذا شيخنا يحيىٰ حفظه الله تعالىٰ، ومن المتقدمين الإمام أحمد ويحيىٰ ابن معين، والبخاري، والدارقطني، وغيرهم إلا أنه كلام حَسَن كأنه من مشكاة النبوة.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣١٧)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٩٧٦) ، والإمام أحمد "مسند آل أبي طالب عن الحسين بن علي بلفظ: «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ، قِلَّةَ الْكَلامِ فِيمَا لا يَعْنِيه»، رقم: (١٧٣٢)

قوله: («مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»): لا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يتكلم إلا بما يعنيه ولا يفعل إلا ما يعنيه فإذا فعل الإنسان ذلك قَل الشر من المجتمعات لأن أغلب الشرور الحاصلة في المجتمعات بسبب هذه التدخلات، هذا يتدخل في شأن ما يتعلق بأولياء الأمور وذلك يتدخل في شأن العلماء، وآخر يتدخل في شؤون الناس وربما دخل بينهم بغير وجه حق، يتعصب مع هذا ويتعصب مع هذا، وتظهر الشرور.

- وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء:١١٤]، أما التدخل في ما لا يعني لغير إصلاحٍ، لغير أمر بالمعروف ونهيٍ عن منكر، لغير علم، فهذا من أسباب الشر، والفساد العريض، بين الأمم والمجتمعات.

- فهذان حديثان طيبان مباركان:

الأول: عن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دَعْ ما يُرِيبُكَ إلى مَا لاَ يُرِيبُك».

والثاني: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والصحيح فيه الإرسال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»، وتجد أن الإنسان يطبق هذا بنفسه إذا تدخل أحد في ما لا يعنيه يقول دع ما لا يعنيك: من تدخل فيما لا يعنيه وجد ما لا يرضيه، وهكذا، كلام الناس، لأن التدخل في ما لا يعني:

- أولًا: يسبب قسوة قلب.

- الأمر الثاني: قد يجر إلىٰ فتن، وتوسع الشرور.

- الأمر الثالث: أنه من السفه وإلا فإن الإنسان يغضب إذا تدخل أحد في شأنه فكيف هو يتدخل في شأن الناس؟ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»[1].

لكن إذا كانت التدخل نصيحة، رأيت عنده خطأ نصحته أو منكرًا أرشدته، أو جاهلًا علَّمته، أو إلىٰ خير دللته، فهنا لا بأس، أما أن تتدخل فقط بمجرد الهوىٰ أو الفضول فإن هذا هو الذي لا يُقبَل، **والحمد لله رب العالمين**.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٤٤).

الحديث الثالث عشر

«لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِيْ حَمْزَة أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

رَواهُ البُخاري وَمُسلِم.

الشَّرْح

قوله: (عَنْ أَبِيْ حَمْزَة أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): وهو أبو حمزه أنس بن مالك الانصاري خادم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاء له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة في عمره وماله فاستجاب الله دعوة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من المكثرين في رواية الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حتىٰ قيل:

والمكثـــرون في روايـــة الأثـــرْ ... أبـــو هريـــرة يليـــه ابـــن عمـــرْ

وأنس والـبحـــر كـالخـــدريّ ... وجـابـــرٌ وزوجـــةُ الـنـبـــيّ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٣)، ومسلم حديث رقم: (٤٥)، وجاء عند الترمذي والنسائي.

وقيل أيضًا:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا ... من الحديث عن المختار خير مضر

أبو هريرة سعد جابر أنس ... صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

وكان من صغار الأنصار، فقد خدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمره عشر سنوات، ومات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمره عشرين سنة

❁ **وهذا الحديث عظيم** رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وفي رواية لابن حبان: «لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»[1].

وقوله: («لَا يُؤْمِنُ») نفي كمال الإيمان أي أن من تمام وحقيقة الإيمان، أن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير؛ لأن التقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالطاعات، والعبادات، محبوبٌ إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالمؤمن يحب من جميع الناس أن يكونوا علىٰ هداية، وصلاح، وخير، والمؤمن ينبغي أن يكون بعيدًا عن الحسد لِمَا فيه من الضرر علىٰ نفسه أولًا، ثم علىٰ أخيه ثانيًا، ولما فيه من الاعتراض علىٰ قدر الله عَزَّوَجَلَّ ثالثًا.

- **وقد قال النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[2]، فالمؤمن يكون قلبه صافيًا علىٰ

---

(١) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (٢٣٥).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٦٣).

المؤمنين فإن ذلك من تمام الإيمان، وكماله، إذ أن المؤمن يجاهد نفسه بالتخلص من الغل، والحقد، والحسد.

- **ولهذا لمَّا سُئل النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»[1].

وإذا رأيت نفسك تتنكر لما عليه المؤمنون من الخير، فاعلم أن عندك ضعف إيمان ومن أسوأ ذلك أن تتنكر لمن يحفظ القرآن، أو لمن يصلي من الليل، أو لمن يكثر من الطاعات، والنوافل، ولا تريد أن يفعل ذلك أو تريد أن تستفرد أنت بذلك؛ لأن مثل هذه الأشياء ما تأخذ منك شيئًا فلو قام الناس جميعًا يصلون لو قاموا جميعًا يقرَؤون القرآن، بل إن في ذلك مرضاة لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: («حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ»): **يعني**: إلىٰ أن يحب لأخيه: المسلم فالمراد بالأخوة الأخوة الإيمانية وهي أبلغ من الأخوة النَسَبية ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، ينصر بعضهم بعضًا ويقع بينهم ما يقع من مستلزمات الأخوة.

وقد آخىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار حين نزل المدينة لبيان أهمية هذه الخصلة في بناء الدولة المسلمة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤٢١٦)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: («مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»): أي: الذي يحب لنفسه من الخير، وهذا مثل حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند "مسلم" قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»[1]، فكما أنك تحب من أخيك، أن يحب لك الخير، وأن لا يقع منه الحسد عليك، أو المنافسة لك، أو الاحتقار، أو غير ذلك، فكذلك أدِ إلىٰ الناس الذي تحب أن يؤدىٰ إليك.

- ومفهوم هذا الحديث: أن المؤمن لا يكمل إيمانه حتىٰ يكره لأخيه ما يكره لنفسه من الشر.

ويدل هذا الحديث: علىٰ منزلة الترابط الذي بين أهل الإسلام والإيمان، وما انتصر الإسلام في الزمن الأول إلا لما كان أهله علىٰ هذه الاخلاق الفاضلة، العظيمة أما الآن فقد ضعف الإيمان في قلوب المسلمين، والسبب في ذلك ما انتشر بينهم من الحقد، والحسد والتنافس من أجل الدنيا، والعجيب أن التنافس قد يراه الناس محمودًا وإذ لم يضبط بالكتاب والسنة سيتدرج إلىٰ الحسد ثم إلىٰ القتل والقتال، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «إِذَا فُتِحَتْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» فَقَالُوا: نَكُونُ كَمَا كُنَّا يا رَسُولَ اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، -أَوْ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٤٤).

نَحْوَ ذَلِكَ-، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»[(١)].

وضابط هذه الأمور كلها: أن نحب لأنفسنا ولغيرنا الخير؛ فإن ذلك من دواعي طلب العلم، والدعوة، والهدية، والزيارة والنصرة، فإن الإنسان إذا أحب أخاه المسلم سارع في بذل الخير لهذا المسلم، وسارع في سلوك السبل التي تؤدي إلىٰ زيادة الحب بينه وبين المسلم.

ففي حديث أَبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[(٢)].

وجاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا»[(٣)]، المسلم إذا رآك وقفت معه في وقت الضيق والحاجة، فإن ذلك من دواعي الحب والدعاء لك.

- ومن ذلك: (الدعاء للمسلم)؛ فإنه من علامة حب الخير للعبد فالإنسان قد يأتيه الحسد، والحقد، والغل، علىٰ أخيه المسلم، فإذا رأىٰ من نفسه ذلك فليدفعه بالدعاء له.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٦٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٤)، وجاء عند الترمذي حديث رقم: (٢٦٨٨).

(٣) أخرجه مالم في "الموطأ" حديث رقم: (٢٦٤١)، عن عطاء بن أبي مُسلم.

- **ومثل هذه الأحاديث** تُشْعِر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يهتم بتربية أصحابه علىٰ صفاء القلوب، ونقائها وعلىٰ سلامة الصدور علىٰ المسلمين، لأن أكثر الأمراض القلبية، هي التي تؤدي إلىٰ حصول الشرور بين الناس، فلهذا ينبغي علىٰ المسلم ينبغي أن يكون حبه لله وبغضه لله، وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»[1].

والإنسان يكون حريصًا علىٰ إيصال الخير إلىٰ الناس فإذا رأىٰ من نفسه العجز فلا أقل أن يكف الشر، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[2].

ولمَّا أوصىٰ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا ذَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بترك الإمارة كان ذلك لمحبته له، ولخشيته عليه ألا يصل الحق إلىٰ أهله فقال: - «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٨٥٢٤).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٤٤٥) ، ومسلم حديث رقم: (١٠٠٨).

يَتِيمٍ»[١]، و كما قال النبي ﷺ لمُعَاذ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ؛ فلَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[٢].

فهذا حديثٌ قصير العبارة عظيم المعنىٰ، والكلام عليه أكثر من ذلك وفيما تقدم كفاية إن شاء الله، **والحمد لله رب العالمين**.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٢٦)،

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٥٢٢).

الحديث الرابع عشر

«لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بإِحْدَى ثَلاثٍ»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ للجَمَاعَةِ»[1].

رواهُ البُخاري وَمُسلِم.

الشَّرح

قوله: (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ والحديث دليل: علىٰ حرمة دماء المسلمين والأدلة علىٰ ذلك كثيرة منها هذا الحديث، وقد جاء هذا اللفظ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله: («لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ»): هذا العدد ليس علىٰ الحصر، فهناك من يُقتَل دونهم.

❁ ومن مما يُبيح دم المسلم:

- الردة: كان المرتد رجلًا أو امرأة.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٨٧٨)، ومسلم حديث رقم: (١٦٧٦).

والردة في اللغة: قال في "مختار الصحاح": (والارْتِدَادُ: الرجوع، ومنه المُرْتَدُّ، والرِّدَّةُ بالكسر اسم منه أي: الارتداد).

وفي الشرع: المرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلىٰ دين الكفر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[البقرة:٢١٧].

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦٨٧٨): حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»[1].

فالردة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع وإنما أنكرها اليوم من أنكرها بسبب جهلهم بالأدلة الشرعية، والعلوم الضرورية، فيا سبحان الله عَزَّوَجَلَّ كيف يفعل الجهل بأهله، وقد وضع المصنفون في كتبهم كتبًا في أحكام المرتدين.

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الله حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حَرَّقَ قَوْمًا فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٨٧٨).

لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ» وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[1].

- وقال (٦٩٢٣): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ، حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعِي رَجُلَانِ مِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِي، وَرَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَاكُ فَكِلَاهُمَا سَأَلَ، فَقَالَ يَا أَبَا مُوسَىٰ أَوْ يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَطْلَعَانِي عَلَىٰ مَا فِي أَنْفُسِهِمَا وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ قَلَصَتْ فَقَالَ: «لَنْ أَوْ لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ إِلَى الْيَمَنِ»، ثُمَّ اتَّبَعَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَلْقَىٰ لَهُ وِسَادَةً قَالَ: انْزِلْ وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوثَقٌ قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ، قَالَ اجْلِسْ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ قَضَاءُ الله وَرَسُولِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ تَذَاكَرَا قِيَامَ اللَّيْلِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَأَنَامُ وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي مَا أَرْجُو فِي قَوْمَتِي[2].

- قال بن قدامة في "المغني" (١٢/٢٦٤): المرتد: هو الراجع عن دين الإسلام إلىٰ الكفر قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٩٢٣).

فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾[البقرة:٢١٧].

- وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(١)، وأجمع أهل العلم علىٰ وجوب قتل المرتد، وروي ذلك عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ، وأبي موسىٰ، وابن عباس، وخالد وغيرهم، ولم ينكر ذلك فكان إجماعًا..

وأنه لا فرق بين الرجال والنساء في وجوب القتل، روي ذلك عن أبي بكر وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا وبه، قال الحسن، والزهري، والنخعي، ومكحول، وحماد، ومالك، والليث، والأوزاعي، والشافعي، وإسحاق، **وروي عن علي والحسن وقتادة**: أنها تسترق لا تقتل؛ ولأن أبا بكر استرق نساء بني حنيفة وذراريهم وأعطىٰ عليًا منهم امرأة فولدت له محمد بن الحنفية، وكان هذا بمحضر من الصحابة فلم ينكر فكان إجماعًا.

- وقال أبو حنيفة: تجبر علىٰ الإسلام بالحبس والضرب ولا تقتل؛ لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا تقتلوا امرأة؛ ولأنها لا تقتل بالكفر الأصلي فلا تقتل بالطارئ كالصبي، ولنا قوله عليه السلام: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(٢)، وقال النبي

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠١٧).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ للجماعَةِ» متفق عليه. اهـ

❁ (١- المرتد) يستتاب إن تاب وإلا قُتل:

- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ حَاتِمٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ، حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَىٰ أَقْبَلْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعِي رَجُلَانِ مِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِي فَكِلَاهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَاكُ فَقَالَ: «مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ»، قَالَ: فَقُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَطْلَعَانِي عَلَىٰ مَا فِي أَنْفُسِهِمَا وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ وَقَدْ قَلَصَتْ فَقَالَ: «لَنْ أَوْ لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ»، فَبَعَثَهُ عَلَىٰ الْيَمَنِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ: انْزِلْ وَأَلْقَىٰ لَهُ وِسَادَةً وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوثَقٌ قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ ثُمَّ رَاجَعَ دِينَهُ دِينَ السَّوْءِ فَتَهَوَّدَ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ قَضَاءُ الله وَرَسُولِهِ، فَقَالَ: اجْلِسْ نَعَمْ قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّىٰ يُقْتَلَ قَضَاءُ الله وَرَسُولِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ تَذَاكَرَا الْقِيَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مُعَاذٌ أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي مَا أَرْجُو فِي قَوْمَتِي[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٧٣٣).

- قال الإمام عبد الرزاق في "المصنف" (١٠ /١٦٥): عَنِ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو مُوسَىٰ بِفَتْحِ تُسْتَرَ إِلَىٰ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسَأَلَنِي عُمَرُ - وَكَانَ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ قَدِ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَلَحِقُوا بِالْمُشْرِكِينَ - ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ النَّفَرُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ؟» قَالَ: فَأَخَذْتُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ لِأُشْغِلَهُ عَنْهُمْ ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ النَّفَرُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ؟» قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَوْمٌ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَلَحِقُوا بِالْمُشْرِكِينَ ، مَا سَبِيلُهُمْ إِلَّا الْقَتْلَ ، فَقَالَ عُمَرُ: «لَأَنْ أَكُونَ أَخَذْتُهُمْ سِلْمًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مِنْ صَفْرَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ» ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا بِهِمْ لَوْ أَخَذْتَهُمْ؟ قَالَ: «كُنْتُ عَارِضًا عَلَيْهِمُ الْبَابَ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ ، أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ ، قَبِلْتُ مِنْهُمْ ، وَإِلَّا اسْتَوْدَعْتُهُمُ السِّجْنَ»، هذا أثر صحيح.

- وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠ /١٦٨): عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: أَخَذَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَوْمًا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَكَتَبَ فِيهِمْ إِلَىٰ عُمَرَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «أَنْ اعْرِضْ عَلَيْهِمْ دِينَ الْحَقِّ ، وَشَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَإِنْ قَبِلُوهَا ، فَخَلِّ عَنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوهَا ، فَاقْتُلْهُمْ ، فَقَبِلَهَا بَعْضُهُمْ ، فَتَرَكَهُ ، وَلَمْ يَقْبَلْهَا بَعْضُهُمْ ، فَقَتَلَهُ».

هذا أثر صحيح.

- وقال (١٠ /١٦٩): عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَالَ: إِنِّي مَرَرْتُ بِمَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ بَنِي حَنِيفَةَ فَسَمِعْتُهُمْ يَقْرَءُونَ شَيْئًا لَمْ يُنَزِّلْهُ اللهُ الطَّاحِنَاتِ طَحْنًا ، الْعَاجِنَاتِ عَجْنًا ، الْخَابِزَاتِ خَبْزًا ، اللَّاقِمَاتِ لَقْمًا ، قَالَ: فَقَدَّمَ ابْنُ مَسْعُودٍ ابْنَ النَّوَّاحَةِ أَمَامَهُمْ فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَكْثَرَ الْبَقِيَّةَ ، فَقَالَ: «لَا أُجْزِرُهُمُ الْيَوْمَ الشَّيْطَانَ ، سَيِّرُوهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ حَتَّىٰ يَرْزُقَهُمُ اللهُ تَوْبَةً أَوْ يُفْنِيَهُمُ الطَّاعُونُ»، قال: وَأَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ ، عَنْ قَيْسٍ ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ هَذَا لِابْنِ النَّوَّاحَةِ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَهُ إِلَيْهِ مُسَيْلِمَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ قَاتِلًا رَسُولًا لَقَتَلْتُهُ»، صحيح.

- وقال (١٠ /١٦٩): عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ ، قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ بِشَيْخٍ كَانَ نَصْرَانِيًّا ، فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: «لَعَلَّكَ إِنَّمَا ارْتَدَدْتَ لِأَنْ تُصِيبَ مِيرَاثًا ، ثُمَّ تَرْجِعَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ؟» قَالَ: لَا ، قَالَ: «فَلَعَلَّكَ خَطَبْتَ امْرَأَةً فَأَبَوْا أَنْ يُزَوِّجُوكَهَا ، فَأَرَدْتَ أَنْ تُزَوَّجَهَا ، ثُمَّ تَعُودَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ؟» قَالَ: لَا ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ» قَالَ: لَا ، أَمَا حَتَّىٰ أَلْقَىٰ الْمَسِيحَ فَلَا ، قَالَ: «فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَدُفِعَ مِيرَاثُهُ إِلَىٰ وَلَدِهِ الْمُسْلِمِينَ»، صحيح.

❁ **وقد اختلف العلماء في مسألة استتابة المرتد إلىٰ ثلاثة أقوال:**

الأول: (**وجوب الاستتابة للمرتد**) سواء كان مسلمًا أصليًا أو كافرًا أسلم ثم ارتد، وهذا مذهب مالك، وقول للشافعي، ورواية عن أحمد، وروي عن عمر وعلي، وهو قول الجمهور.

الثاني: (**لا تجب الاستتابة وإنما تستحب**) وهذا قول للشافعي، ورواية في مذهب أحمد، ورواية عن أبي حنيفة، وهو قول عبيد بن عمير وطاووس وحجتهم: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وقصة معاذ مع اليهودي الذي أسلم ثم ارتد عند أبي موسىٰ..

الثالث: (**التفصيل**) فإن كان مسلمًا أصليًا ثم ارتد لم يستتب، وإن كان كافرًا ثم أسلم ثم ارتد يستتاب وهذا قول عطاء[1].

والراجح: هو القول الأول؛ لعموم أدلة التعاون علىٰ البر والتقوىٰ؛ لأنه قد تكون طرأت عليه شبهة أو غير ذلك وهذا اختيار ابن قدامة.

وقد اختلفوا أيضًا في استتابة المرأة المرتدة؟ وحكمها حكم الرجل سواء في القتل أو الاستتابة، هذا هو القول الراجح، والتفريق ليس عليه دليل من كتاب أو سُنة.

❁ (٢- الزاني المحصن يرجم حتى يموت):

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٢٧٠): حَدَّثَنَا أَصْبَغُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ

---

(١) راجع "المغني" تحت هذا الباب، و"شرح السُنة" (١٠/ ٢٣٩).

رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ زَنَىٰ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَتَنَحَّىٰ لِشِقِّهِ الَّذِي أَعْرَضَ، فَشَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ فَدَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ بِكَ جُنُونٌ هَلْ أَحْصَنْتَ»، قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ بِالْمُصَلَّىٰ، فَلَمَّا أَذْلَقَتْهُ الْحِجَارَةُ جَمَزَ حَتَّىٰ أُدْرِكَ بِالْحَرَّةِ فَقُتِلَ.

والحديث أخرجه مسلم (١٦٩٣): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قَالَ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ «أَحَقٌّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ». قَالَ وَمَا بَلَغَكَ عَنِّي قَالَ «بَلَغَنِي أَنَّكَ وَقَعْتَ بِجَارِيَةِ آلِ فُلاَنٍ»، قَالَ نَعَمْ. قَالَ فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.

- قال أبو داود رَحِمَهُٱللَّهُ (٤٥٠٢): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يَحْيَىٰ ابْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ وَكَانَ فِي الدَّارِ مَدْخَلٌ مَنْ دَخَلَهُ سَمِعَ كَلَامَ مَنْ عَلَىٰ الْبَلَاطِ فَدَخَلَهُ عُثْمَانُ فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُتَغَيِّرٌ لَوْنُهُ فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَتَوَاعَدُونَنِي بِالْقَتْلِ آنِفًا، قَالَ: قُلْنَا يَكْفِيكَهُمُ الله يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: وَلِمَ يَقْتُلُونَنِي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلَامٍ أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ»، فَوَالله مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ قَطُّ، وَلَا أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلًا مُنْذُ هَدَانِي الله، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ قَالَ أَبُو دَاوُد: عُثْمَانُ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا تَرَكَا الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. هذا حديث صحيح.

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦٨١٢): حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حِينَ رَجَمَ الْمَرْأَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَالَ: قَدْ رَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ (يؤخر الرجم عن الحامل حتىٰ تضع):

- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٦٩٦): حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمِسْمَعِيُّ، حَدَّثَنَا مُعَاذٌ يَعْنِي ابْنَ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي أَبُو قِلَابَةَ: أَنَّ أَبَا الْمُهَلَّبِ حَدَّثَهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ حُبْلَىٰ مِنْ الزِّنَىٰ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ الله أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِيَّهَا فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ عُمَرُ" تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ الله وَقَدْ زَنَتْ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لله تَعَالَىٰ».

- قال ابن القيم في الزاد (٥/٢٣): (وقضىٰ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أن الحامِلَ إذا قَتَلَت عمدًا لا تُقتل حتىٰ تضَعَ ما في بطنها وحتَّىٰ تُكَفِّلَ وَلَدَهَا". ذكره ابن ماجه فىٰ "سننه".[1]).

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٦٩٤) في الديات باب الحامل يجب عليها القود في إسناده: عبد الرحمن بن أنعم ضعيف، وعبد الله بن لهيعة ضعيف ،و الحديث مخرج في الإرواء (٢٢٢٥).

❁ (٣- من قتل متعمداً):

- قال الإمام أبو داود (٤٣٥٣): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ، فَإِنَّهُ يُرْجَمُ، وَرَجُلٌ خَرَجَ مُحَارِبًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، أَوْ يُصْلَبُ، أَوْ يُنْفَى مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ يَقْتُلُ نَفْسًا، فَيُقْتَلُ بِهَا».

❁ (٤ - الصائل إذا لم يُدفع إلّا بالقتل):

- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (١٤٠): حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا خَالِدٌ -يَعْنِي ابْنَ مَخْلَدٍ-، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ».

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٢٦٦): حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَىٰ عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَكَانَ مِنْ أَوْثَقِ أَعْمَالِي فِي نَفْسِي فَكَانَ لِي أَجِيرٌ فَقَاتَلَ إِنْسَانًا فَعَضَّ أَحَدُهُمَا

إِصْبَعَ صَاحِبِهِ، فَانْتَزَعَ إِصْبَعَهُ فَأَنْدَرَ ثَنِيَّتَهُ فَسَقَطَتْ فَانْطَلَقَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَهْدَرَ ثَنِيَّتَهُ وَقَالَ: «أَفَيَدَعُ إِصْبَعَهُ فِي فِيكَ تَقْضَمُهَا- قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ -كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ»، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ جَدِّهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ أَنَّ رَجُلًا عَضَّ يَدَ رَجُلٍ فَأَنْدَرَ ثَنِيَّتَهُ فَأَهْدَرَهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- قال الإمام أحمد بن حنبل (٥ /٢٩٤): حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حَدَّثَنَا حَسَنٌ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ قَابُوسَ بْنِ مُخَارِقٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَنِي أَوْ يَأْخُذَ مِنِّي مَالِي مَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: «تُعْظِمُ عَلَيْهِ بِاللَّهِ»، قَالَ: فَإِنْ فَعَلْتُ فَلَمْ يَنْتَهِ؟ قَالَ: «تَسْتَعْدِي السُّلْطَانَ»، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِقُرْبِي مِنْهُمْ أَحَدٌ؟ قَالَ: «تُجَاهِدُهُ أَوْ تُقَاتِلُهُ حَتَّى تُكْتَبَ فِي شُهَدَاءِ الْآخِرَةِ أَوْ تَمْنَعَ مَالَكَ»، هذا حديث (حسن لغيره).

- قال الحافظ في "فتح الباري" (٥ /١٢٤): «قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ جَوَازُ قَتْلِ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ الْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، سَوَاءٌ كَانَ الْمَالُ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَشَذَّ مَنْ أَوْجَبَهُ، وَقَالَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ: لَا يَجُوزُ إِذَا طَلَبَ الشَّيْءَ الْخَفِيفَ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: سَبَبُ الْخِلَافِ عِنْدَنَا هَلِ الْإِذْنُ فِي ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ فَلَا يَفْتَرِقُ الْحَالُ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ أَوْ مِنْ بَابِ دَفْعِ الضَّرَرِ فيختلف الْحَال، وَحكىٰ بن الْمُنْذِرِ عَنِ الشَّافِعِيِّ قَالَ: مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ أَوْ نَفْسُهُ أَوْ حَرِيمُهُ فَلَهُ الِاخْتِيَارُ أَنْ يُكَلِّمَهُ أَوْ يَسْتَغِيثَ، فَإِنْ مُنِعَ أَوِ امْتَنَعَ لَمْ يَكُنْ لَهُ قِتَالُهُ وَإِلَّا فَلَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنْ ذَلِكَ،

وَلَوْ أَتَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ عَقْلٌ وَلَا دِيَةٌ وَلَا كَفَّارَةٌ لَكِن لَيْسَ لَهُ عمد قَتله، قَالَ بن الْمُنْذِرِ: وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَدْفَعَ عَمَّا ذُكِرَ إِذَا أُرِيدَ ظُلْمًا بِغَيْرِ تَفْصِيلٍ إِلَّا أَنَّ كُلَّ مَنْ يُحْفَظُ عَنهُ من عُلَمَاء الحَدِيث كالمجمعين عَلَىٰ اسْتِثْنَاءِ السُّلْطَانِ لِلْآثَارِ الْوَارِدَةِ بِالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ جَوْرِهِ وَتَرْكِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ، وَفَرَّقَ الْأَوْزَاعِيُّ بَيْنَ الْحَالِ الَّتِي لِلنَّاسِ فِيهَا جَمَاعَةٌ وَإِمَامٌ فَحَمَلَ الْحَدِيثَ عَلَيْهَا، وَأَمَّا فِي حَالِ الِاخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ فَلْيَسْتَسْلِمْ وَلَا يُقَاتِلْ أَحَدًا وَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِلَفْظ: أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ» قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «فَاقْتُلْهُ» قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «فَهُوَ فِي النَّار»، قَالَ ابن بَطَّالٍ: إِنَّمَا أَدْخَلَ الْبُخَارِيُّ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْفَعَ عَن نَفسه وَمَا لَهُ وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ شَهِيدًا إِذَا قُتِلَ فِي ذَلِكَ فَلَا قَوَدَ عَلَيْهِ وَلَا دِيَة إِذا كَانَ هُوَ الْقَاتِل). اهـ

- قال الحافظ في فتح الباري: (وَقَدْ أَخَذَ بِظَاهِرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْجُمْهُورُ فَقَالُوا لَا يَلْزَمُ الْمَعْضُوضَ قِصَاصٌ وَلَا دِيَةٌ لِأَنَّهُ فِي حُكْمِ الصَّائِلِ وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِالْإِجْمَاعِ بِأَنَّ مَنْ شَهَرَ عَلَىٰ آخَرَ سِلَاحًا لِيَقْتُلَهُ فَدَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَتَلَ الشَّاهِرَ أَنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ فَكَذَا لَا يَضْمَنُ سِنَّهُ بِدَفْعِهِ إِيَّاهُ عَنْهَا قَالُوا وَلَوْ جَرَحَهُ الْمَعْضُوضُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَمْ يَلْزَمْهُ شَيْءٌ وَشَرْطُ الْإِهْدَارِ أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمَعْضُوضُ وَأَنْ لَا يُمْكِنَهُ

تَخْلِيصُ يَدِهِ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضَرْبٍ فِي شِدْقَيْهِ أَوْ فَكٍّ لِحْيَتِهِ لِيُرْسِلَهَا وَمَهْمَا أَمْكَنَ التَّخْلِيصُ بِدُونِ ذَلِكَ فَعَدَلَ عَنْهُ إِلَىٰ الْأَثْقَلِ لَمْ يُهْدَرْ..).

- قال شيخ الإسلام كما في المجموع (٢٨/٥٣٩-٥٤٠): «وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ إذَا صَالَ صَائِلٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ جَازَ لَهُ الدَّفْعُ بِالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.... وقال: وَإِذَا كَانَتْ السُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مُتَّفِقَيْنِ عَلَىٰ أَنَّ الصَّائِلَ الْمُسْلِمَ إذَا لَمْ يَنْدَفِعْ صَوْلُهُ إلَّا بِالْقَتْلِ قُتِلَ وَإِنْ كَانَ الْمَالُ الَّذِي يَأْخُذُهُ قِيرَاطًا مِنْ دِينَارٍ». ا هـ

- قال ابن أبي شيبة(٢٧٧٩٣): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَنَّ رَجُلًا أَضَافَ إِنْسَانًا مِنْ هُذَيْلٍ، فَذَهَبَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ تَحْتَطِبُ، فَأَرَادَهَا عَلَىٰ نَفْسِهَا، فَرَمَتْهُ بِفِهْرٍ فَقَتَلَتْهُ، فَرُفِعَ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: «**فَذَلِكَ قَتِيلُ اللهِ، لَا يُودَىٰ أَبَدًا**».

- قال ابن أبي شيبة(٢٨٠٤٢): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ حُجَيْرِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: قُلْتُ لِعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ دَاخِلٌ يُرِيدُ نَفْسِي وَمَالِي ، فَقَالَ: «**لَوْ دَخَلَ عَلَيَّ دَاخِلٌ يُرِيدُ نَفْسِي وَمَالِي لَرَأَيْتُ أَنْ قَدْ حَلَّ لِي قَتْلُهُ**».

- قال البغوي في "شرح السُنة" (١٠/٢٤٩): «ذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَىٰ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أُرِيدَ مَالُهُ، أَوْ دَمُهُ، أَوْ أَهْلُهُ فَلَهُ دَفْعُ الْقَاصِدِ وَمُقَاتَلَتُهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْفَعَ بِالأَحْسَنِ فَالأَحْسَنِ، فَإِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ إِلا بِالْمُقَاتَلَةِ، فَقَاتَلَهُ، فَأَتَىٰ الْقَتْلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَدَمُهُ هَدَرٌ، وَلا شَيْءَ عَلَىٰ الدَّافِعِ، وَهَلْ لَهُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ؟ نُظِرَ إِنْ أُرِيدَ مَالُهُ، فَلَهُ

ذَلِكَ، وَإِنْ أُرِيدَ دَمُهُ، وَلا يُمْكِنُهُ دَفْعُهُ إِلا بِالْقَتْلِ، فَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَىٰ أَنَّ لَهُ الاسْتِسْلامَ، إِلا أَنْ يَكُونَ الْقَاصِدُ كَافِرًا، أَوْ بَهِيمَةً، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَىٰ أَنَّهُ إِنِ اسْتَسْلَمَ يَكُونُ فِي دَمِهِ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَىٰ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ الاسْتِسْلامُ، وَكَرِهُوا لَهُ أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ، مُتَمَسِّكِينَ بِأَحَادِيثَ وَرَدَتْ فِي تَرْكِ الْقِتَالِ فِي الْفِتَنِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ، إِنَّمَا هَذَا فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ، وَقُطَّاعِ الطُّرُقِ، وَالسَّاعِينَ فِي الأَرْضِ بِالْفَسَادِ، فَفِي الانْقِيَادِ لَهُمْ ظُهُورُ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ، وَاجْتِرَاءُ أَهْلِ الطُّغْيَانِ عَلَىٰ الْعُدْوَانِ، وَتِلْكَ الأَحَادِيثُ فِي قِتَالِ الْقَوْمِ عَلَىٰ طَلَبِ الْمُلْكِ».

❁ (٥- المحارب):

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾[المائدة:٣٣-٣٤].

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٣٣): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلِقَاحٍ وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَانْطَلَقُوا فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَاقُوا النَّعَمَ، فَجَاءَ الْخَبَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ

فَأَمَرَ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ وَأُلْقُوا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ، قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: فَهَؤُلَاءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَحَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ.

- وشرط الحكم على شخص أو مجموعة بالحرابة بثلاثة أمور:

١- هم الذين يعرضون للقوم في الصحراء.

٢- يبرز السلاح مخيفا للعباد.

٣- يغصبهم المال جهرة.

- قال البغوي في "شرح السنة" (١٠/٢٦٠-٢٦٣): «وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي عُقُوبَةِ قَاطِعِ الطَّرِيقِ، فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَىٰ أَنَّهُ إِنْ قَتَلَ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَلَمْ يَأْخُذِ الْمَالَ يُقْتَلُ، وَقَتْلُهُ حَتْمٌ لَا يُقْبَلُ الْعَفْوُ، وَإِنْ أَخَذَ الْمَالَ وَلَمْ يَقْتُلْ، تُقْطَعُ يَدُهُ الْيُمْنَىٰ وَرِجْلُهُ الْيُسْرَىٰ إِذَا كَانَ أَخَذَ قَدْرَ نِصَابِ السَّرِقَةِ، وَإِنْ قَتَلَ وَأَخَذَ الْمَالَ يُقْتَلُ وَيُصْلَبُ، وَإِنْ لَمْ يَقْتُلْ وَلَمْ يَأْخُذِ الْمَالَ، لَكِنَّهُ هَيَّبَ وَكَثَّرَ الْجَيْشَ، نُفِيَ وَعُزِّرَ، وَالأَصْلُ فِيهِ قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة:٣٣]، وَظَاهِرُ الآيَةِ يَدُلُّ عَلَىٰ التَّخْيِيرِ، وَهِيَ عَلَىٰ تَرْتِيبِ الْجَرَائِمِ عِنْدَ الأَكْثَرِينَ....

وَإِذَا فَعَلَ مَا يَسْتَحِقُّ الصَّلْبَ، اخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّتِهِ، فَظَاهِرُ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ يُقْتَلُ، ثُمَّ يُصْلَبُ، وَقِيلَ: يُصْلَبُ حَيًّا، ثُمَّ يُطْعَنُ حَتَّىٰ يَمُوتَ مَصْلُوبًا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَقِيلَ: يُصْلَبُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ حَيًّا، ثُمَّ يُنْزَلُ، فَيُقْتَلُ.

فَإِنْ قُلْنَا: يُقْتَلُ ثُمَّ يُصْلَبُ فَيُتْرَكُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يُنْزَلُ، فَيُغَسَّلُ، وَيُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، إِلا أَنْ يُخْشَىٰ فَسَادُهُ قَبْلَ الثَّلاثِ، وَيَتَأَذَّىٰ بِهِ الأَحْيَاءُ، فَيُنْزَلُ قَبْلَهُ.

وَقِيلَ: يُتْرَكُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَتَفَتَّتَ، إِنْ لَمْ يَتَأَذَّ بِهِ النَّاسُ، فَعَلَىٰ هَذَا يُغَسَّلُ وَيُصَلَّىٰ عَلَيْهِ أَوَّلًا، ثُمَّ يُصْلَبُ.

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَىٰ أَنَّ الإِمَامَ بِالْخِيَارِ فِي أَمْرِ الْمُحَارِبِينَ بَيْنَ الْقَتْلِ، وَالصَّلْبِ، وَالنَّفْيِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِيمَنْ نَزَلَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة:٣٣]، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَىٰ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي الرَّهْطِ الْعُرَنِيِّينَ، وَقَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الإِسْلامِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [المائدة:٣٤]، وَالإِسْلامُ يَحْقِنُ الدَّمَ، سَوَاءٌ أَسْلَمَ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ أَوْ بَعْدَهَا.

وَإِذَا تَابَ قَاطِعُ الطَّرِيقِ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، فَيَسْقُطُ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا يَخْتَصُّ بِقَطْعِ الطَّرِيقِ، فَإِذَا كَانَ قَدْ قَتَلَ، يَسْقُطُ تَحَتُّمُ الْقَتْلِ، وَيَبْقَىٰ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ، فَالْوَلِيُّ فِيهِ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ اسْتَوْفَاهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخَذَ الْمَالَ، سَقَطَ عَنْهُ

قَطْعُ الْيَدِ وَالرِّجْلِ، وَقِيلَ فِي سُقُوطِ قَطْعِ الْيَدِ: حُكْمُهُ حُكْمُ السَّارِقِ فِي الْبَلَدِ إِذَا تَابَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَتَلَ وَأَخَذَ الْمَالَ، سَقَطَ عَنْهُ تَحَتُّمُ الْقَتْلِ وَالصَّلْبِ، وَإِذَا تَابَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ، فَلا يَسْقُطُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْعُقُوبَاتِ عَلَىٰ أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ ». اهـ

❁ (٦- قتل من أبى قبول الفرائض):

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦٩٢٤): حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى الله»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالله لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَالله لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهَا، قَالَ عُمَرُ: فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ الله صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

فليت شعري متىٰ يطبق حكام المسلمين هذه الشعيرة العظيمة حماية للدين وإظهارا لعظمته فنحن في زمن قد عطل كثير من أهله الشعائر الدينية، والسنن النبوية، وهذا الواجب الذي ضيعوه والحق الذي أهملوه سيسألون عنه مع ما يلاقون في الدنيا من زوال دولتهم وفساد رعاياهم، فإلىٰ الله المشتكىٰ.

ثم ليعلم: أن هنالك فرق بين القتل والمقاتلة علىٰ ما سيأتي بيانه من كلام أهل العلم.

❁ (٧- ساب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإن تاب):

- قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح:٩]، فالرسول عليه الصلاة والسلام له حق عظيم ومنزلة رفيعة يجب علىٰ المسلمين تعظيمه وتوقيره، ومن سبه أو تنقصه أو سخر به فهو كافر بالله العظيم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، فساب الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله عليه الصلاة والسلام يقتل ردة فإن تاب من سب الله عَزَّوَجَلَّ سقط عنه القتل، وإن تاب من سب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجب قتله حدا لا ردة؛ لأن حقوق الله عَزَّوَجَلَّ مبنية علىٰ المسامحة، وحقوق الناس مبنية علىٰ المشاحة، فلا يجوز التنازل عن حق النبي عليه الصلاة والسلام، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب نفيس بعنوان: «السيف المسلول علىٰ شاتم الرسول».

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٠٣٧): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الله حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى الله وَرَسُولَهُ»، فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا قَالَ: «قُلْ»، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً

وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ، قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ.

وحَدَّثَنَا عَمْرٌو غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ أَوْ فَقُلْتُ لَهُ: فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ فَقَالَ: أُرَىٰ فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ فَقَالَ: نَعَمِ ارْهَنُونِي قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ، قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي السِّلَاحَ، فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَىٰ طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمْرٌو قَالَ سَمَّىٰ بَعْضَهُمْ قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ عَمْرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ، وَقَالَ: مَرَّةً ثُمَّ أُشِمُّكُمْ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيْ أَطْيَبَ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَ

عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ عَمْرٌو: فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ قَالَ: نَعَمْ فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ: دُونَكُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ[1].

- وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٠٣٩): حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَىٰ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله بْنُ مُوسَىٰ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الله بْنَ عَتِيكٍ وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعِينُ عَلَيْهِ وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ فَقَالَ عَبْدُ الله لِأَصْحَابِهِ اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ دَنَا مِنْ الْبَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ: يَا عَبْدَ الله إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَىٰ وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ قُلْتُ: إِنْ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّىٰ أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ الْبَيْتِ فَقُلْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا

---

(١) والحديث أخرجه أيضًا مسلم (١٨٠١).

دَهِشٌ فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنْ الْبَيْتِ فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّىٰ أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ دَرَجَةٍ لَهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَىٰ أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّىٰ جَلَسْتُ عَلَىٰ الْبَابِ فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَىٰ السُّورِ فَقَالَ أَنْعَىٰ أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءَ فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ فَانْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ.

- قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٣٦١): حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ مُوسَىٰ الْخُتَّلِيُّ أَخْبَرَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَدَنِيُّ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ عُثْمَانَ الشَّحَّامِ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَعْمَىٰ كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَشْتُمُهُ فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: «أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ»، فَقَامَ الْأَعْمَىٰ يَتَخَطَّىٰ النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّىٰ قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله أَنَا صَاحِبُهَا كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّىٰ قَتَلْتُهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ».

- قال ابن المنذر في كتاب الإجماع (١٥٣): وأجمعوا علىٰ أن من سب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القتل. اهـ

فأين حكّام وأمراء المسلمين الذين يقيمون هذا الحكم في حقّ من سبّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟.

❁ (٨- قتل جاسوس الكافرين على المسلمين):

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٠٨١): حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْعُمَيْسِ عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَجَلَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَتَحَدَّثُ ثُمَّ انْفَتَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اطْلُبُوهُ وَاقْتُلُوهُ» فَقَتَلَهُ فَنَفَّلَهُ سَلَبَهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ حَوْشَبٍ الطَّائِفِيُّ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ عُثْمَانِيًّا فَقَالَ لِابْنِ عَطِيَّةَ وَكَانَ عَلَوِيًّا إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا الَّذِي جَرَّأَ صَاحِبَكَ عَلَىٰ الدِّمَاءِ سَمِعْتُهُ يَقُولُ بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالزُّبَيْرَ فَقَالَ: «ائْتُوا رَوْضَةَ كَذَا وَتَجِدُونَ بِهَا امْرَأَةً أَعْطَاهَا حَاطِبٌ كِتَابًا» فَأَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَقُلْنَا الْكِتَابَ قَالَتْ لَمْ يُعْطِنِي فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ أَوْ لَأُجَرِّدَنَّكِ

فَأَخْرَجَتْ مِنْ حُجْزَتِهَا فَأَرْسَلَ إِلَىٰ حَاطِبٍ فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ وَاللهِ مَا كَفَرْتُ وَلَا ازْدَدْتُ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا حُبًّا وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا وَلَهُ بِمَكَّةَ مَنْ يَدْفَعُ اللهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ عُمَرُ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَإِنَّهُ قَدْ نَافَقَ فَقَالَ: «مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَهَذَا الَّذِي جَرَّأَهُ».

- قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٦٥٢): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَبَّبٍ أَبُو هَمَّامٍ الدَّلَّالُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ عَنْ فُرَاتِ بْنِ حَيَّانَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ وَكَانَ عَيْنًا لِأَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ حَلِيفًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَمَرَّ بِحَلَقَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنِّي مُسْلِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْكُمْ رِجَالًا نَكِلُهُمْ إِلَى إِيمَانِهِمْ مِنْهُمْ فُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ».

- قَالَ النَّوَوِيُّ فِي "شرح مسلم": (وَفِيهِ قَتْلُ الْجَاسُوسِ الْكَافِرِ الْحَرْبِيِّ وَهُوَ كَذَلِكَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ أَمَرَهُمْ بِطَلَبِهِ وَقَتْلِهِ وَأَمَّا الْجَاسُوسُ الْمُعَاهَدُ وَالذِّمِّيُّ فَقَالَ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ يَصِيرُ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ فَإِنْ رَأَىٰ اسْتِرْقَاقَهُ أَرَقَّهُ وَيَجُوزُ قَتْلُهُ وَقَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ لَا يُنْتَقَضُ عَهْدُهُ بِذَلِكَ قَالَ أَصْحَابُنَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ شُرِطَ عَلَيْهِ انْتِقَاضُ الْعَهْدِ بِذَلِكَ، وَأَمَّا الْجَاسُوسُ الْمُسْلِمُ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَبَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: يُعَزِّرُهُ الْإِمَامُ بِمَا يَرَىٰ مِنْ ضَرْبٍ

وَحَبْسٍ وَنَحْوِهِمَا وَلَا يَجُوزُ قَتْلُهُ، وَقَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: يَجْتَهِدُ فِيهِ الْإِمَامُ وَلَمْ يُفَسِّرِ الِاجْتِهَادَ وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ كِبَارُ أَصْحَابِهِ يُقْتَلُ قَالَ وَاخْتَلَفُوا فِي تَرْكِهِ بِالتَّوْبَةِ».

بل وفي حديث علي السالف جواز قتل الجاسوس المسلم لمصلحة الكافرين، وإنما الذي رفع القتل عن حاطب هو نهي النبي عليه الصلاة والسلام عمر عن قتله، ثم بين سبب ذلك بقوله: «لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»، أما غير حاطب فأمره إلىٰ الإمام إن شاء قتله تعزيرًا له ولأمثاله، وإن شاء ترك، وقتل جاسوس الكافرين أحب إلينا ولي رسالة في أحكام الجواسيس يسر الله طبعها.

❁ (٩- من أراد تفريق جماعة المسلمين):

- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٨٥٢): حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ ابْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ وقَالَ ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَرْفَجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ».

وحَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي يَعْفُورٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المجموع" (١٢/ ٢٤١): فيه الأمر بقتال من خرج علىٰ الإمام وأراد تفريق جماعة المسلمين ونحو ذلك ويُنهىٰ عن ذلك فإن لم ينته قوتل وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدارا فقوله: «فاضربوه بالسيف» وفي رواية: «فاقتلوه» معناه: إذا لم يندفع إلا بذاك. اهـ

❁ (١٠- إذا بويع لخليفتين يقتل الآخر وإن كان قرشيًا):

- قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٨٤٤): حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا وقَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ إِذْ نَادَىٰ مُنَادِي رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعْنَا إِلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ

إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ».

- وقال (١٨٥٣): حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الله عَنْ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا».

- قال النووي (٢٤١/١٢): «هذا محمول على ما إذا لم يندفع إلا بقتله.» اهـ

❁ (١١- الساحر):

والسحر تعلمه وتعليمه وتعاطيه كفر بالله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[البقرة:١٠٢].

- أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (١٨١/١-١٨٢) رقم (١٨٧٤٨): عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ بَجَالَةَ التَّمِيمِيَّ ، قَالَ: وَجَدَ عُمَرُ بْنُ

الْخَطَّابِ مُصْحَفًا فِي حِجْرِ غُلَامٍ فِي الْمَسْجِدِ فِيهِ: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبُوهُمْ» ، فَقَالَ: «احْكُكْهَا يَا غُلَامُ» ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَحُكُّهَا وَهِيَ فِي مُصْحَفِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَانْطَلَقَ إِلَىٰ أُبَيٍّ فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي شَغَلَنِي الْقُرْآنُ ، وَشَغَلَكَ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ إِذْ تَعْرِضُ رِدَاءَكَ عَلَىٰ عُنُقِكَ بِبَابِ ابْنِ الْعَجْمَاءِ».

قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ الْجِزْيَةَ مِنَ الْمَجُوسِ حَتَّىٰ شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ» قَالَ: وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَىٰ جَزْءِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَمِّ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ: «أَنِ اقْتُلْ كُلَّ سَاحِرٍ، وَفَرِّقْ بَيْنَ كُلِّ امْرَأَةٍ وَحَرِيمِهَا فِي كِتَابِ اللهِ ، وَلَا يُزَمْزَمَنَّ»، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِسَنَةٍ قَالَ: فَأَرْسَلَنَا فَوَجَدْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ ، فَضَرَبْنَا أَعْنَاقَهُنَّ ، وَجَعَلْنَا نَسْأَلُ الرَّجُلَ: مَنْ عِنْدَكَ؟ فَيَقُولُ: أُمُّهُ ، أُخْتُهُ ، ابْنَتُهُ ، فَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمْ ، وَصَنَعَ جَزْءٌ طَعَامًا كَثِيرًا ، وَأَعْرَضَ السَّيْفَ فِي حِجْرِهِ ، وَقَالَ: لَا يُزَمْزِمَنَّ أَحَدٌ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، فَأَلْقَوْا أَخِلَّةً مِنْ فِضَّةٍ كَانُوا يَأْكُلُونَ بِهَا ، حِمْلَ بَغْلٍ مَا سَدَّهَا، قَالَ: وَأَمَّا شَأْنُ أَبِي بُسْتَانٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجُنْدُبٍ: «جُنْدُبٌ وَمَا جُنْدُبٌ يَضْرِبُ ضَرْبَةً يُفَرِّقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ»، فَإِذَا أَبُو بُسْتَانٍ يَلْعَبُ فِي أَسْفَلِ الْحِصْنِ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ وَالنَّاسُ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ عَلَىٰ سُورِ الْقَصْرِ - يَعْنِي وَسْطَ الْقَصْرِ - فَقَالَ جُنْدُبٌ: وَيْلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَمَا يَلْعَبُ بِكُمْ ، وَاللهِ إِنَّهُ لَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ ، إِنَّمَا هُوَ فِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ ، وَاشْتَمَلَ عَلَىٰ السَّيْفِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَتَلَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: لَمْ يَقْتُلْهُ ، وَذَهَبَ عَنْهُ السِّحْرُ ، فَقَالَ أَبُو بُسْتَانٍ: قَدْ

نَفَعَنِي اللهُ بِضَرْبَتِكَ وَسَجَنَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَتَنَقَّصَ ابْنَ أَخِيهِ أَثِيَّةَ وَكَانَ فَارِسَ الْعَرَبِ حَتَّىٰ حَمَلَ عَلَىٰ صَاحِبِ السِّجْنِ فَقَتَلَهُ وَأَخْرَجَهُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ [البحر الطويل]:

أَفِي مَضْرَبِ السُّحَّارِ يُسْجَنُ جُنْدُبٌ ... وَيُقْتَلُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْأَوَائِلُ

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي بِابْنِ سَلْمَىٰ وَرَهْطِهِ ... هُوَ الْحَقُّ يُطْلَقُ جُنْدُبٌ أَوْ يُقَاتَلُ

فَنَالَ مِنْ عُثْمَانَ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ ، فَانْطَلَقَ إِلَىٰ أَرْضِ الرُّومِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا يُقَاتِلُ ، حَتَّىٰ مَاتَ لِعَشْرِ سَنَوَاتٍ مَضَيْنَ ، مِنْ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ: «مَا أَحَدٌ بِأَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ أَثِيَّةَ ، نَفَاهُ عُثْمَانُ فَلَا أَسْتَطِيعُ أُؤَمِّنُهُ وَلَا أَرُدُّهُ».

هذا أثر صحيح، والصحابي إن لم يوجد له مخالف ففعله حجة علىٰ الصحيح، كما هو مقرر في الأصول، والساحر كافر، والكافر يقتل ردة وإن قتل بسحره ثم تاب قتل حدًا ولا يجوز تعلم السحر ولا تعليمه ولا إتيان أهله فرسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »، أخرجه البزار[1] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند حسن، وهو عند أحمد من حديث أبي هريرة، وفيه انقطاع، وأما من أتاهم ولم يصدقهم: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[2].

---

(١) حديث رقم: (٢٠٦٧).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٢٣٠)، عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والساحر كافر لأمور:

الأول: ادعاء علم الغيب.

الثاني: تعاطي المكفرات من امتهان المصحف وتضييع الفرائض وغير ذلك.

- قال عبد الرزاق (١٠ /١٨٠): عَنْ عَبْدِ اللهِ ، أَوْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ جَارِيَةً لِحَفْصَةَ سَحَرَتْهَا ، وَاعْتَرَفَتْ بِذَلِكَ فَأَمَرَتْ بِهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدٍ فَقَتَلَهَا ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا عُثْمَانُ»، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَا تُنْكِرُ عَلَىٰ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ امْرَأَةٍ سَحَرَتْ وَاعْتَرَفَتْ» فَسَكَتَ عُثْمَانُ[١].

- قال عبد الرزاق (١٠ /١٨٤): عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ نَافِعٍ: أَنَّ حَفْصَةَ: «سُحِرَتْ فَأَمَرَتْ عُبَيْدَ اللهِ أَخَاهَا فَقَتَلَ سَاحِرَتَيْنِ»[٢].

- قال البيهقي في "الكبرى" (٨ /١٣٦) رقم: (١٦٤٩٩): أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ السُّكَّرِيُّ، بِبَغْدَادَ ، أَنْبَأَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، ثَنَا سَعْدَانُ بْنُ نَصْرٍ، ثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، سَحَرَتْهَا جَارِيَةٌ لَهَا فَأَقَرَّتْ بِالسِّحْرِ وَأَخْرَجَتْهُ فَقَتَلَتْهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَغَضِبَ ، فَأَتَاهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) (صحيح) إن كان الراوي هو عبيد الله العمري، أما عبد الله فضعيف ويشهد له ما بعده.

(٢) (صحيح) وإن كان في رواية معمر عن البصريين كلام لكنها لا تنزل عن الاحتجاج.

فَقَالَ: جَارِيَتُهَا سَحَرَتْهَا ، أَقَرَّتْ بِالسِّحْرِ وَأَخْرَجَتْهُ، قَالَ: فَكَفَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ غَضَبُهُ لِقَتْلِهَا إِيَّاهَا بِغَيْرِ أَمْرِهِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ تُقْتَلَ السُّحَّارُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ إِنْ كَانَ السِّحْرُ شِرْكًا ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

- وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٨ /١٣٦) رقم: (١٦٥٠١): وَقَدْ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْحَارِثِ الْأَصْبَهَانِيُّ، أَنْبَأَ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الْحَافِظُ، ثَنَا الْقَاضِي الْمَحَامِلِيُّ، ثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، ثَنَا هُشَيْمٌ، أَنْبَأَ خَالِدٌ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ جُنْدُبٍ الْبَجَلِيِّ، أَنَّهُ قَتَلَ سَاحِرًا كَانَ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ [الأنبياء:٣]).

- وقال (٨ /١٣٦) رقم: (١٦٥٠٢): أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِي عَمْرٍو، ثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ، ثَنَا بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ، ثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، كَانَ بِالْعِرَاقِ يَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَاحِرٌ ، وَكَانَ يَضْرِبُ رَأْسَ الرَّجُلِ ثُمَّ يَصِيحُ بِهِ فَيَقُومُ خَارِجًا فَيَرْتَدُّ إِلَيْهِ رَأْسُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ. وَرَآهُ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِ الْمُهَاجِرِينَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اشْتَمَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ ، فَذَهَبَ يَلْعَبُ لَعِبَهُ ذَلِكَ ، فَاخْتَرَطَ الرَّجُلُ سَيْفَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ فَقَالَ: إِنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيُحْيِ نَفْسَهُ ، وَأَمَرَ بِهِ الْوَلِيدُ دِينَارًا صَاحِبَ السِّجْنِ ، وَكَانَ

رَجُلًا صَالِحًا فَسَجَنَهُ ، فَأَعْجَبَهُ نَحْوُ الرَّجُلِ، فَقَالَ: أَفَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْرُبَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاخْرُجْ لَا يَسْأَلُنِي اللهُ عَنْكَ أَبَدًا[١].

فإلىٰ الله المشتكىٰ من غربة الإسلام، وظهور السحرة والمشعوذين، حتىٰ أصبحت لديهم القنوات الفضائية والأماكن المشهورة.

فاللهم سلم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

❁ (١٢- قتل اللوطي):

- قال ابن أبي شيبة (٥ /٤٩٦): حَدَّثَنَا غَسَّانُ بْنُ مُضَرَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا حَدُّ اللُّوطِيِّ؟، قَالَ: «يُنْظَرُ أَعْلَىٰ بِنَاءٍ فِي الْقَرْيَةِ فَيُرْمَىٰ بِهِ مُنَكَّسًا، ثُمَّ يُتْبَعُ بِالْحِجَارَةِ»[٢].

- وقال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ خُثَيْمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُمَا سَمِعَا ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي الرَّجُلِ يُوجَدُ أَوْ يُؤْخَذُ عَلَىٰ اللُّوطِيَّةِ: «إِنَّهُ يُرْجَمُ»[٣].

- وقال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَىٰ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ، قَالَ: «عَلَيْهِ الرَّجْمُ قَتَلَهُ عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ»[٤].

---

(١) فيه ابن لهيعة (ضعيف).

(٢) صحيح.

(٣) صحيح.

(٤) صحيح.

- وقال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَىٰ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: «حُرْمَةُ الدُّبُرِ أَعْظَمُ مِنْ حُرْمَةِ كَذَا»، قَالَ قَتَادَةُ: نَحْنُ نَحْمِلُهُ عَلَىٰ الرَّجْمِ.

- قال ابن قدامة في "المغني" (٣٤٨/١٢): وَمَنْ تَلَوَّطَ، قُتِلَ، بِكْرًا كَانَ أَوْ ثَيِّبًا، فِي إحْدَىٰ الرِّوَايَتَيْنِ، وَالْأُخْرَىٰ حُكْمُهُ حُكْمُ الزَّانِي)، أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَىٰ تَحْرِيمِ اللِّوَاطِ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ، وَعَابَ مَنْ فَعَلَهُ، وَذَمَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾[الأعراف:٨٠-٨١].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ»[1].

وَاخْتَلَفَتْ الرِّوَايَةُ عَنْ أَحْمَدَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي حَدِّهِ؛ فَرُوِيَ عَنْهُ، أَنَّ حَدَّهُ الرَّجْمُ، بِكْرًا كَانَ أَوْ ثَيِّبًا.

وَهَذَا قَوْلُ عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ، وَالزُّهْرِيِّ، وَأَبِي حَبِيبٍ، وَرَبِيعَةَ، وَمَالِكٍ، وَإِسْحَاقَ، وَأَحَدُ قَوْلَيْ الشَّافِعِيِّ وَالرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ، أَنَّ حَدَّهُ حَدُّ الزَّانِي.

وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَعَطَاءٌ، وَالْحَسَنُ، وَالنَّخَعِيُّ، وَقَتَادَةُ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَأَبُو يُوسُفَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٩١٣)، بنحوه.

قَوْلَيْ الشَّافِعِيِّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَتَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فَهُمَا زَانِيَانِ»[1].

وَلِأَنَّهُ إِيلَاجُ فَرْجِ آدَمِيٍّ فِي فَرْجِ آدَمِيٍّ، لَا مِلْكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا شُبْهَةَ مِلْكٍ، فَكَانَ زِنًى كَالْإِيلَاجِ فِي فَرْجِ الْمَرْأَةِ، إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ زِنًا دَخَلَ فِي عُمُومِ الْآيَةِ وَالْأَخْبَارِ فِيهِ، وَلِأَنَّهُ فَاحِشَةٌ، فَكَانَ زِنًى، كَالْفَاحِشَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَمَرَ بِتَحْرِيقِ اللُّوطِيِّ.

وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ لِمَا رَوَى صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنَّهُ وَجَدَ فِي بَعْضِ ضَوَاحِي الْعَرَبِ رَجُلًا يُنْكَحُ كَمَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَاسْتَشَارَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصَّحَابَةَ فِيهِ، فَكَانَ عَلِيٌّ أَشَدَّهُمْ قَوْلًا فِيهِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ هَذَا إِلَّا أُمَّةٌ مِنْ الْأُمَمِ وَاحِدَةٌ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلَ الله بِهَا، أَرَى أَنْ يُحْرَقَ بِالنَّارِ.

فَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ بِذَلِكَ، فَحَرَقَهُ.

وَقَالَ الْحَكَمُ، وَأَبُو حَنِيفَةَ: لَا حَدَّ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَحَلِّ الْوَطْءِ، أَشْبَهَ غَيْرَ الْفَرْجِ.

وَوَجْهُ الرِّوَايَةِ الْأُولَى، قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ».رَوَاهُ أَبُو دَاوُد[2]، وَفِي لَفْظٍ: «فَارْجُمُوا الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ».

---

(١) حديث ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٤٦٢)، وجاء عند الترمذي وابن ماجه وأحمد.

وَلِأَنَّهُ إجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِهِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي صِفَتِهِ.

وَاحْتَجَّ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَرَىٰ رَجْمَهُ، وَلِأَنَّ الله تَعَالَىٰ عَذَّبَ قَوْمَ لُوطٍ بِالرَّجْمِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَاقَبَ مَنْ فَعَلَ فِعْلَهُمْ بِمِثْلِ عُقُوبَتِهِمْ.

وَقَوْلُ مَنْ أَسْقَطَ الْحَدَّ عَنْهُ يُخَالِفُ النَّصَّ وَالْإِجْمَاعَ، وَقِيَاسُ الْفَرْجِ عَلَىٰ غَيْرِهِ لَا يَصِحُّ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ الْفَرْقِ.

إذَا ثَبَتَ هَذَا، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ فِي مَمْلُوكٍ لَهُ أَوْ أَجْنَبِيٍّ؛ لِأَنَّ الذَّكَرَ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِوَطْءِ الذَّكَرِ، فَلَا يُؤَثِّرُ مِلْكُهُ لَهُ. اهـ

فما أقبح هذه الجريمة البشعة التي تخالف الفطر وقد أصبح لها اليوم مروّجو ودعاة وتسن لها القوانين، بل لقد تمّ زواج رجل برجل في بلاد مصر علنًا، ولا حول ولا قوّ إلاّ بالله العليّ العظيم.

❁ (١٣- قتال أهل الغي):

- قال البخاري (١٦/٩): بَابُ: قَتْلِ والْخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَقَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥]، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ الله وَقَالَ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا إِلَىٰ آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ.

- وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة:٣٣]، وهذه الآية اختلف العلماء فيمن نزلت «فقيل: نزلت في العُرَنيِّين وقيل: إنها نزلت في المشركين قاله الحسن، وعطاء.

وذهب ابن جرير: إلىٰ أنها نزلت في اليهود قال: ويدخل تحتها كلُّ ذِمِّي وملِّيٍّ.

وذهب مالك، والشافعي، وأبو ثور، وأصحاب الرأي: إلىٰ أنها نزلت في المسلمين المحاربين. وهذا القول أصحها إن شاء الله تعالىٰ؛ **لوجهين**:

أحدهما: أن الكفار لا تخيير فيهم بين القتل والصَّلب، وقطع الأيدي والأرجل. وإنَّما حكم الكافر الأصلي: إمَّا القتل، وإمَّا السباء، أو الجزية.

وإمَّا المرتد: فالقتل. وهل يستتاب أو لا؟ هذا محل الخلاف كما تقدم.

وثانيهما: أن الكافر لو تاب فأسلم بعد القدرة عليه لصحت توبته، وحرم قتله بالإجماع، وآية المحاربة بنصِّها مخالفة لهذين الوجهين، فدلَّ اختلاف حكم الكافر لحكم المحارب: أن المحارب إنَّما هو مسلمٌ بحكم اعتقاده، محارب بفعله، فحكمه ما ذكره الله تعالىٰ في آية المحاربة.

- **ثم المحاربة عندنا هي**: إخافة السبيل، وإشهار السلاح، قصدًا لأخذ الأموال بالفساد في الأرض، وتكون خارج المصر وداخله عندنا، وعند الشافعي...

فأمَّا حكم المحارب: فأولىٰ الأقوال فيه ما شهد له ظاهر الآية. وهو: تخيير الإمام بين القتل مع الصَّلب، والقطع، والنفي. فأيُّ ذلك رأىٰ الإمام أنكىٰ، أو أحق، فعل. »[1]. اهـ

- قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦٩٠٣): حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا خَيْثَمَةُ حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا فَوَالله لَأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خِدْعَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

- وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٠٦٤): حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعْمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا إِلَىٰ رَسُولِ الله

---

(١) "المفهم" (٥/ ٢١-٢٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَسَمَهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ»، فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ فَقَالَ: اتَّقِ الله يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ يُطِعِ الله إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي»، قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإسلام وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنْ الإسلام كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

- قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٥٣٠/٢٨): «وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ وُجُوبِ قِتَالِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَنَحْوِهِمْ إِذَا فَارَقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا قَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَيْفَ إِذَا ضَمُّوا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الْمُشْرِكِينَ».

- قال النووي في "شرح مسلم": «قَالَ الْقَاضِي أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ الْخَوَارِجَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْبَغْيِ مَتَىٰ خَرَجُوا عَلَىٰ الْإِمَامِ وَخَالَفُوا رَأْيَ الْجَمَاعَةِ وَشَقُّوا الْعَصَا وَجَبَ قِتَالُهُمْ بَعْدَ إِنْذَارِهِمْ وَالِاعْتِذَارِ إِلَيْهِمْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ لَكِنْ لَا يُجْهَزُ عَلَىٰ جَرِيحِهِمْ وَلَا يُتْبَعُ

مُنْهَزِمُهُمْ وَلَا يُقْتَلُ أَسِيرُهُمْ وَلَا تُبَاحُ أَمْوَالُهُمْ وَمَا لَمْ يَخْرُجُوا عَنِ الطَّاعَةِ وَيَنْتَصِبُوا لِلْحَرْبِ لَا يُقَاتَلُونَ بَلْ يُوعَظُونَ وَيُسْتَتَابُونَ مِنْ بِدْعَتِهِمْ وَبَاطِلِهِمْ وَهَذَا كُلُّهُ مَا لَمْ يَكْفُرُوا بِبِدْعَتِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ بِدْعَةً مِمَّا يَكْفُرُونَ بِهِ جَرَتْ عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْمُرْتَدِّينَ وَأَمَّا الْبُغَاةُ الَّذِينَ لَا يَكْفُرُونَ فَيَرِثُونَ وَيُورَثُونَ وَدَمُهُمْ فِي حَالِ الْقِتَالِ هَدَرٌ وَكَذَا أَمْوَالُهُمُ الَّتِي تُتْلَفُ فِي الْقِتَالِ وَالْأَصَحُّ أَنَّهُمْ لَا يَضْمَنُونَ أَيْضًا مَا أَتْلَفُوهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْعَدْلِ فِي حَالِ الْقِتَالِ مِنْ نَفْسٍ وَمَالٍ وَمَا أَتْلَفُوهُ فِي غَيْرِ حَالِ الْقِتَالِ مِنْ نَفْسٍ وَمَالٍ ضَمِنُوهُ وَلَا يَحِلُّ الِانْتِفَاعُ بِشَيْءٍ مِنْ دَوَابِّهِمْ وَسِلَاحِهِمْ فِي حَالِ الْحَرْبِ عِنْدَنَا وَعِنْدَ الْجُمْهُورِ ». اهـ

- قال بن قدامة في "المغني" (٢٣٧/١٢): وَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾[الحجرات:٩]، إلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ﴾[الحجرات:١٠].

فَفِيهَا خَمْسُ فَوَائِدَ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا بِالْبَغْيِ عَنْ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ سَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ أَوْجَبَ قِتَالَهُمْ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ أَسْقَطَ قِتَالَهُمْ إذَا فَاءُوا إلَىٰ أَمْرِ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَسْقَطَ عَنْهُمْ التَّبِعَةَ فِيمَا أَتْلَفُوهُ فِي قِتَالِهِمْ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الْآيَةَ أَفَادَتْ جَوَازَ قِتَالِ كُلِّ مَنْ مَنَعَ حَقًّا عَلَيْهِ.

وَرَوَىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو وَقَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - يَقُولُ: «مَنْ أَعْطَى إمَامًا صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَىٰ عَرْفَجَةُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: «سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ. وَرَفَعَ صَوْتَهُ: أَلَا وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي وَهُمْ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ بِالسَّيْفِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ».

فَكُلُّ مَنْ ثَبَتَتْ إمَامَتُهُ، وَجَبَتْ طَاعَتُهُ، وَحَرُمَ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ وَقِتَالُهُ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]، وَرَوَىٰ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» .

وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»، رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي ذَرٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ، كُلُّهَا بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ.

وَأَجْمَعَتْ الصَّحَابَةُ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ -، عَلَىٰ قِتَالِ الْبُغَاةِ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قَاتَلَ مَانِعِي الزَّكَاةِ، وَعَلِيٌّ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قَاتَلَ أَهْلَ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ وَأَهْلَ النَّهْرَوَانِ.

- **وَالْخَارِجُونَ عَنْ قَبْضَةِ الْإِمَامِ، أَصْنَافٌ أَرْبَعَةٌ:**

أَحَدُهَا: قَوْمٌ امْتَنَعُوا مِنْ طَاعَتِهِ، وَخَرَجُوا عَنْ قَبْضَتِهِ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ، فَهَؤُلَاءِ قُطَّاعُ طَرِيقٍ، سَاعُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، يَأْتِي حُكْمُهُمْ فِي بَابٍ مُفْرَدٍ.

الثَّانِي: قَوْمٌ لَهُمْ تَأْوِيلٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَفَرٌ يَسِيرٌ، لَا مَنَعَةَ لَهُمْ، كَالْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالْعَشَرَةِ وَنَحْوِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ قُطَّاعُ طَرِيقٍ، فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ؛ لِأَنَّ ابْنَ مُلْجَمٍ لَمَّا جَرَحَ عَلِيًّا، قَالَ لِلْحَسَنِ: إِنْ بَرِئْتُ رَأَيْتُ رَأْيِي، وَإِنْ مِتُّ فَلَا تُمَثِّلُوا بِهِ، فَلَمْ يُثْبِتْ لِفِعْلِهِ حُكْمَ الْبُغَاةِ. وَلِأَنَّنَا لَوْ أَثْبَتْنَا لِلْعَدَدِ الْيَسِيرِ حُكْمَ الْبُغَاةِ، فِي سُقُوطِ ضَمَانِ مَا أَتْلَفُوهُ، أَفْضَىٰ إِلَىٰ إِتْلَافِ أَمْوَالِ النَّاسِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا فَرْقَ بَيْنَ الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ، وَحُكْمُهُمْ حُكْمُ الْبُغَاةِ إِذَا خَرَجُوا عَنْ قَبْضَةِ الْإِمَامِ.

الثَّالِثُ: الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ بِالذَّنْبِ، وَيُكَفِّرُونَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَكَثِيرًا مِنْ الصَّحَابَةِ، وَيَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا مَنْ خَرَجَ مَعَهُمْ، فَظَاهِرُ قَوْلِ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُتَأَخِّرِينَ، أَنَّهُمْ بُغَاةٌ. اهـ

❁ (١٤- قتل شارب الخمر المستحل لها):

- قال الإمام النسائي (٥٦٦٢): أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ خَالِهِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ» ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ»، هذا حديث صحيح.

- قال أبو داود (٤٤٨٢): حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبَانُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ ذَكْوَانَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إِذَا شَرِبُوا الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُمْ ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا فَاجْلِدُوهُمْ ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا فَاجْلِدُوهُمْ ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا اقْتُلُوهُمْ»، هذا حديث حسن.

- قال أبو داود (٤٤٨٤): حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ الأَنْطَاكِي حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْوَاسِطِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إِذَا سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ ثُمَّ إِنْ سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ ثُمَّ إِنْ سَكِرَ فَاجْلِدُوهُ فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ».

- وقال الإمام أحمد (٤/٢٣١): حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْيَزَنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الدَّيْلَمُ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّا بِأَرْضٍ بَارِدَةٍ، وَإِنَّا لَنَسْتَعِينُ بِشَرَابٍ يُصْنَعُ لَنَا مِنَ الْقَمْحِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُسْكِرُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَلَا تَشْرَبُوهُ» فَأَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُسْكِرُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَلَا تَشْرَبُوهُ» فَأَعَادَ عَلَيْهِ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُسْكِرُ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَلَا تَشْرَبُوهُ» قَالَ: «فَإِنَّهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَنْهُ» قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَصْبِرُوا عَنْهُ فَاقْتُلُوهُمْ».

والأصل: أن حد الخمر أربعين لفعل النبي عليه الصلاة والسلام ذلك، وذهب عمر وبعض أهل العلم إلىٰ أنه ثمانين، ففي "الصحيحين": أن النبي

عليه الصلاة والسلام جلد في الخمر، قال: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ نَبِي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَلَدَ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ ثُمَّ جَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ، فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ وَدَنَا النَّاسُ مِنَ الرِّيفِ وَالْقُرَىٰ قَالَ: مَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ الْخَمْرِ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا كَأَخَفِّ الْحُدُودِ. قَالَ: فَجَلَدَ عُمَرُ ثَمَانِينَ[1].

- وزد على ذلك ما في البخاري (٦٧٨٠): من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: اللهمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَىٰ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَلْعَنُوهُ فَوَالله مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ».

والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم، أما من استحله فإنه يقتل لكفره لا حدًا فتنبه.

❁ (١٥- من وقع على ذات محرم):

جاء من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَىٰ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ، أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، أَوْ أَقْتُلَهُ، وَآخُذَ مَالَهُ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٧٧٣) مختصرًا، ومسلم برقم: (١٧٠٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (٣٣٣٢)، وأحمد حديث رقم: (١٨٥٥٧)، وجاء عند غيرهما.

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "زاد المعاد" (١٣/٥):

فَصْلٌ فِي حُكْمِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا: عَنِ البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِيتُ خَالِي أبا بردة وَمَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ: «أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ أَنْ أَقْتُلَهُ وَآخُذَ مَالَهُ».

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ فِي "تَارِيخِهِ"، مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَىٰ رَجُلٍ أَعْرَسَ بِامْرَأَةِ أَبِيهِ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَخَمَّسَ مَالَهُ».

قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَفِي "سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ" مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَقَعَ عَلَى ذَاتِ مَحْرَمٍ فَاقْتُلُوهُ».

وَذَكَرَ الجوزجاني، أَنَّهُ رُفِعَ إِلَىٰ الحجاج رَجُلٌ اغْتَصَبَ أُخْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِهَا، فَقَالَ: احْبِسُوهُ، وَسَلُوا مَنْ هَاهُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوا عبد الله بن أبي مطرف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَخَطَّى حُرَمَ الْمُؤْمِنِينَ، فَخُطُّوا وَسَطَهُ بِالسَّيْفِ».

وَقَدْ نَصَّ أحمد فِي رِوَايَةِ إسماعيل بن سعيد، فِي رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ أَوْ بِذَاتِ مَحْرَمٍ، فَقَالَ: يُقْتَلُ، وَيَدْخُلُ مَالُهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّحِيحُ، وَهُوَ مُقْتَضَىٰ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ ومالك وأبو حنيفة: حَدُّهُ حَدُّ الزَّانِي، ثُمَّ قَالَ أبو حنيفة: إِنْ وَطِئَهَا بِعِقْدٍ، عُزِّرَ، وَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، وَحُكْمُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَضَاؤُهُ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ. اهـ

الحدود يقوم بها الحاكم وليس كل أحدٍ من الناس؛ لأن الحدود إذا أُوكِلَت إلىٰ الناس وقع فيها الفساد العريض، وكان سبب للفتن بين الناس كلٌ يقول أنا أقيم الحد علىٰ غريمي بينما إذا عاد الأمر إلىٰ القاضي ليستوفي الشهود والدعاوىٰ، ثم يحكم بالحكم الشرعي ويطلب العفو أو الدية ثم بعد ذلك يأمر بالقصاص، إلا في الحدود التي تُرفَع وليس فيها عفو إذا بلغت السلطان، كحد الزنا، وحد اللواط، وحد السرقة، والحدود تُدرأ بالشبهات، فلما قال ذلك الرجل: يَا رَسُولَ اللهِ! أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قال: «أبِكَ جنون»، قال: لا: أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قال: «استنكهوه لعله شرِبَ خمرًا» فاستنكهوه فلم يجدوا شيئا فقال: يَا رَسُولَ اللهِ! أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فلما رأىٰ أن شروط الإقامة قد حصلت وتحققت فيه، أمر به أن يُرجَم فأخذوه ورجموه بالحجارة.

ولو أن الحكام، وُفِّقُوا لإقامة الحدود بين الناس لقل الشر فإن المجرم إذا علم أنه سيُقتَص منه وسيُقام عليه الحد، انزجر وارعوىٰ، بينما إذا سُيِّبَت الأمور صار الناس فوضىٰ:

لا يَصلُحُ النـاسُ فَوضـىٰ لا سَـراةَ لَهُم ... وَلا سَـراةَ إِذا جُهّـالُهُم سـادوا

وقبل ذلك قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[البقرة:١٧٩].

وانظر إلىٰ قول ذلك الصحابي: يا رسول الله أرأيت إن وجد أحدنا مع امرأته رجلًا إن قتل قتلتموه، وإن تكلَّم جلدتموه، وإن سكَتَ، سكتَ علىٰ أمرٍ عظيم.

دلَّ علىٰ أن في الإسلام إقامة الحدود، وحماية الأعراض، والأنفس بل جاء الإسلام محافظًا علىٰ الضروريات الخمس: [**العقل، والعرض، والمال، والنفس، والدين**]، فأي دين أنزله الله عَزَّوَجَلَّ وشرعه يحمي هذه الضروريات وأكمل هذه الأديان دين الإسلام، فحرم الله الخمر حفاظًا علىٰ العقل، وحرم الزنا وما إليه حفاظًا علىٰ العرض، وحرم السرقة والنهب حفاظًا علىٰ المال.

وحرم الردة حفاظًا علىٰ الدين، وحرم القتل حفاظًا علىٰ النفس، بل حَرَّم ما يؤدي إلىٰ القتل مثل الإشارة بالسلاح، كما قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»[1].

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٠٧٢)، ومسلم حديث رقم: (٢٦١٧).

الحديث الخامس عشر

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[1].

رَوَاهُ البُخَارِيْ وَمُسْلِم.

الشَّرْح

قوله: («مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ»): هذا حديثٌ عظيم تضمن: الإشارة إلىٰ مسائل عظيمة يفعلها من كان يؤمن بالله ربًا، وكان يؤمن باليوم الآخر معادًا، فإنه يحرص كل الحرص علىٰ فعل الطاعات، والبعد عن المعاصي والسيئات، وفي الحديث أن الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ هو المقدم علىٰ كل شيء، وهو أفضل الأعمال، وقد سُئل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٧٥)، ومسلم حديث رقم: (٧٤).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٥١٩)، ومسلم حديث رقم: (٨٣).

- ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨٥] وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف:١٥٨]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء:١٣٦].

- والْيَوْمِ الآخِرِ: هو يوم القيامة وما فيه من النعيم، أو العذاب، وما فيه من الأهوال، مثل تطاير الصحف، ووضع الموازين، ونصب الصراط علىٰ النار، وقرب النار، ورؤية الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهكذا الشرب من حوض النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأول منازل الآخرة القبر، كما في حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ»[1].

فمن كان يؤمن بالله ويراقبه سيفعل بمرضات الله عَزَّوَجَلَّ وقد قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»[2].

- وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٣٤٩)، ومسلم حديث رقم: (٢٨٦٠).

قوله: («فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»): وبدأ به لأن اللسان هو الذي يورد الناس الموارد، ففي الحديث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا مُعَاذُ أَمسِكْ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1].

- وَفِي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ أَبْعَد مِمَّا بَيْن الْمَشْرِق وَالْمَغْرِب»[2].

- وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»[3].

فاللسان يورد الموارد، ولرفع سبب الدرجات فالواجب علىٰ الإنسان أن لا يتكلم الا بالخير: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»[4].

- **وكان السلف يقولون: (مَنْ عَدَّ كَلامَهُ قَلَّ زَلَلُـهُ قل كلامه إلا فيما ينفعه).**

والشرور التي في اللسان كثيرة:

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦١٦)، وأحمد حديث رقم: (٢٢٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٧٧، ٦٤٧٨)، ومسلم حديث رقم: (٢٩٨٨)، بنحوه.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣١٩)، وجاء عند ابن ماجه وأحمد، وجاء بنحوه عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٥٠١)، وأحمد حديث رقم: (٦٤٨١)، عن عبد الله بن عمرو.

- منها: الكذب، والغيبة، والنميمة، والبُهْت، والقذف، والسب، ومنها لغو الكلام الذي لا فائدة فيه، وربما يكون ضررًا علىٰ صاحبه.

- قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»[١]، وفي اللفظ الآخر: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً»[٢]، أي: حَسْرَة يوم القيامة.

وكم من الأحاديث الدالة علىٰ شأن اللسان حتىٰ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الْفَمُ وَالْفَرْجُ»[٣].

بـ(الْفَمُ): بالكلام، والسب، والشتم، والقذف، والغيبة، والنميمة، والكذب، وأكل الحرام.

وَ(الْفَرْجُ): وضعه في الحرام من الزنا واللواط والعادة السرية.

- وقال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»[٤]، يعني: من يضمن لسانه، وفرجه يضمن له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنة، وذلك لعظم شأن اللسان والفرج.

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٨٥٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند أحمد وغيره

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩٨٤٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٠٤)، وابن ماجه حديث: (٤٢٤٦).

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٧٤)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- حديث أبي سعيد عند الترمذي: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»[1].

- **وقول الخير كثير منه**: قراءة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والنصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس الخير، ويدخل في ذلك مؤانسة الرجل لأهله، ولأبنائه ولصاحبه، فإن ذلك من الخير، لا يجوز كسر نفس المسلم تؤانسه، بابتسامة، وبكلمة، وبرد السلام، وبغير ذلك من الخير وفي الحديث: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[2].

قوله: («ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ»): **والجار**: هو الملاصق لك في السكن، وقد اختلف في حده فقيل: إلىٰ اربعين بيتًا، وقيل غير ذلك، وقد أمر الله بأداء حقه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [سورة النساء:٣٦]، **فالجار ذي القربىٰ**: هو الجار الذي بينك وبينه قرابة من نسب ونحوه، **والجار الجنب**: قيل الجار البعيد، وقيل الزوجة، ولكنه في حق الجار من غير الأقارب أولىٰ، قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٤٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٩٥٦)، عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٦)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وفي حديث ابن عُمَر في "الصحيحين" وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في "مسلم": قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[١].

- وجاء عن أنس وعبدالله بن عمرو وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جميعًا فحق الجار عظيم، ولا يجوز أن يؤذىٰ، أو يُساء إليه، **وقد قال عنترة العبسي الجاهلي:**

وأَغُضُّ طرفي ما بدَتْ لي جارَتي حتىٰ يُواري جارتي مأْواها

وقد وصفت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يوحىٰ إليه: بأنه من أصحاب حسن الجوار فقالت: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[٢].

وقد وصىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجار والإحسان إليه حتىٰ ولو يُعطىٰ مرقة:

ففي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»[٣].

وقالت عائشة: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَىٰ أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠١٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٢٥).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٢٥)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٢٥٩، ٢٥٩٥، ٦٠٢٠).

فعلى المسلم: أن يتعاهد الجيران لا سيما في زمن الحاجة وحتىٰ وإن لم تكن هنالك حاجة فلا بأس أن يعطوا لا سيما إن كانت هناك ضيافة سعة فيُوَسَع علىٰ الجيران ويشعرون بالأُلفة، ويُسأل عنهم بين الحين والآخر: يا فلان كيف حالك؟ كيف الأهل والأولاد؟ أين أنت ما نراك؟ ومن هذا الكلام الذي يُدخِل السرور علىٰ الإنسان.

ويذكرون أن رجلًا كان له دار فأصبته حاجة فعرض داره للبيع، فأُعطي فيها مبلغًا فقال: زيدوا مثله قالوا: لماذا؟ قال: هذا ثمن البيت ومثله ثمن جاري، فعلم جاره بالقضية، فدفع عنه الدين.

- **وقال الشاعر في "الأنوار الساطعات لآيات جامعات"** (١/ ١٨١):

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ... ولم يعلموا جارًا هناك يُنغصُ

فقلت لهم كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخصُ

فكانوا يفرحون بالجار الطيب ويستأون من جار السوء فلو كان جارك من الأخيار تُسافِر وأنت مطمئن علىٰ بيتك، وأولادك، يسأل عنهم، ربما إن احتاجوا خرج في حاجتهم وإن مرض الصغير، ذهب به إلىٰ المستشفىٰ، بينما إذا كان الجار سيئًا يذهب المسافر وقلبه مشمئز يخشىٰ من جاره أن ينتهك حُرْمَه، أو يؤذي أبناءه، إلىٰ غير ذلك، فالإنسان يحرص علىٰ أداء الحقوق إلىٰ الجيران والنبي ﷺ قد حذر من انتهاك حقوقهم: عنْ مِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ يَقُولُ: سَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ عَنِ الزِّنَا؟ قَالُوا: حَرَامٌ، حَرَّمَهُ اللهُ

وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: «لِأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ» ، وَسَأَلَهُمْ عَنِ السَّرِقَةِ؟ قَالُوا: حَرَامٌ، حَرَّمَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: «لِأَنْ يَسْرِقَ مِنْ عَشَرَةِ أَهْلِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ»[١].

وفي حديث عبدالله بن مسعود في "الصحيحين": قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: " أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»[٢].

وفي "صحيح ابن حبان": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِي يَتَحَوَّلُ»[٣].

قوله: («ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»): **الضيف**: هو النازل ، وجائزته يوم وليلة، كما في حديث أبي شريح عند "مسلم": قال الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، وَلَا يَحِلُّ

---

(١) "الأدب المفرد" حديث رقم: (١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٤٧٧)، ومسلم حديث رقم: (٨٦).

(٣) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (١٠).

لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: «يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ فَيأْثَم»[1].

وحق الضيف واجب فإذا نزل رجل ببلدٍ وليس فيها ما يقوته فعلىٰ الناس أن يضيفوه، وأن يؤكلوه، ويشربوه، ويسكنوه، كما في حديث المقدام بن معد يكرب الكندي قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَصْبَحَ وهُوَ بِفِنَائِهِ، فإِنْ شَاءَ عَفَى، وإِنْ شَاءَ اقْتَضَى»[2].

- **وقال في حديث**، عُقبَةَ بنَ عَامِرٍ في "الصحيحين" قَالُوا: يَا رَسُولَ الله: إنك ترسلنا وَإِنَّا نَنْزِلُ بِقَوْمٍ لا يُضَيِّفُونَا، فَكَيْفَ تَرَىٰ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ»[3].

- **وقال بعضهم**: إنما الضيافة في الوَبَر، وليس في الحضَر، **والصحيح**: أن الإنسان إذا نزل منزلًا، وليس ثمة من يقوم به سكنًا أو إطعامًا، فيجب علىٰ المسلمين أن يضيفوه وأن يؤكلوه ويشربوه، وهذا من مكارم الأخلاق العظيمة، ومن ميزاته الجسيمة، الدال علىٰ أهمية الترابط بين المسلمين والقيام بالحقوق التي أوجبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٣٧٥٠)، وجاء عند ابن ماجه وغيره.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١٣٧)، ومسلم حديث رقم: (١٧٢٧).

الحديث السادس عشر

«لا تَغْضَبْ»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»[1].

رَوَاهُ البُخَارِيْ.

الشَّرْح

❁ قد صح عند ابن حبان الحديث، بسندٍ صحيح وهو في "الصحيح المسند" للشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: عَنْ جَارِيَةَ بْنِ قُدَامَةَ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ لِي قَوْلًا وَأَقْلِلْ، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَأَعَادَ عَلَيْهِ، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»[2].

وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[العصر:١-٣].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١١٦).

(٢) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (٥٦٩٠).

وكم هي الآيات التي فيها وصية الله عَزَّوَجَلَّ لعباده ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿* قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[الأنعام:١٥١-١٥٣]

- وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء:١٣١] وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾[النساء:١١].

- وهكذا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالْسَمْع وَالْطَّاعَة»[1]، وكم من الوصايا النافعة، التي وصَّىٰ بها أصحابه وأُمَّته، تجد الآباء،

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٧٦) عن العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجاء عند أبي داود وأحمد.

والمشايخ، والإخوان كلٌ منهم يوصي من تحته بالخير والصلاح، ولو التزم الناس الوصية بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وبسُنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لصلح حال الناس، قالت عَائِشَةَ، قَالَتْ: (**مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا أَوْصَىٰ بِشَيْءٍ**)[1].

وعَنْ طَلْحَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَىٰ، هَلْ أَوْصَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: فَلِمَ كُتِبَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ الْوَصِيَّةُ؟ - أَوْ فَلِمَ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ؟ - قَالَ: «أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»[2].

وأفضل ما يُطلَب من الوصايا: ما يكون سببًا إلىٰ الجنة ويكون سببًا لصلاح حال الإنسان، وعلىٰ الموصي أن ينظر إلىٰ حال من يستوصيه، فإن جاءك رَجُلٌ علىٰ هيئته الخير، والصلاح، والتمست منه حفظ القرآن، والسنة والعمل بما فيهما واستوصاك فأوصه بما تراه نافعًا له، من الدعوة، وبث الخير والعلم، وإن جاءك عابدٌ يستوصيك وشعرت أنه بحاجة إلىٰ العلم، فأوصه بطلب العلم، فإنها من أعظم الوصايا، وإن رأيت رجلًا مقبلًا علىٰ الصلاة، وعنده تفريط في حقوق الناس، فأوصه بحقوق الناس، أو رأيت منه إقبالًا علىٰ أداء الحقوق، وعنده تقصير في حق الله عَزَّوَجَلَّ، فأوصه بحق الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا هو الفقه أن الإنسان ينصح كل أحدٍ بما يراه مناسبًا لحاله.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٣٥).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٧٤٠)، ومسلم حديث رقم: (١٦٣٤).

- وفي الحديث: حرص الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ ما يكون سببًا لإصلاح أحوالهم، فقد كانوا يأتون النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يسألونه عن أسباب دخول الجنة ويسألونه عن أسباب، خيري الدنيا والآخرة، والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يبذل لهم النصيحة، والوصية، والتوجيه.

قوله: («لا تَغْضَبْ»): نهاه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الغضب، **والغضب**: فوران الدم في القلب وينتج عن العجلة والطيش وعدم السكينة.

قوله: (**فردّد مِرارًا، قال: «لا تَغْضَبْ»**): **فيه**: تكرار الوصية؛ لبيان أهميتها ولتحفظ عنه عليه الصلاة والسلام.

- **وقد اختلف العلماء**: هل نهاه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن مجرد الغضب؟

الجواب: لا، فإن هذا الأمر قد يخرج عن طبيعة الإنسان فقد يغضب الحليم، ويغضب الزوج من زوجته، أو من أبناءه، والصاحب من صاحبه، والرئيس مِن مَن تحته، والمسؤول مِمَن يليه، والتابع من المتبوع، ولا قدرة للإنسان علىٰ دفعه.

والمنهي عنه: هو العمل بمقتضىٰ الغضب، أي إذا حصل عليك الغضب لا تُنْفِذ ما غضبت من أجله، الممدوح، وهذا هو المستطاع أما ترك الغضب، فقد لا يستطيعه الإنسان، إذ قد تقع بعض ما يخرجه عن الاعتدال، لا سيما مع كثرة المخالطة، والمخالفة، لكن أن لا يعمل بمقتضىٰ الغضب هذا هو الذي عليه

أكثر الناس، ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَّا يَقْضِي القَاضِي بين اثنين وَهُوَ غَضْبَانُ»[١].

فقد يأتي القاضي خصمان، فيقع من أحدهما الإغضاب له، فلا يقضي وهو غضبان، بل يبقىٰ حتىٰ تذهب فورة الغضب، ثم يقضي بينهما بالعدل، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاء»[٢]؛ لأنه كتم الغضب، ولم ينفذ ما يقدر عليه ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل علىٰ ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّىٰ هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٥٨) بنحوه، ومسلم حديث رقم: (١٧١٧) بنحوه أيضًا، واللفظ هنا لأحمد حديث رقم: (٢٠٣٨٩)، وجاء عند ابن حبان وغيره.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٤٩٣)، وأبي داود حديث رقم: (٤٧٧٧) عن معاذ بن أنس، وجاء عند أحمد بنحوه.

﴿١٩٩﴾[الأعراف:١٩٩]، قال: فوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»[(١)].

ويأتي أحدهم إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في الحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: " كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[(٢)].

والغضب ليس مذمومًا مطلقًا، فإن كان لدين الله عَزَّوَجَلَّ فقد غضب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما في حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كَانَ مُعَاذٌ، يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّىٰ لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الْعِشَاءَ ثُمَّ أَتَىٰ قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ صَلَّىٰ وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ؟ يَا فُلَانُ، قَالَ: لَا. وَاللهِ وَلَآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَلَأُخْبِرَنَّهُ. فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّىٰ مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَىٰ فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ مُعَاذٍ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٨٨)، ومسلم حديث رقم: (١٠٥٧).

اقْرَأْ بِكَذَا وَاقْرَأْ بِكَذَا»، قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ لِعَمْرٍو، إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالضُّحَىٰ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ فَقَالَ عَمْرٌو نَحْوَ هَذَا[١].

وهكذا غضب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أجل الدين لا من أجل نفسه وغضب علىٰ نسائه وهجرهن شهرًا، حين ألححنَ عليه بالنفقة.

- **ومما يُذهِب الغضب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم**: ففي حديث سليمان ابن صُرَدٍ رضىٰ الله عنه في "مسلم" اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَهَلْ تَرَىٰ بِي مِنْ جُنُونٍ؟[٢].

فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم من أسباب ذهاب جاء في بعض الأحاديث: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»[٣]، وكذلك يذهب من المكان الذي هو فيه -الحديث لا يصح-.

ولو أراد أحد أن ينتقم لنفسه بمجرد حصول الغضب، ما بقيت أخوة، ولا بنوة ولا أُلفه نسأل الله السلامة.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٦٥).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١١٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٦١٠).

(٣) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٨٢)، وجاء عند أحمد وابن حبان.

والقوي حقًا هو الذي يملك نفسه عند الغضب، كما في حديث أبي هريرة ضي الله عنه: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ..»[(١)]، يستطيع أن يتحكم في نفسه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وما نهىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغضب إلا لأضراره الدينية، الدنيوية، فمن أضراره الدينية أنه يُخرِج الإنسان عن حد الاعتدال، وربما تلفظ بألفاظٍ غير مرضية، من سبٍ، أو شتمٍ، أو غير ذلك ومعلوم أن الألفاظ إذا خرجت لا تُعاد، والقلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يُجبر، فالإنسان يحافظ علىٰ كلامه، لا سيما عند الغضب، ولذلك جاء عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول في دعاءِهِ: «وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ»[(٢)]، **فعند الرضا قد يتجاوز الإنسان:**

وعينُ الرِّضا عـن كـلِّ عيـبٍ كليلـة وَلَكِنَّ عَينَ السُّـخْطِ تُبْـدي المَسَـاوِيَا

وعند الغضب لا يرعىٰ لمن يتكلم عليه حُرْمَة وللمؤمنين حقوق، فينبغي للإنسان أن يحفظ نفسه عند الغضب، ومن أضراره الدينية أيضًا أنه يؤدي إلىٰ زعزعة الأخوة.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١١٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٠٩).

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (١٣٠٥)، عن عطاء بن السائب عن أبيه.

وفي حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[١].

- ومن أضراره الدينية أيضًا: أنه مُفْرِح للشيطان، بل أصله من الشيطان، إلىٰ غير ذلك من الأضرار.

- ومن أضراره الجسمية: أن كثير من الجلطات، ومن الأمراض التي تلحق الناس بسبب الغضب بينما لو تصَبَّر لصبره الله ففي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»[٢].

- وفي هذا الحديث: ما كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من الدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق وقد جاء في حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[٣].

وكان من دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند "مسلم": «.. وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِينِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٢٦)، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٤٦٩)، ومسلم حديث رقم: (٤٠٥٣).

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (٨٩٥٢).

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٧١).

- وفي الحديث أيضًا من الفوائد: أن الإسلام دين شامل، كامل، فيه الدلالة علىٰ ما يُصلح دين الإنسان، ودنياه، وفي الحديث أن الدين ليس فيه قُشُور ولُباب، فقد يقول قائل النهي عن الغضب من القشور هذا قول ترده الأدلة.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصىٰ هذا الرجل بترك ما يكون سببًا في ضرره الديني، والدنيوي، لم يقل الرجل يا رسول الله: أوصني بغير ذلك جئتك من مكان بعيد واستنصحتك ونهيتني عن الغضب؟ بل كان في نهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغضب منفعة لهذا الرجل ولغيره، حتىٰ قال الراوي: فنظرتُ فإذا أغلب الشر من الغضب، أو بمعنىٰ الحديث.

وفي قصه وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمُ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا»، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَىٰ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ[1].

فعلىٰ الإنسان أن يتعلم ففي الحديث: «وإِنَّمَا الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ»، وقال تعالىٰ ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٥٢٢٥).

الحديث السابع عشر

«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[1].

رَوَاهُ وَمُسْلِم.

الشَّرْح

قوله: (عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ): شداد بن أوس، من علماء وعُبَّاد الصحابة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، روى عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسين حديثًا أخرج له الإمام مسلم حديثًا واحدًا وهو هذا الحديث، وأخرج له البخاري حديثًا واحدًا وهو حديث سيد الاستغفار: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٩٥٥).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٣٠٦).

❁ وهذا حديث عظيم القدر ورفيع المنزلة فيه من الفوائد ما يعجز القلم عن كتابته ويتلعثم اللسان عن ذكره.

قوله: («إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ»): وفي هذا الحديث من الفوائد: أن الله عَزَّوَجَلَّ كتب مقادير الخلائق خيرها، وشرها، في لوحٍ محفوظ، كما في حديث عبد الله ابن عَمْرو عند الإمام مسلم قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[1]، والكتابة في هذا الحديث بمعنىٰ: (الفرض)، قال تعالىٰ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٣]، أي: فُرِضَ عليكم الصيام فالله عَزَّوَجَلَّ، يفرض ما شاء، علىٰ عباده، لكن كل ما فرضه الله عَزَّوَجَلَّ، فهو محبوبٌ إليه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات:٧]، والإحسان من الحُسن، كتب الله عَزَّوَجَلَّ الإحسان، وهو أن يؤتىٰ بالأشياء علىٰ الوجه الحَسَن والأكمل، والإحسان كلمةٌ عامة، يدخل فيها الإحسان، وهو علىٰ أنواع:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٥٣).

- النوع الأول من الإحسان: (**فيما بين العبد وبين الله** عَزَّوَجَلَّ)، فيأتي العبد بالتوحيد الذي افترضه الله علىٰ عباده، فهو أفضل الإحسان قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [سورة البقرة:١٩٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [سورة الرحمن:٦٠] فمن كان مُحسنًا مع الله عَزَّوَجَلَّ بتوحيده رزقه الله عَزَّوَجَلَّ الحسنىٰ، وهي الجنة، قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]، من الإحسان مع الله عَزَّوَجَلَّ، الإتيان بكل ما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أكمل الوجوه فيدخل في ذلك جميع العبادات وغيرها.

- **والإحسان في ترك المحرمات**: أن تُجتَنَب ظاهرًا وباطنًا علىٰ أحسن الوجوه، والإحسان في المستحبات أن يؤتىٰ بما هو من سنن النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وبما دعىٰ إليه القرآن والسنة من المستحبات .

- **والإحسان في باب القدَر**: أن ترضىٰ بما قدر الله عَزَّوَجَلَّ لك وعليك، وتصبر علىٰ المصائب، وتستغفر من المعائب، ومن هذا الباب، حرَّم الله عَزَّوَجَلَّ ضرب الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوىٰ الجاهلية قال النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[1].

- والنوع الثاني من الإحسان: (**إحسان فيما بين العباد أنفسهم**)، ويكون ذلك على ثلاثة وجوه:

الأول: (**الإحسان إليهم**) ببذل الندى بإعطائهم الصدقة للمحتاج إليها، والهدية لغير المحتاج، وإكرام الضيف وهذا مُرَّغبٌ فيه في كتاب ربنا وسنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ" قَالَ: "تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ" قَالَ: "وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[2].

والنوع الثاني: (**كف الأذى بحيث لا تؤذي المؤمنين**)، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٧]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٨]، سوء كان الأذى قولي أو فعلي بل حتى قلبي كسوء الظن والحسد ونحوه.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٢٩٨)، ومسلم حديث رقم: (١٠٣)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٩٨٩)، ومسلم حديث رقم: (١٠٠٩).

فأذية المؤمن لا تجوز عظيمة، وقد يغضب الله عَزَّوَجَلَّ لغضبهم، كما قال النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين وقع بينه وبين بِلَالٍ وعبد الله ابن مسعود وَصُهَيْبٍ ما وقع كما في "صحيح مسلم": عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَىٰ عَلَىٰ سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ فَأَتَىٰ النَّبِي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَي[1].

فإن كانت الأذية ببغيٍ فهو أجدَر أن تُعَجَل العقوبة للمؤذي ففي "السنن الكبرىٰ" للبيهقي من حديث أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»[2].

والنوع الثالث: (طلاقة الوجه) قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٨-١٩].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٠٤).

(٢) وأخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٥١١)، وجاء عند ابن ماجه وابن حبان.

فالإنسان مطالَب بالتواضع في مشيه، وفي هيئته، ولبسه، كما أنه مطالب بطلاقة الوجه للمؤمنين، قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي جُري جابر بن سليم عند أحمد: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ»[1]، فإن ذلك من المعروف، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[2].

قوله: («فإذا قَتَلْتُم»): في هذا دلالة إلىٰ الإحسان أيضًا مع الحيوان حين ذبحه، وقتله، والمراد به في هذا الموطن، قتل الدواب المسموح بقتلها أو الحيوان المسموح بذبحه، فلا يذهب الإنسان ويتعمد قتل أخيه الإنسان، هذا ليس من الإحسان في شيء، بل هو من الإساءة والأذية، وقد تقدم أن نفس المؤمن مُصانة ولا تُحَل إلا بأمورٍ أباحها الشرع، وقتله عائدّ إلىٰ ولي أمر المسلمين، وليس لكل أحدٍ الحق إقامة الحدود، لكن هذا بيان من النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوجيه لمن أراد أن يقتل حيوانًا كأن يكون من الحيوان الذي شرع الله عَزَّوَجَلَّ قتله، كالكلب العقور، والخنزير، والفويسقة وغير ذلك.

وقد قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن من قتل الفويسقة في أول ضربة له مائة حسنة: «مَنْ قَتَلَ وَزَغًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ وَفِي

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٠٦٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٩٥٦)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ»[1]؛ لأن القتل بأول مرة إحسان، ودليل علىٰ إرادة التخلص من هذا الحيوان الكريه.

قوله: («فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ»): أي طريقة القتل التي يُقْتَل بها هذا الحيوان، وإن أُريدَ الحيوان المسموح بأكلة فالقتلة تكون بمعنىٰ الذبحة.

قوله: («وَإِذَا ذَبَحْتُم فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ»): أي: لا تعذبوا الحيوان عند إزهاق نفسه، ولهذا قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ»[2]،

فإذا كان هذا في حق الحيوان العجيم، الذي لا ينطق ولا يتكلم، فما بالك بحق الكريم، الذي هو الإنسان لا تجوز أذيته بحالٍ وإنما الإحسان إليه، وإن كان من الكفار، أو من المنافقين أو من المبتدعين، فقد بين الشرع طُرُق التعامل معهم، بما هو إحسان لهم، وإحسان للمجتمع الذي يعيشون فيه، وإحسان للدين الإسلامي.

قوله: («وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ») أي: الآلة التي يذبح بها وذكر الشفرة، لأنها أكثر ما يُذبَح به، وإلا فبعضهم ربما ذبح بالحجر، أو بأي حديدةٍ، إلا السن، والظفر، الذي نهىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الذبح به.

كما في حديث رافع بن خديج في "الصحيحين" وقال: «أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفُرُ فَمُدَى الحَبَشَةِ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٢٤٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٥٥٩٢)، عن معاوية بن قرة عن أبيه.

وأما بقية الأمور التي تقطع الأوداج فيجوز الذبح بها بعض الناس ما لديه شفرة، ويستطيع أن يكسر شيئًا من الخشب، بحيث يكون كالسكين، وربما ذبح به أو كسر حجرًا من الأحجار، حتىٰ يكون كالسكين وربما ذبح به.

قوله: («وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»): ومن إراحتها أن لا يذبح أخواتها أمامها وأن لا يبقىٰ أمامها بالسكين، وإنما يخفيه منها، ليُعَجِل بإنهار دمها وإزهاق نفسها.

ولهذا نهىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن كثير من أنواع قتل الحيوان حتىٰ لا يُساء إليها فنهىٰ عن صبر البهائم، وصورته أن تُحبَس البهيمة، ثم تُضرَب بالنبل أو بشيء من ذلك حتىٰ تموت، نهىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ذلك ولعن من فعل ذلك.

كما صح في الحديث: (مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِنَفَرٍ قَدْ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَتَرَامَوْنَهَا، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: "مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هَذَا)[٢]، أي: اتخاذ شيء فيه الرمح غرضًا أي للرمي .

وفي قصة ذلك الجمل كما في "مسند أحمد": عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ النَّبِيَّ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٨٨)، ومسلم حديث رقم: (١٩٦٨).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٩٥٨).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟»، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[1].

وفي "مسلم": من حديث عمران بن حصين قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ»، فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ، قَالَ: وَأُسِرَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَأُصِيبَتِ الْعَضْبَاءُ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْوَثَاقِ وَكَانَ الْقَوْمُ يُرِيحُونَ نَعَمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بُيُوتِهِمْ، فَانْفَلَتَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الْوَثَاقِ،

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٢٥٤٩).

فَأَتَتِ الْإِبِلَ، فَجَعَلَتْ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْبَعِيرِ رَغَا فَتَتْرُكُهُ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ الْعَضْبَاءِ، فَلَمْ تَرْغُ، قَالَ: وَنَاقَةٌ مُنَوَّقَةٌ فَقَعَدَتْ فِي عَجُزِهَا، ثُمَّ زَجَرَتْهَا فَانْطَلَقَتْ، وَنَذِرُوا بِهَا فَطَلَبُوهَا فَأَعْجَزَتْهُمْ، قَالَ: وَنَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَلَمَّا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ رَآهَا النَّاسُ، فَقَالُوا: الْعَضْبَاءُ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا نَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، بِئْسَمَا جَزَتْهَا، نَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ»، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ: «لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ»[1].

الشاهد: أن هذا الحيوان سخَّره الله عَزَّوَجَلَّ لهذه المرأة لتفر عليها من بين الكفار، ثم نذرت بذبحها والتقرب بها إلىٰ الله، فأنكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها هذا النذر؛ لأن في مثل هذا الحال وقد حصل الإحسان من الحيوان ينبغي أن يُحسَن إليه إما بسقيه، وإما بإعلافه، إلىٰ غير ذلك.

فهذا الدين دين الإحسان، وأعظم الإحسان ما تضمنه ذلك الركن العظيم الذي تقدم معنا في حديث عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2]، ويدخل في الإحسان في الإحسان في الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٤١).

(٢) تقدم تخريجه، انظر الحديث الأول.

وهكذا يقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنكُمْ فِي الإِسْلاَمِ فَلاَ يُؤَاخَذُ بِهَا. وَمَنْ أَسَاءَ أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلاَمِ»، فالإحسان جزاءه الإحسان، قال تعالىٰ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمن:٦٠]، والإحسان في كل شيء، وأنت في البيت ومع الجيران والأرحام، وفي السفر، والحضَر، حتىٰ في نومك وفي قيلولتك، وفي جميع أحوالك فالتحلي بالأخلاق الفاضلة، التي دعا إليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الإحسان بجميع صوره وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

الحديث الثامن عشر

« اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ.. »

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

رواه التِّرمذيّ، وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ وفي بعضِ النُّسَخِ: حسنٌ صحيحٌ.

الشَّرْح

❁ هذا الحديث روي من طريق ميمون بن أبي شيبة وأبي ذر ومعاذ لم يسمع منهما ومع ذلك معانيه لها شواهد كثيرة في الكتاب، والسُنة، علىٰ ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

قوله: (عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ): أبو ذر فهو جُندُبِ بن جُنَادَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، أسلم قديمًا وقَدِم علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة وكان طعامه وشرابه ماء زمزم حتىٰ استوت عُكَنُ بَطْنِه فأخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ وَشِفَاءُ سُقْمٍ»، وقد أرسل أخاه أُنَيْس إلىٰ مكة

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٩٨٧)، وأحمد حديث رقم: (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣).

ليأتيه بخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أُنَيْسُ شاعِرا، رجع إليه وقال: لقد قلت الشعر وقوله لا ينتظم علىٰ الشعر، وقد خبَرتُ الكُهَان، وقول له لا ينتظم علىٰ الكُهَان، وقوله كذلك لا ينتظم علىٰ أحوال السحرة والمسحورين، فشهد له أنه نبي وأبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عُبَّاد الصحابة، وزُهادِهِم قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»[1]، وله مواقف كثيرة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خروجه ودخوله مما يدل علىٰ اهتمامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعلم

قوله: (وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ»): الأنصاريٌ وهو من صِغار الصحابة رضوان الله عليهم، أرسله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ اليمن إلىٰ الجَنَد وأوصاه بوصايا نافعة منها الوصية التي أوصاه وأبا موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بها فقَالَ لَهُمَا: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا، وَلَا تَخْتَلِفَا ..»[2].

وهذا إشعار إلىٰ حاجة الدعاة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، إلىٰ هذه الآداب الشرعية؛ لأنهم يوجهون الناس ويفتونهم ويعلمونهم، فيحتاج إلىٰ آداب فيما بينه وبين الله، وآداب فيما بينه وبين الناس، وآداب مع إخوانه الدعاة.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٢٦)،

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠٣٨)، ومسلم حديث رقم: (١٧٣٣).

- **ومعاذ بن جبل جاء في فضائله**: أنه يسبق العلماء برتوة وهي رمية حجر والحديث في طرقه كلام لكنه بمجموع الطرق يرتقي إلىٰ الاحتجاج، كما بينته في تحقيقي علىٰ كتاب الإيمان للقاسم بن سَلّام.

- **وكان** حَسَن الصوت بالأذان، والقراءة، وكان من جبال العلم، والصحابة كلهم علىٰ هذا المنوال، من حيث العلم، والإيمان، والأخلاق الحميدة الفاضلة، ولا يشبع الإنسان من القراءة في تراجمهم، أو النقل لآثارهم، فهم صفوة الأمة اختارهم الله عَزَّوَجَلَّ لصحبة نبيه، يصلون معه، ويجاهدون معه، ويتلقون العلم منه، وقد أَلَّف الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ رسالة كما في كتابة السِير: "نِعْم السَمَر علىٰ سِيْرَة عُمَر".

وفعلًا لو بقيَّ الإنسان ليالٍ يقرأ تلك السيرة العطرة في الزهد، والورع، والإيمان، والعمل، لوجدها من أحسن السِيَر.

قوله: («اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»): الوصية بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ جاءت في القرآن، والسنة، وجاءت بالشخص والوصف، وجاءت للناس عامة.

- قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[الحشر:١٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء:١٣١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [سورة الأحزاب:١].

وهكذا الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوصي زيد ابن حارثة بقوله: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[الأحزاب:٣٧]، كما أخبر الله في القرآن وكان صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا أرسل أحدًا سريةً أو أميرًا علىٰ جيش أوصاه بتقوىٰ الله في نفسه ومن معه من المؤمنين، كما في حديث بُرَيدة في "صحيح مسلم" في خطبة الحاجة، يقرأ الثلاث الآيات التي فيها الحث علىٰ التقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠].

ولما قالوا يا رسول الله: كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ»[1]، وفي حجة الوداع قامَ خطيبًا في أصحابه، ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾[لقمان:٣٣]، فبدأ بها، فالوصية بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم الوصايا، وهي أن تجعل بينك وبين مساخط الله عَزَّوَجَلَّ وقاية، وأن تجعل بينك وبين غضب الله عَزَّوَجَلَّ وقاية، قال بعضهم مبينًا حقيقة التقوىٰ:

سَقَطَ النّصيفُ ولـم تُـرِدْ إسـقاطَهُ ... فتناولتـــــهُ واتقتنـــــا باليـــــدِ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧١٤٥)، عن العرباض بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أي: جعلت بيننا وبينها وقاية أن لا ننظر إلىٰ وجهها بيدها، فهكذا المسلم يجعل بينه وبين النار وقاية، ويجعل بينه وبين غضب الله عَزَّوَجَلَّ وقاية، وضابطها أن تعمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ علمٍ، ونور، وتجتنب معصية الله عَزَّوَجَلَّ، علىٰ علم، ونور.

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]، قد اختلف الناس فيها هل هي من المُحكَم أم من المنسوخ والصحيح أن معنىٰ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

- **وفي الأثر عن ابن مسعود أنه قال:** (أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَىٰ، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ)، هذا هو الواجب لكن التفريط حاصل.

قوله: («حَيْثُمَا كُنْتَ»): أي في أي زمان، ومكان، وفي أي وقتٍ وحين، فليست التقوىٰ متعلقة ببقعة، أو وقت، بل الواجب أن يتقي العبد ربه حيث كان، في حضرٍ، وفي سفرٍ، في ليلٍ، وفي نهارٍ، في صبحٍ وفي مساءٍ، في شبيبته وشيبته.

- **والمتقي لله عَزَّوَجَلَّ هو الكريم:** قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات:١٣].

- **وهي خير لباس:** قال تعالىٰ ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]، لباسٌ من العُرِيّ المعنوي، العُرِيّ من الحسنات.

- وهي الزاد: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة البقرة:١٩٧]،

وصفات المتقين مذكورة في القرآن قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة آل عمران:١٣٣]، منهم؟ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران:١٣٤-١٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٢ - ٥].

فهذه بعض صفات المتقين.

قوله: («وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»): قيل: المراد بالحسنة التوبة، وهذا وارد لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»[1]، ويقول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[2]

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٣٠٧).

وفِي رواية: «مِائَةَ مَرَّةٍ»[١]، وفي حديث أبي موسىٰ في مسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[٢].

وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الفرقان:٧٠]، وقال: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الفرقان:٧١].

وهل هذا الأمر خاص بالتوبة؟ أم عام في جميع الحسنات؟ هذا هو الأظهر أنه عام في جميع الحسنات ففي حديث ابن مسعود: أن رَجُلٌ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. قَالَ: «هَلْ شَهِدْتَ مَعَنَا الصَّلَاةَ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾[هود:١١٤]، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلِي هَذَهِ خَاصَّةٌ؟ أَمْ لِجَمِيْعِ الْأُمَّة؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩٨٠٧).

(٢) أخرج مسلم حديث رقم: (٢٧٥٩)، وأحمد حديث رقم: (١٩٥٢٩).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٢٦)، ومسلم حديث رقم: (٢٧٦٣).

وفي أحاديث الطهارة، والصلاة، فعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»[2].

وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

- وهنا مسألة تتفرع من هذا الأمر: وهو هل الكبائر تُكَفَّر بمجرد الإتيان بالطاعات، أم لابد فيها من التوبة؟

والجواب: اختلف العلماء في هذه المسألة، إلىٰ قولين قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [سورة النجم:٣٢]، فبين الله عَزَّوَجَلَّ أنه يغفر الذنوب لمن اجتنب الكبائر، وهكذا قُيِّدَت في الأحاديث أنها كفارة ما اجتنبت الكبائر، فقال بعض أهل العلم: لابد للكبائر من توبة حتىٰ تُكَفَّر وقال بعضهم، بل إن الطاعات تُكَفِر من الكبائر والصحيح الأول لظاهر القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ

---

(١) أخرجه حديث رقم: (١٥٩)، ومسلم حديث رقم: (٢٢٦).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٣٣).

﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [سورة النجم:٣٢]، فهؤلاء مغفور لهم اللمم، واللمم الذنوب الصغيرة كما فسره ابن عباس وغيره من أهل العلم .

وهل الصغائر تُكَفَّرْ بمجرد اجتناب الكبائر أم لابد فيها من توبة؟

والصغائر إن استغفر وتاب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عنها فإن ذلك رِفْعه لدرجاته وإن قُدِرَ أنه لم يستحضر توبة منها، مع محافظته علىٰ الفرائض واجتنابه للكبائر يرجىٰ أن تكون مغفورة عند الله عَزَّوَجَلَّ.

- **والسيئة قد تُطلَق ويُرَاد بها الكفر**، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة البقرة:٨١].

- **والحسنة تُطلَق ويراد بها التوحيد**، وقد تقدم: قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الإِسْلاَمِ فَلاَ يُؤَاخَذُ بِهَا. وَمَنْ أَسَاءَ فَإِنَّهُ يُؤَاخَذُ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلاَمِ»(١).

- **ومن أعظم ما تُمْحَى بها السيئات**: (الاستغفار): وهو مرادفٌ للتوبة في بعض المواضع، ولذلك رَغَّب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الاستغفار كثيرًا.

فَفِي حَدِيْث عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٩٢١)، ومسلم حديث رقم: (١٢٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٣٨١٨).

قوله: («وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»): هذه هي المسألة الثالثة الذي تضمنها هذا الحديث العظيم، فالأولىٰ أن الإنسان يتقِ الله عَزَّوَجَلَّ حيث كان، والثانية إتباع السيئة الحسنة، والثالثة مخالقَة الناس «بخُلُقٍ حَسَنٍ».

ولو تأمل الإنسان هذا الحديث لوجده قد نَظَّمَ حياة الإنسان، فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين نفسه، وفيما بينه وبين الناس، وهذا هو الشرع الحكيم، الإنسان تُضبَط حياته، في جميع أحوالها، ومع جميع أصحاب الحقوق، فالحق الأول هو حق الله: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»: هذا حق الله عَزَّوَجَلَّ، يُتَقرب إليه بالتوحيد وتُجْتَنَب المعاصي، والسيئات.

قوله: («وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»): فالواجب علىٰ الإنسان أن يرحم نفسه إذا أُبْتُلِيَت بذنوب ومعاصي قد تضره، وتكون سببًا لهلاك وحرمان في الدنيا والآخرة فعليه أن يرحم نفسه بالتوبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وبالمبادرة بالطاعات والقربات.

وفي حديث بن عمرو بن العاص: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟!»[1]، الأعمال الحسنة تهد جبالًا من السيئات.

- **قال تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٢١).

يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامُۢا ﴿٧٧﴾

[الفرقان:٦٨-٧٧].

قوله: («وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»): وأفضل من تخلق بهذا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [سورة القلم:٤].

-وفي "صحيح مسلم": قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[1].

وفي حديث عبد الله بن عمرو في "الصحيح": «كَانَ رَسُولُ اللهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا»[2].

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٤٦٠١).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٣١٠).

- فمن أراد أن يتَخَلق بالأخلاق الحسنة فما عليه إلا أن يقتدي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٢١]،

والأخلاق الحسنة من أعظم أسباب رفع الدرجات، ونيل المطالب والبركات، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ أَثْقَل مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»(١).

- وقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٢)،

- وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: حين سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»(٣).

- وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٠٢)،وأبو داود حديث رقم: (٤٧٩٩)، وجاء عند أحمد وغيره.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦١٢)، وأحمد حديث رقم: (٢٤٢٠٤)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٠٤).

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٩٨)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

انظر يعني أخلاق يتحَلّىٰ بها يدرك بها درجة الصائمين القائمين، ومعلوم أن الصائم، القائم، الصائم يصوم نهاره، ويقيم الليل، وهذا ربما لا يفعل مثلهم في هذه العبادات لكنه صاحب خُلُق حَسَن فيبلغ تلك الدرجة العظيمة، وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِن أَحَبِّكُم إِلَيَّ وأَقربِكُم مِنِّي مجلسًا يومَ القيامَةِ أَحَاسِنكُم أَخلَاقًا»[1].

- وكان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قيام الليل: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ، فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ»[2].

وكم هي الأحاديث والآيات، الدالة علىٰ فضل حُسْن الخلق لا سيما في تأدية حق الله عَزَّوَجَلَّ بتوحيده وهكذا بتأدية حقوق الناس، وأحق الناس بِحُسْن الخُلُق الأبوين قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإسراء:٢٣].

- بآيات كثيرة قَرَن الله عَزَّوَجَلَّ حق الوالدين بحقه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [سورة الإسراء:٢٣].

وهكذا حسن الخُلُق مع الزوجة كما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠١٨)، وجاء عند غيره.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٧١).

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٠١٠٦).

وقد تقدَّم معنا شيء من حُسْن الخُلُق أيضًا مع الناس وضابطه:

- **كَفُّ الأَذَىٰ.**
- **وَبَذْل النَّدَىٰ.**
- **وَطَلَاقَة الْوَجْه.**

فالإنسان يحافظ علىٰ هذه الاخلاق، وهذه الآداب وهذا الحديث حقه أكثر من هذا، لو أردنا الاستطراد، فهو حديثٌ عظيم جامع من جوامع كَلِمْ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن بهذا القدر نكتفي، والحمد لله رب العالمين.

الحديث التاسع عشر

«احْفَظِ اللهَ يَحفَظْكَ»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَومًا فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحفَظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمَّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإِن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ»، رَواه التِّرْمِذِي وقال: حديث حسن صحيح -.

وفي رواية - غير التِّرْمِذِي: «اِحفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعرِفْكَ في الشِّدةِ، وَاعْلَم أن مَا أَخطأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَربِ، وَأَنَّ مَعَ العُسرِ يُسْرًا».[1].

الشَّرْح

قوله: (عَنْ عَبْدِ اللهِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا): هو أبو العباس عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعدودٌ في من خَدَمَ النَّبِيِّ

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٥١٦)، وأحمد حديث رقم: (٢٨٠٣) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد قَرَّب إليه إناءً فيه ماء لِيَستَنجِي به فخرج النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخلاء فقال: من من فعل هذا، قالوا: عبد الله ابن عباس فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[1].

وقد بات ليلةً عند خالته ميمونة زوج النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فروىٰ لنا حديثًا عجيبًا عظيمًا في كيفية قيام الليل وهو: أنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل علىٰ ميمونة فتحدث معها ما شاء الله، ثم اضطجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طول الوسادة قال واضطجعتُ في عرضها، فنام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ نَفَخ ثم قامَ فتوضأ وضوءً خفيفا، فصلَّىٰ ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين ثم أوترَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكَرَ في هذا الحديث، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا استيقظ نظر إلىٰ السماء فقرأ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩٤].

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٣٩٧).

وذكر في هذا الحديث أنه قام عن يسار النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإذنه وجعله عن يمينه، وذَكَر في هذا الحديث أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ حَتَّىٰ نَفَخَ، ثم قام وصَلَّىٰ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ.

وذَكَرَ فيه أيضًا: أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خرج إلىٰ المسجد قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا»[1].

فالحديث بطرقه رسالة كاملة في كيفية قيام النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الليل، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من الصنف الذي حفظ الله عَزَّوَجَلَّ بهم الدين، فقد وصفه عبد الله بن مسعود بأنه: تُرْجُمَان القُرْآن، ومعلوم أن عبد الله بن مسعود مات مبكرًا، عاش بعده عبد الله ابن عباس فوق عشرين سنة، فسَّر فيه القرآن، ونقَل فيه الأحاديث، حتىٰ صار من المؤلفين، وهو أحد العبادلة:

ابـــن عبـــاسٍ وعَمْـــرٍو وعُمَـــر ... وابـن الزبيـر هـم العبادلـة الغُـرَر

سُمو بالعبادلة؛ لأنهم نقلوا من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفتَوْا في دين الله عَزَّوَجَلَّ ما نتفع به البلاد والعباد، وما زال الناس ينتفعون بعلمهم إلىٰ الآن، وإلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٦٣).

ففي "صحيح البخاري": عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَىٰ مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر:١-٢]، حَتَّىٰ خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»[(١)].

- **وقال**: كُنْتُ خَلْفَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَومًا: في الحديث جواز الارداف فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أردف الحسن والحسين، وعبد الله ابن جعفر، وعبد الله بن عباس، وأردف غيرهم، **والارداف**: هو الركوب علىٰ الدابة، مع حَمْل بعضهم في الخلف أو الأمام وفي الغالب أنه في الخلف، وغالبًا ما يُصنَع هذا مع الصبيان والصغار، وفي هذا ما عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التواضع، والخُلُق الحسن، للكبار والصغار، وقد أردف الفضل ابن عباس من مزدلفة إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٢٩٤).

الجمرات، وأردف أسامة بن زيد من عرفات إلىٰ مزدلفة، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يفرحون بهذا لا سيما صغارهم كانوا يفرحون لأمرين:

الأمر الأول: لإكرام النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لهم.

والأمر الثاني: أنهم يحفظون سنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويبلغوها للناس.

- وفيه: الاستعانة بالركوب فإن الإنسان قد يَكبُر أو يَضْعُف جسمه، فيحتاج إلىٰ أن يركب، وهذا كان في المدينة، فإن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان صغيرًا لم يشهد الغزوات مع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا ما كان من حجة الوداع.

قوله: (فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ»): فيه: نداء الطالب باسمه كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يا مُعَاذ» قال: لَبَيْكَ يا رَسُولَ الله، أو بِوصفه كما قال هنا: يا غلام وهذا للتنبيه، فإن الإنسان إذا ذكرته باسمه أو ناديته بوصفه انتبَهَ إليك وأصغىٰ لما تقول، بخلاف ما لو حدثته حديثًا عابرا، ربما يحفظ وربما ينسىٰ، لكن إذا قلت يا فلان إني موصيك، أو إني مُذكِرُك فإن هذا من دواعي الانتباه.

قوله: («إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ»): فيه: فضيلة بث العلم، ونشر الخير والنَبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أمر بذلك، بل ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد حث علىٰ ذلك في كتابه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [سورة النحل:١٢٥] وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٤].

- وفي الحديث: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»[1].

- وفيه: أن الإنسان جاهل حتىٰ يتعلم لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة النساء:١١٣]، وقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة الضحىٰ:٧]، ولقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل:٧٨]

قوله: («كَلِمَاتٍ»): **المراد بها**: جُمَل فإن الكلمة قد تُطلَق ويراد بها الجملة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]، فهو قال جملة، ومع ذلك وُصِفَت بأنها كلمة، ومنه قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند البخاري[2]: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٨٤١).

- ومنه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [سورة الزخرف:٢٨]، وهي: لا إله إلا الله، وقد يقول القائل: تَكَلَّمَ اليوم فلان بكلمة، ويريد به أنه خطب بخطبة أو قال محاضرة.

قوله: («احْفَظِ اللهَ يَحفَظك»): بدأ بما يجب علىٰ الإنسان، من وجوب حفظ الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ هو الغني الحميد وهو الغني عن العباد، قال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي الذي يرويه أبو ذر عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند "مسلم": «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا»[1].

وهو تعالىٰ الحافظ للعباد والسماوات والأرَضين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك: ١٩].

- والمراد بحفظ الله هنا: حفظ حدوده، وواجباته، وفرائضه وأحكامه، وشرع الله عَزَّوَجَلَّ منه المأمور ومنه المحظور، فالمأمور يُحفَظ بالإتيان به، والمبادرة إليه، والمسارعة فيه، والمحظور يُحفَظ بالبعد عنه، والاجتناب له،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٧٧).

قال الله عَزَّوَجَلَّ مادحًا للحافظين لحدود الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون:٥-٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ۝٣٢﴾ [سورة ق:٣٢].

(**والأوَّاب**): الرجَّاع، و(**الحفيظ**): الحافظ لحدود الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: («**يَحفَظك**»): أي: يحرسك، ويحوطك، وحفظ الله عَزَّوَجَلَّ للعبد كوني، وشرعي، أما الكوني فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [سورة الرعد:١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار:١٠-١١]، **علىٰ قولٍ لأهل العلم**: أن الحافظين هم الذين يحفظون العباد، فتجد أن الإنسان يسير في طريقٍ وبينما هو في طريقه إذ ينتبه لشيء ثم يظهر أنه تنبيه من الله، حال بينه وبين شرٍ أو يَسَر له خيرًا، وقد حفظ الله عَزَّوَجَلَّ أولياءه فحفِظ موسىٰ عليه السلام وقومه، في زمنٍ أحاط بهم فرعون وقومه حتىٰ قال بنو إسرائيل: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣﴾ [الشعراء:٦١-٦٣].

- وحَفِظ الله مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين اجتمع عليه الملأ من قريش لقتله زعموا: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنفال:٣٠]، وحتىٰ حضروا الغار ففي "الصحيحين": عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَىٰ أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»[1].

وحَفِظ الله عَزَّوَجَلَّ عيسىٰ ابن مريم حين تمالأ عليه اليهود لقتله، ورفعه إليه، قال تعالىٰ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [سورة النساء:١٥٨]، وحَفِظ الله عَزَّوَجَلَّ إبراهيم حين أُلْقِيَ في النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الأنبياء:٦٩]، وحَفِظ الله عَزَّوَجَلَّ يونس وهو في بطن الحوت، حين قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٨]، وحَفِظ الله عَزَّوَجَلَّ أيوب مع شدة المرض، ولطول زمانه، ومع ذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿* وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٣٨١)، وجاء عند الترمذي وأحمد وغيرهما.

رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤]، وحَفِظ الله عَزَّوَجَلَّ لمريم عِرضَها، ودافعَ عنها، في وقتٍ قد تمالأ القوم عليها، ومع ذلك أنطق الله عَزَّوَجَلَّ ولدها، وذلك لحفظها لحدود الله، قال تعالىٰ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٢].

ولو أراد الإنسان أن يتوسع في هذا لطال المقام.

- **والحفظ الثاني وهو الأهم**: وهو حفظ الله عَزَّوَجَلَّ للعبد في دينه، واستقامته في دنياه، يثبته بالقول الثابت عند موته، قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]، ويثبتة عِند سؤال منكر ونكير، ويثبته الله عَزَّوَجَلَّ حين تطاير الصحف، فيأخذ كتابه بيمينه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الحاقة:١٩]، وكل هذا الحفظ عائدٌ إلىٰ حفظ الدين في الدنيا، ولهذا كان من دعاء النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»(١).

- وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٢١٠٧)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٥٤)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وكم أنزل الله عَزَّوَجَلَّ من آياتٍ شرعية وقَصَّ من القصص، لتكون سببًا لثبات العبد وحِفْظه علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الفرقان:٣٢]، قال تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ﴾ [سورة هود:١٢٠] ، ومن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [سورة آل عمران:٨].

قوله: («احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ»): هذا تكرار للأمر بحفظ الله عَزَّوَجَلَّ وأنه سببٌ ومِفْتَاحٌ لكل خير، احفظ الله في حدوده، وفرائضه، وأحكامه، تجده تجاهك، أي: تجد أن الله عَزَّوَجَلَّ، يفرج عنك، ويُيَسِر أمرك، مع إثبات ما دل عليه الدليل من حديث عبد الله بن عمرو وغيره: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلاَ يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى»[1].

فنحن نثبت ما دل عليه الحديث، مع إثباتنا أن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه، بائن من خلقه، كما يليق بجلاله، والإنسان سائرٌ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهو في الطريق إليه والذي يسير يجد أمامه الأشياء الكثيرة، من مُفْرِحَات ومُحْزِنَات لكن الحافظ لحدود الله عَزَّوَجَلَّ، لا يجد إلا الفرج، واليُسْر، وإن وجد ما يُنَغص فهو للاختبار والابتلاء، قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٠٦)، ومسلم حديث رقم: (٥٤٧)،

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت:١-٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢١٤].

قوله: («إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ»): وهذا الأمر من الأهمية بمكان لا سيما، وقد تعلقت قلوب العباد بالمخلوقين المربوبين، فالمشركون يدعون آلهتهم، والنصارىٰ يدعون عيسىٰ، واليهود يدعون عُزَيرا، وكثير ممن يقول لا إله إلا الله، يدعون العيدروس، والبدوي، والدسوقي، ويدعون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلي والحسن، والحسين، وهكذا يسألونهم المدد والغوث والشفاعة حتىٰ قيل:

يـــا خـــائفين مـــن التَّتَّـــر ... لـــوذوا بقبـــر أبـــي عُمَـــر

نعوذ بالله من الخذلان.

- **فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بسؤال الله القائل:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٦]، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

ففي "الصحيحين": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[1].

فإذا سألت أحدًا لقضاء حاجتك، أو لدفع الضر، فاسأل الله عَزَّوَجَلَّ، الذي بيده تصريف الأمور، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والذي لا يعجزه شيء قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [سورة فاطر:٤٤].

قوله: («وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ»): فيها الحث علىٰ الاستعانة بالله والاستعانة طلب العون، قال الله عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن موسىٰ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [سورة الأعراف:١٢٨].

وفي سورة الفاتحة التي نقرأها في كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [سورة الفاتحة:٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [سورة يوسف:١٨].

- **وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١١٤٥)، ومسلم حديث رقم: (٧٥٨).

- والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»(٢).

فلا يجوز الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فمن استعان بجنيٍ، أو ملَكٍ، أو رسولٍ، أو وليٍ، أو شريف، فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [سورة النساء:١١٦].

وأما الاستعانة بالحي، الحاضر، القادر، فهي جائزة، ولا محظور فيها بل قد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعين العبد؛ فقال: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٣).

واستدل أهل العلم بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ» بإثبات معية الله عَزَّوَجَلَّ لعباده، ومعية الله عَزَّوَجَلَّ منقسمةٌ إلى نوعين:

النوع الأول: (المعية العامة): وهي المقتضية للعلم، والإحاطة، والقهر، والسلطان، وغير ذلك من خصائص ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، فهي عامةٌ في جميع الناس، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [سورة الحديد:٤].

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٥٢٢)، وأحمد حديث رقم: (٢٢١١٩).

(٢) أخرج مسلم حديث رقم: (٢٦٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والنوع الثاني: (معية خاصة): وهي المقتضية للنصر، والتأييد، والحفظ، والكلاءة، قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن موسىٰ وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [سورة طه:٤٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن قول مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأبي بكر: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [سورة التوبة:٤٠]، وكم هي الآيات التي فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥].؟

فمن كان حافظًا لحدود الله عَزَّوَجَلَّ كان الله عَزَّوَجَلَّ معه مؤيدًا، ومسددًا، وناصرا، كما في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري عن أبي هريره رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «ولايَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِيْ بِهَا. وَلَئِنْ سَأَلَنِيْ لأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِيْ لأُعِيْذَنَّهُ»[(١)].

- ومما يستعان به أيضًا: طاعة الله عَزَّوَجَلَّ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [سورة البقرة:٤٥].

قوله: («وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك»): في هذا حثٌ: عظيم علىٰ حُسْن التوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والاعتماد عليه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

﴿٢٣﴾ [سورة المائدة:٢٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢﴾ [آل عمران:١٢٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾ [سورة الأحزاب:٢٢].

وفِي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند "البخاري" رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ: قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا»[1].

- وليعلم المسلم: أن نواصي العباد بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يستطيعون نفعا، ولا ضرا، إلا إذا أقدرهم الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذلك، وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن نبيه بقوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الأعراف:١٨٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ﴾ [سورة الفرقان:٥٥]، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [سورة الزمر:٣٨]، فالذي بيده النفع والضر هو الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يعجزه شيء في السماوات ولا في

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٥٦٣).

الأرض، وقال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن السحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

- فعلى الإنسان: أن يعلم، ويستَيقِن، أن الناس مهما مكروا وكادوا وخادَعوا، فإنهم عاجزون عن مضرة الإنسان، وأن الأمر يعود إلىٰ ما قدره الله وقضاه، ففي هذه الفقرة: الإيمان بالقدر، وأن الإنسان مصيره إلىٰ ما قدره الله وقضاه، فما كتبه الله له، هيأ له الأسباب إن قَدَّر له رزقًا من عند، شخص هيأ له الأسباب، وإن قدَّرَ له رزقًا من التجارة، هيأ له الأسباب، فلن يُنْتفَع الإنسان إلا بشيءٍ قد كتبه الله له في الأزل، وعَلِمَه الله عَزَّوَجَلَّ له.

- وفي الحديث: إثبات الكتابة، قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١)، وفي رواية لأحمد: «فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٢).

- وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الرعد:٣٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، فالمصائب،

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٧٠٠)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٢٧٠٥)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والمصالح، كلها بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، الكوني، القدري، الذين لا يمكن أن يتخلف بحال.

وفي هذه الفقرة: الحث علىٰ الشجاعة، وذلك أن الناس لا يُقَدِمون ولا يؤخرون فعلىٰ الإنسان أن يبتعد عن الصفة الذميمة وهي الجُبْن فإن النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «شَرُّ ما في الرجل: شُحٌّ هالعٌ، وجُبْنٌ خالع»[1]، فالجُبْن قد استعاذ منه النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كثيرًا وكان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ»[2]، فهو مِن الصفات الذميمة.

- وفي هذا الحديث: بث العقيدة الصحيحة، بين الناس، والإنسان قد يتعرض للنسيان أو الجهل فيُعَلَّم ويُشَجَّع وَيُحَرَّض علىٰ الخير، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [سورة الأنفال:٦٥].

قوله: («وإِن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ»): فالأمر عائدٌ إلىٰ الله، منفعةً ومضرة، وجلبًا، ودفعًا، فعلىٰ الإنسان أن يكون اعتماده علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك كله فلا يتخوف من مخلوق عاجزًا مثله.

قوله: («رُفعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ»): فيه: بيان أن تقدير شأن العباد مفرغ منه.

والأقلام أنواع:

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٢٥١١)، وأحمد حديث رقم: (٨٠١٠) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٨٢٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الأول: (القلم العام): وهو الذي أقسم الله به في قوله: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم: ١]، وهو المشار إليه في حديث عُبَادة المتقدم، وهكذا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم: «إِنَّ اللَّهُ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(١).

الثاني: (القلم البشري): وهو القلم الذي فيه تقدير آدم عليه السلام وما يتعلق بأبنائه وذريته، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [سورة الأعراف:١٧٢].

الثالث: (القلم العُمْرِيّ): وهو الذي تقدم معنا في حديث ابن مسعود: «ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»(٢).

الرابع: (قلم التكليف): وهو المذكور في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٥٣)، عند عبد الله بن عمرو بن العاص رض الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٢٠٨)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٤٠٣).

فالأقلام القدرية قد رُفِعَت، وجفت الصُحُف، بما هو كائن علىٰ الإنسان، ولهذا قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لما قيل له: يَا رَسُولَ اللهِ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ»، قَالَ: فَفِيمَ الْآنَ؟[1].

وفي "صحيح مسلم": عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- بِهَذَا الْمَعْنَىٰ وَفِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- «كُلُّ عَامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ»[2].

والإيمان بالقدر قد تقدم شيء مما يتعلق به، وأنه الركن السادس، من أركان الإيمان الستة، وتحقيقه تحقيقٌ للإيمان كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»[3].

وفي الحديث: أن الإنسان سائرٌ فيما عَلِمَه الله عَزَّوَجَلَّ منه في الأزل، وأن ما علمه الله عَزَّوَجَلَّ لا يمكن أن يتغير أو يُبَدَل، لكن الواجب علينا أن لا ننظر إلىٰ ما في علم الله، لأنه مُغَيّب عنا ومحجوبٌ منا، ولكن ننظر إلىٰ ما في كلام الله، وكلام رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فما كان من المأمور فعلينا أن نعمل به ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا، وما كان من المحظور فعلينا الابتعاد والتخلي عنه.

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٤١١٦)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨).

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٧٤٩٠)، عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله: (رواه التِّرْمِذِي وقال حديث حسن صحيح): وهو محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة، صاحب "الجامع" و"العلل"، و"الشمائل"، وغير ذلك من الكتب.

قوله: (في رواية غير التِّرْمِذِي: «احفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ»): وهي بمعنىٰ: «احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ»، وإنما بين أن معنىٰ تجاه أمامه.

قوله: («تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعرِفْكَ في الشِّدةِ»): أي: أعرف نعمة الله عليك في الرخاء والسعة بذكره وشكره يعرفك في الشدة.

- **وقد ذهب بعض أهل العلم**: إلىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُوصَف بالمعرفة؛ لأن المعرفة قد يسبقها جهل، والله عَزَّوَجَلَّ موصوفٌ بالعلم الذي لم يُسْبَق بجهل ولا يلحقه نسيان ولو مُرِرَ الحديث علىٰ ما جاء كان أولىٰ والله أعلم.

وفيه: أن الذي يتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالأعمال الصالحة في الرخاء، يوفقه الله عَزَّوَجَلَّ للحفظ والكلاءَة في وقت الشدة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الحج:٣٨]، وهذا أمرٌ ملحوظٌ، ومُشَاهَد فكم من إنسانٍ عرف الله عَزَّوَجَلَّ في الرخاء وعبَدَه وتَقَرَّب، إليه بأنواع الإحسان، فلما اشتد عليه الحال وضاق، وإذا بفرج الله عَزَّوَجَلَّ يأتي وتحصل له الكرامة العظيمة.

وما حصل للنَبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه يوم بدر فمن هذا الباب، فإنهم كانوا ثلاثة مائة وسبعة عَشَر يخرجون لمواجهة ألف! معهم فَرَسٌ واحد، ومع عدوهم عِدّة من الأفراس، وأنواع من السلاح، ومع ذلك نصر الله أولياءه

وأيدهم بجندٍ من جنده، وهكذا في كثيرٍ من الكرامات، التي أكرم الله عَزَّوَجَلَّ بها جنده في كل وقتٍ وحين.

وفي هذا بيانٌ: أن الفرج والشدة بيد الله، فعلىٰ الإنسان أن يسعىٰ في رفعه الشدة بالعودة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أعظم الأسباب لإزالة الشدائد، ودفع المصائب، لهو التقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر:٦٠]، وكم هي الأدعية التي فيها: (اللهم إني أعوذ بك من كذا وكذا)، ومنها: «نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»[(١)].

ويستعيذ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من جَار السوء في دار المقامة ويستعيذ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في خطية الحاجة بقوله: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا»[(٢)] هذا كان ويستعيذ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من فتنة الدجال، وهذا تعليمٌ لأمته فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يدفعها ويرفعها.

قوله: («وَاعْلَم أن مَا أَخطأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخطِئَكَ»):

وهذا عودة إلىٰ ما تقدم من وجوب الإيمان بالقدر قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الشورىٰ:٣٠]، هذا في المصائب التي تقع بسبب الذنوب والمعاصي، وهناك مصائب قد تقع للابتلاء

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٨٦٧)، عن زيد بن ثابت وأبو سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١١٠٥)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والاختبار، وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي اله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ، حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»[(١)].

لكن المؤمن يعلم أن ما أصابه لا يتأخر عنه، وما أخطأه لا يأتيه، ويذكرون هنا قصة وإن كانت من الإسرائيليات لكن ذكرها ابن كثير وغيره، عند تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [سورة النساء:٧٨]: وهو أن امرأةً كان لها مولىٰ، فوضعت فتاة فخرج المولىٰ لشراء بعض المتاع، فوجد رجُلًا فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أن أشتري كذا وكذا، قال لا عليك فإن سيدتك قد وضعت أنثىٰ وستزني بمائة رجل، وتُقتَل بالعنكبوت فرجع إليها، وطعنها في بطنها ثم ولَّىٰ هاربًا، فمكثَ ما شاء الله أن يمكث، ثم عاد بعد زمنٍ وله مال كثير، وسأل عن امرأة تصلح لها، فقالت له بعض النساء: ما هناك إلا امرأة واحدة تصلح لك، فخطبت له تلك الفتاة فلما دخل بها وجد في بطنها أثر السكين فقال: ما هذا؟ فذكرت له القصة، قال: فهو أنا الذي طعنتكِ وقد ذكروا كذا وكذا، فهل هذا حاصلٌ ؟ قالت: قد حصل شيءٌ من ذلك لكن ما أدري كم! قال: وأُخبِرت أنك ستموتين بالعنكبوت، فعند ذلك حصَّنَ لها الغرفة، بحيث لا

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤٠٢٣).

يدخل فيها شيء من العناكب، أو الحشرات، وبينما هم في مجلسهم، وإذا بعنكبوت في عرض الغرفة، فقالت له: تخاف عليَّ من هذا؟ فقامت وداستها برجلها فقرصتها بسُمِّها فتغير لونها وجلدها ثم ماتت.

الشاهد: أن القصة من الإسرائيليات لكن ذكرها ابن كثير للاستدلال أن ما قُدِّر علىٰ الإنسان كونًا، لا يمكن أن يتخلف، أو يتأخر، وإن استخدم الإنسان جميع الوسائل في صد ذلك الشر، وما قُدِّر له وإن مكُرات به الأمة علىٰ أن يمنعوه ما استطاعوا أن يمنعوه من ذلك، لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الرزاق ذو القوة المتين.

قوله: («وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ») كل الناس يطلبون النصر، والنصر من عند الله قال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [سورة محمد:٧]، قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ [سورة آل عمران:١٢٥]، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي ينصر من شاء من عباده، ولهذا كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في غزوة بدر، وفي غيرها من الغزوات يستنصر الله عَزَّوَجَلَّ وأعظم أسباب النصر الصبر، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [سورة آل عمران:٢٠٠]، بينما إذا ضَعُفَ الإنسان في أول الأمر، ربما تلحقه الهزيمة قبل أن يدخل في المعركة، في القضية التي هو

بصددها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ [سورة المزمل:١٠]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [سورة النحل:١٢٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [سورة آل عمران:٢٠٠].

وفِي حديث عَبْدِ الله بْنِ أبي أَوْفَىٰ -قَالَ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمنَّوا لِقَاءَ الْعدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّه العَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»[1].

فإذا لقيت عدوك فاصبر سواءً العدو الحسي الذي تلاحظه وتشاهده، أو العدو الذي لا تراه كالشيطان، والنفس، والهوىٰ، فعليك أن تصبر عن المعاصي، وتصبر علىٰ الطاعات، وتصبر علىٰ الأقدار، ولتعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ سينصرك، ويؤيدك، ويحفظك، وهو خَيْر النَّاصِرِيْن وهو نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- **في غزوة حُنَين:** خرج الصحابة رضوان الله عليهم مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال بعض الصحابة: وهو من حدثاء العهد بالإسلام لن نُهْزَم اليوم عن قلة، وكانوا اثنَيّ عَشَر ألفا، فلما قدموا علىٰ هَوازن وكانت هَوازن قد تفرَّقَت في الجبال، والشعاب فرموهم بالنِبَال فرجعوا كلهم، لا يلوي أحدٌ علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم حديث رقم: (١٧٤٢).

أحد وبقي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعباس ابن عبد المطلب، وكذلك سفيان بن الحارث.

كما في "الصحيحين" من حديث أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»[1].

فالشاهد: أن النَبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا صبروا استنصر الله عَزَّوَجَلَّ وأخذ شيئًا من الحصىٰ وألقىٰ به في وجوه القوم، وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، ثم نصر الله عَزَّوَجَلَّ المسلمين.

فالنَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ في أي شيء، حتىٰ في الشهوات، يأتيك الشيطان ويحبب إليك المعصية، فإذا صبرت نصف ساعة أو ساعة وإذا بك انتصرت علىٰ الشيطان، وذهب ما في نفسك وإذا استسلمت له، وإذا به يجرك اليوم إلىٰ المعصية، وغدًا إلىٰ أخرىٰ وهكذا.

وقد قَسَّم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في كتابه: "عدة الصابرين" الصبر **إلىٰ ثلاثة أقسام:**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٨٦٤)، ومسلم حديث رقم: (١٧٧٦).

الأول: (صبر علىٰ أقدار الله): فإذا وقعت بك مصيبة، مات ولدك، أو ذهب مالك، أو ماتت زوجتك، فهذا يحتاج أن تصبر والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»[1].

فالإنسان إذا أصابته مصيبة يستحب له أن يسترجع ويحمد الله عَزَّوَجَلَّ: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ»[2]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّ عَبْدِي مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، يُرْسِلُ اللهُ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُ: مَّا قَالَ عَبْدِي؟ قَالُوا: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، قَالَ: ابْنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»[3]. وربما عوضه الله في الدنيا.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٩١٨).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٦٥٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٠٢١)، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمر الثاني: (**الصبر عن معاصي الله**)، وهذا أمر مطلوب لا يستطيع الإنسان أن يترك المعصية إلا بالصبر .

الأمر الثالث وهو أيضًا من أهمها: (**الصبر علىٰ طاعة الله** عَزَّوَجَلَّ)، تتوضأ تحتاج إلىٰ صبر، تأتي المسجد تحتاج إلىٰ صبر، تجلس في حلقة العلم تحتاج إلىٰ صبر، حفظ القرآن ومدارسة القرآن يحتاج إلىٰ صبر، العمل بما دل عليه الكتاب والسنة يحتاج إلىٰ صبر عظيم، لا سيما في هذا الزمن الزوجة تتنكر لك، والابن يتنكر لك، والجار يتنكر لك، والمسؤول يتنكر لك، والتاجر يتنكر لك، والقريب يتنكر لك، والبعيد يتنكر لك، إلا من رحم الله هذا يقول متشدد، هذا يقول متزمِّت، وهذا يقول كذا وهذا يقول كذا، إذن تحتاج أن تصبر علىٰ ما تسمع من اللمز، وتحتاج أن تصبر علىٰ تربية الأبناء، والزوجات وتحتاج أن تتحمل الشيء الكثير، وبعد ذلك فإن النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَبعد ذلك: وإنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَربِ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ [الشرح:٥-٦].

- **وكما يقولون**: (اشتَدَّي أزمَةُ تَنفَرِجي)، ويقال:

ما بين غمضةِ عينٍ وانتباهتها ... يغير الله من حالٍ إلىٰ حالِ

ويقولون أيضًا:

عَسىٰ الكَربُ الَّذي أَمسَيتُ فيهِ ... يَكونُ وَراءَهُ فَرَجٌ قَريبُ

وكم هي الحوادث التي وقع فيها الفرج بعد الشدة بل قد أَلَّفَ بعضهم كتاب الفرج بعد الشدة، يذكر فيه القصص العظيمة، بعضهم يكاد يهلك من الجوع، وإذا بفرج الله عَزَّوَجَلَّ يأتيه من حيث لا يحتسب، بعضهم يضيق حاله من الدَّيّن، وإذا بفرج الله عَزَّوَجَلَّ يأتيه من حيث لا يحتسب، بعضهم يضيق من المرض، وإذا بفرج الله عَزَّوَجَلَّ يأتيه من حيث لا يحتسب.

أخبرني أبو همام الجبلي حفظه الله، صاحب قِصَيَّعَر وهو من أطباء الأعشاب، قال جاءني رجل وزوجته بابنةٍ لهم، قد عالجوها في المستشفيات، وعالجوها عند الأطباء، بل وربما ذهبوا إلىٰ أماكن مما حرم الله لعالجها، كالسحرة والكُهَان قال: ثم جاءوا عندي فبذلت جهدًا عظيمًا في علاجها ولم يتيسر، ونصحتهم من الأمور المنكرة كالذهاب إلىٰ السحرة، والمشعوذين، قال: وأوصيتهم بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والدعاء، قال سبحان الله رجعوا بابنتهم إلىٰ بيتهم، واستمروا علىٰ ذلك فترة من الزمن، وفي ليلة من الليالي، يعني: قاموا إلىٰ الصلاة ودعوا الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا وبكوا حتىٰ ناموا من شدة الإعياء، بعد كثرة الدعاء، فسبحان الله قاموا من نوهم وإذا بابنتهم قد تقيأت بعض القيئ، وإذا كأنها لم يكن فيها شيء، قال: جاءوني بعد فترة فأخبروني الخبر، قال: والله لو كانوا غير ثقتين ما صدقت منهم، لكنهم أصحاب ثقة وديانة، لاسيما بعد النصيحة لهم، رأيت منهم خيرًا.

فالشاهد: انظر هذه البنت عالجوها وقد بذلوا كل الأسباب ما وجدوا، ثم فرج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من حيث لم يحتسبوا، فالفَرَجَ مَعَ الكَربِ، وهذا يدلك دلالة صريحة، علىٰ أنك لا تيأس من روح الله، فإن اليأس من روح الله من أسباب الكفر: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف:٨٧]، ولا تقنط من رحمة الله مهما كان، كما في أثر عبد الله ابن مسعود محذرًا عن الكبائر:

- **الشرك.**
- **واليأس من روح الله.**
- **والقنوط من رحمة الله.**

مهما اشتد مرضك، مهما بلغت حاجتك، مهما كثر أعدائك، فإن الله عَزَّوَجَلَّ حيٌّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان:٥٨]، وإن مع العسر يُسرا وهذا قد جاء في القرآن: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح:٥-٦].

- **فقال السلف**: لا يغلب عُسَرٌ يسرين، لأن الْعُسْرِ عُرِّفَ بالألف، واللام، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ: عُسْر واحد واليُسْر جاء مُنكَّرًا، فإنه لا يغلب عُسَرٌ يسرين، فكلما وقع الْعُسْر انتظر الفرج.

فالشاهد يا إخوة: أن هذا الحديث تضمن جُمَلًا عظيمة لو حققناها، وعملنا بها، لرفَعَنا الله عَزَّوَجَلَّ، ونفعنا، لكن أين نحن؟، من تدبر هذا العلم، والعمل بهذه

الأحاديث العظيمة، وهنا كلام نقله ابن رجب، قال هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتىٰ قال بعض العلماء، تدبرتُ هذا الحديث فأدهَشَني، وكدت أطيش، فوا أسفي من الجهل بهذا الحديث وقلة التَفَهُم لمعناه، هذا والحمد لله رب العالمين.

الحديث العشرون

«إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي مَسْعُوْدٍ عُقبَة بنِ عَمْرٍو الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَاسُ مِن كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى، إِذا لَمْ تَستَحْيِ فاصْنَعْ مَا شِئتَ»[1].

رَوَاهُ البُخَارِيْ.

الشَّرْح

قوله: (عَنْ أَبِي مَسْعُوْدٍ عُقبَة بنِ عَمْرو الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ): وْهُوَ: عُقبَة بنِ عَمْرو، نُسِبَ إلىٰ بدرٍ وليس ببَدْرِيٍّ لم يشهد بدر، وإنما نزل بها، فسُمِيَ بها، وهو من المسارعين في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد جاء في الصحيح أنه كان له غُلَام فضربه فسمع صوتًا يقول: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، فالتفت فإذا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعتق الغلام[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١٢٠)، ورواه أيضًا أبو داود حديث رقم: (٤٧٩٧)، وجاء عند أحمد وابن حبان.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٥٩).

قَولَه: («إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَاسُ مِن كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى»): أي: مِّمَا حَفِظُوا، وسَمِعُوا، وَعَلِمُوا، وما زال الناس يتذاكرون أخبار أسلافهم من المتقدمين، وبعض ما يُذْكَر قد يكون صحيحًا، وبعض ما يُذْكَر قد لا يكون صحيحًا، وقد قَصَّ الله عَزَّوَجَلَّ علينا في القرآن الشيء الكثير، وهكذا قَصَّ علينا النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من ذلك الشيء الكثير.

- ومنها: حديث الثلاثة الذين في الغار، ومنها حديث الرجل الذي استدان من آخر ألف دينار، فقال: من يضمَنك قال: الله، ثم إنه رجع إلىٰ بلده فلما كان الموعد، انتظر سفينة فلم يجد، فأخذ خشبةً فنَقَرَها ثم وضع المال فيها، ثم استودعه الله وألقاه في البحر، وبينما صاحب المال في الشط الآخر ينتظر، فلم يرىٰ أحدًا، فوجد خشبةً، فلما رجع بها إلىٰ بيته، وإذا بالمال فيها.

في قصص كثيرة، وهكذا لما جاءت أم سلمة، وأم حبيبة من الحبشة، فذكرتا لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كنيسة فيها تصاوير، الحديث..

فالشاهد: أن الناس يتذاكرون أخبار مَن قبلهم علىٰ سبيل الحكاية، أو علىٰ سبيل الاتعاض، لكن كثير من أخبار بني إسرائيل، قد دخلها التحريف، والتبديل، والتغيير، وبعضها صارت مُنْكَرة، ومنها ما يُنْسَب إلىٰ سليمان عليه السلام، أنه كان يتعاطىٰ السحر، وأن داوود عليه السلام أراد امرأة جندي من جنوده فأرسله للحرب حتىٰ يُقْتَل ويتزوج بزوجته، ويأتون بهذا المعنىٰ عند تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾

[سورة ص:٢٤]، وهو إنما استغفر إما لأنه نَسِيَ شيء أو لِما يُذْكَر من أنه أغلق الباب دون الناس، أو أنه عجل في قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [سورة ص:٢٤]، من قبل أن يسمع رد الآخر، وهم يطعنون في الأنبياء بهذه القصص، وقد تقدم معنا في الظهر الإشارة إلىٰ شرع من قبلنا، ونزيد هنا أن مما نُقِل عن بني إسرائيل **علىٰ ثلاثة أوجه:**

الأول: ما جاء في القرآن والسُنة فهو ثابت.

الثاني: وما جاء مناقضًا للقرآن والسُنة فهو باطل.

الثالث: وما لم يرد فيه الموافقة ولا المخالفة فذكر بعض أهل العلم كالشيخ ابن عثيمين وغيره أنه لا بأس من ذكره للاتعاض لا للاحتجاج.

- **ومراد النبي** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **بهذا الكلام**: أن ما لَحِقَه الناس من كلام النبوة الأولىٰ، وهو ثابتٌ عن الأنبياء وقد جاء في بعض الروايات أنه إلىٰ عيسىٰ عليه السلام والله أعلم، وقد بقي بعض ما كان كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الأعلى:١٦-١٨]، **قيل**: هذه العبارة: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٦-١٧]، موجودة في صحف إبراهيم، وصحف موسىٰ.

قوله: («إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»): وهل هذا علىٰ الذم؟ أو علىٰ المدح؟ **قيل**: هذا وهذا، **وهو كقول القائل**: يا فلان إذا لم تستحِ فاصنع ما بدا لك، أو اصنع الذي تريد، كأنه يقولها علىٰ الذم، وعلىٰ النهي.

والوجه الآخر: أن هذا متعلق بالفعل، إذا كان الفعل لا يُستَحىٰ منه، وليس بمُحَرَّم، وليس بمكروه، فافعله إن شئت.

وفي الحديث: فضيلة الحياء، وفي "الصحيحين": عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ»[١].

وفي "الصحيحين" عن عبد الله بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَرَّ برَجُلٍ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»[٢].

وفي "الصحيح" عن عِمْرَانَ بْن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من طريق قتادة قال كنا عند عِمْرَانَ بْن حُصَيْنٍ فذكر الحياء، فقال: «الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[٣]، وفي رواية: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً، فَقَالَ عِمْرَانُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ كُتُبِك؟ فَغَضِبَ عَلَيْه[٤].

وقد ثبت أيضًا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٩)، ومسلم حديث رقم: (٣٥).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١١٧).

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤١٨٤)، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- والحياء منه: (الطبيعي، الجِبِّلي): الذي ربما يبقىٰ الإنسان عليه منذ طفولته، ووجوده، فلا يتكلم إلا بالكلام الحسن، ولا يفعل إلا الأفعال الحسنة،

- ومنه: (ما ليس بجبِلّي): وإنما هو مُكتَسَب، وذلك أن يتخَلَّق به الإنسان كلما قرأ آية من آيات الله، أو حديثًا من أحاديث رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بادَرَ إلىٰ العمل به، وتجري عليه الأحكام، الخمسة، **تجري في الحياء الأحكام الخمسة:**

١- (**منه ما هو واجب**): وهو الحياء عما حرَّم الله عَزَّوَجَلَّ.

٢- (**ومنه ما هو مستحب**): وهو الحياء في الأمور المكروهة.

٣- (**ومنه ما هو مباح**): وهو الحياء فيما يتوسع فيه وليس بمحرَّم.

٤- (**ومنه ما هو حرام**): وهو الحياء الذي يصد عن كلمة الحق ويمنع منها

٥- (**ومنه ما هو مكروه**): وهو الحياء الذي يجعل الإنسان يقع في المكروهات أو يترك المستحبات.

فتجري عليه الأحكام الخمسة.

وقد كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من أحسن الناس حياءً كما صح عن عبد الله ابن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أن النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «كَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا»[1]، فكان صاحب حياء ولهذا كان يُكَنّي في الأمور المُستَقْبَحة كان لا

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٥٦٢).

يعجبه التصريح في أمور النكاح وهكذا الأمور المتعلقة ربما بالنساء ونحو ذلك ربما لا يعجبه التصريح حياءً.

ومن ذلك ما جاء في "الصحيح": أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ؟ فَقَالَ: «تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا، فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا» فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، تَطَهَّرِينَ بِهَا» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ[1].

تحرَّج النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حياءً من ذكر ما يتعلق بهذا الأمر الذي يخص النساء، وهكذا في كثير من الأمور النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما في وجهه حَبِّ الرمان لكثرة حياءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحياء أعظمه الحياء من الله عَزَّوَجَلَّ، فقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبَوَّبَ عليه البخاري فِي شأن الاغتسال عريان: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ»[2]، يعني أن الإنسان إذا استطاع أن لا يغتسل عُريان فهو أفضل الحديث حسن حديث بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٧٦٩).

وهكذا في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في شأن الشباب الذين مر عليهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم عُرَاة فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ، لَا مِنَ اللَّهِ اسْتَحْيَوْا، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ اسْتَتَرُوا»[1].

فالحياء يدخله التوحيد، ويدخله غير ذلك من الأعمال الصالحة، فالإنسان يكون حَيِيٌ يكون حييٌ ويكون مسارع أن يراه الله عَزَّوَجَلَّ في أماكن الصلاح، ويكون مسارع في البعد عن أماكن الفساد، حياءً من الله عَزَّوَجَلَّ، وكم من إنسان ترك الشر حياءً من الله عَزَّوَجَلَّ، أن يراه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الشر.

ثم الحياء فيما بين الناس وهذا أمرٌ محمود كما تَقَدَّم أن يكون الرجل حييً لا يصخب بصوته، ولا يأخذ مال غيره، ولا يتكلم إلا بقدر الحاجة، أخلاق طيبة، وسكينة أ والحياء من أعمال القلوب، الأصل أنه من أعمال القلوب، وقد يظهر علىٰ الجوارح، وهو من شُعَب الْإِيمَانِ كما تقدم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديث ابن عُمَر والحديث الآخر حديث الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ فهو من شُعَب الْإِيمَانِ، ومن علامة المؤمنين، ولهذا تجد أن الكفار كالحيوانات في أكلهم، وشربهم، وعشرتهم، وغير ذلك كالحيوانات: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ [سورة محمد:١٢]، وهكذا فِي أنكحتهم وفي ملابسهم، لا يبالون بستر العورة، ولا يبالون بالبعد عن المنكرات، بل يأتون في ناديهم المنكر

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧٧١١).

مجتمعين، بينما المؤمن وإن قُدِّر عليه فعل السيئة تجد أنه مُتَكَتِم ومتَحَرِّج أن يراه الناس، علىٰ ذلك الصنيع، وقد يتجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عن من هذا حاله، كما قال النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ»[1].

- **ومن المجاهرة**: أن يعمل الرجل العمل بالليل فيستره الله عليه ثم يُصبِح فيكشف ستر الله عليه.

فالأصل: أن المؤمن عنده حياء، أن يؤثَر عليه الفساد، والباطل، وإذا عمل السيئة عَمِلَها في السر، بينما الكفار ما عندهم تَحَرُج من الأعمال السيئة، من الشرك، فما دونه، لا حياء مع الله عَزَّوَجَلَّ، ولا حياء فيما بينهم، ولهذا تجد انتشر فيهم الزنا وانتشر غير ذلك من الأمراض بسبب ما هم عليه من قلة الحياء، والآن كثير من المسلمين يجارونهم في ذلك، نسأل الله السلامة.

- **ومن أعظم أسباب نزع الحياء بين الرجال والنساء**:هو فتنة الاختلاط في المدارس، والجامعات، والمستشفيات، والوظائف الحكومية، فهذا الأمر الذي يدعوا إليه الكفار ويحببونه إلىٰ المسلمين، ويزعمون أنه سبب لقلة الشر، هو لنزع الحياء، لنزع جلباب الحياء، من المسلم، ومن المسلمة، لأنه كما يقال: (**كثرة المَساس تَذهب الإحساس**)، فكلما خالط الرجال النساءَ والنساء الرجال، وخالط المؤمن الفُسَّاق تجد قلة الحياء، بعد ذلك منتشرة، لا مراقبة لله عَزَّوَجَلَّ، ولا خجل من الناس، فعلىٰ الإنسان أن يُغلِق باب الفتن علىٰ نفسه، فلا

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٦٩).

يسارع إلىٰ اختلاط، ولا يسارع إلىٰ تقليد الكفار، ولا يسارع إلىٰ مجالسة المبطلين، فكل ذلك مما يُنْتَزَع به الحياء من القلب ويضعف شيئًا، فشيئًا، حتىٰ يُصبِح الإنسان مجاهرًا، نسأل الله السلامة، ونسأل الله العافية.

- فهذا حديثٌ صغير المبنىٰ، عظيم المعنىٰ ؛ حوىٰ دررًا من كلام النبوة الأولىٰ، ونقله لنا النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فصار من كلام النبوة الأخرىٰ، وصار من وحي الله عَزَّوَجَلَّ، والحمد لله رب العالمين.

الحديث الحادي والعشرون

«قُلْ لِيْ فِي الإِسْلامِ قَوْلاً..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ أَبِيْ عَمْرٍو، وَقِيْلَ، أَبِيْ عمْرَةَ سُفْيَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ قُلْ لِيْ فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ؟ قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثُمَّ استَقِمْ»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (عَنِ أَبِيْ عَمْرٍو، وَقِيْلَ، أَبِيْ عمْرَةَ سُفْيَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ): قِيلَ أبي عَمْرو، وَقِيلَ: أبي عَمْرَةَ الثّقَفيِّ، ولاه عُمَر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ الطائف وله هذا الحديث في "مسلم" وروىٰ عن النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير هذا الحديث.

قوله: (يَا رَسُوْلَ اللهِ): هذا من أدبهم مع النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ لم يكنوا ينادونه باسمه، ومن ثبت عنه أنه ناداه (يا محمد) فإما أن يكون من الأعراب الذين كانوا حديث عهدٍ بإسلامٍ، وإما أن يكونوا من المنافقين، أما أصحاب النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنما ينادونه، (يا رسول الله) ربما قال بعضهم: (يا أبا القاسم) وهذا نادر فإن رجلًا من الأنصار نادىٰ رجُلًا آخر فقال: يا أبا القاسم،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٨)، وجاء عند أحمد حديث رقم: (١٥٤١٦).

فالتفت النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لم أعنك وإنما عنيتُ فلانًا، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسَمَّوْا باسْمِي، ولا تَكَنَّوا بِكُنْيَتِي»(١).

وقد ناداه الله عَزَّوَجَلَّ نبيه بقوله: (يَا أَيُهَا النَّبِيُّ) و(يَا أَيُّهَا الرَّسُول) وبعض المفسرين حين يفسر مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص:١]، فيقول: قُلْ يا محمد، وانتفذ عليهم ذلك؛ فإنه لم يرد في القرآن ولا في السنة نداء النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمُحَمَّد.

وفي الحديث: أن من جهل شيئًا سأل العالم حتىٰ يفيده ويوجهه إلىٰ الخير، قد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾[النحل:٤٣]، وإن كان يعلم شيئًا من الدين فيسأل من هو أعلم منه لعله أن يُدَل إلىٰ خيرٍ قد نَسِيَهُ أو لم يعلمه، وفوق كل ذي علمٍ عليم، ولا أحد يقول أحَطتُ بالعلم وذُكِرَ الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي أنه، اجتمع الطبراني سُلَيمَان بن أيوب مع أبي بكر الجعابي فتفاضل أنه قد حوىٰ كذا وكذا من العلم، وكأنه يتحدىٰ أن يُحَدِث الطبراني، بحديث ليس عنده، فقال له الطبراني: هل حويت العلم كله؟، قال: لا، قال: نصفه؟، قال: لعلي، قال: عندي حديث من النصف الذي ليس عندك، ثم قال: حدثني بحديثٍ ليس عندي، فقال: حدثني أبو خليفة قال حدثنا سُلَيمَان بن أيوب وذكر الحديث، فقال: أنا سُلَيمَان بن أيوب فخذ الحديث من

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢١٣٤).

طريقي بعلوا، قال: ابن العميد فوددت في مكاني الوزارة والرئاسة لم تكن لي وكنت الطبراني وقديمًا قيل: وفي القول المأثور: (**لَا يَنْبُل الرَجُلُ حَتَّىٰ يَأخُذْ مِمَّنْ فَوْقَهُ ومِمَّنْ هُوَ مِثْلَهُ ومِمَّنْ هُوَ دُونَه**)، قد عتب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ موسىٰ عليه السلام، حين سُئِلَ وهو في ملأ من بني إسرائيل، هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال: لا، قال: فعَتِبَ الله عليه وقال: بلىٰ عبدنا خَضِرا، فقال: يا رب كيف السبيل إلىٰ لُقِّيه؟ فكان ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الكهف.

- وجاء الحديث في الصحيح عن أُبَيّ ابن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذِكْر الحديث بطوله.

وفي الحديث: حرص الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ السؤال عن العلم، وما يكون سببًا في صلاح حالهم ومآلهم، وما سبقوا إلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بجمال وجهٍ ولا بعظيم نسبٍ، ولا بكثرة مالٍ ولكن لِمَا علم الله عَزَّوَجَلَّ في قلوبهم من محبة الخير والدين، والعلم والمتأمل للأحاديث التي فيها سؤال النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يجد أنهم ما سألوه عن الدنيا وإنما سؤالهم عن الدين ومن أمثلة ذلك. (مَنْ أَفْضَل النَّاس؟)، (ومَا أَفْضَل الأعْمَال؟)، (ودُلَنِي علىٰ عَمَل إذا عملته دخلت الجنة)، (وكثرة علي شرائع الإسلام فدُلَنِي علىٰ عمل فأوصاه بذكر الله).

وفي الحديث: حرص الطالب علىٰ أن يتعلم ما يفيده وأكثر بعض الكتب كبيرة الحجم، وغيرها أصغر منها حجمًا لكنه أعظم فائدة، وهذا الصحابي

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يسأل عن الإسلام العظيم، الذي دعا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة وعشرين سنة ويطلب من النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأتيه بجامعٍ يعمل به، فقال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ استَقِمْ»(١)، وليس المراد أن يقول بلسانه: (آمَنْتُ بِاللّهِ)، فإن القول يُطلَق علىٰ الفعل، وكم من الأحاديث التي فيها: (وقال بيده هكذا).

- ومنه: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»(٢)، بل إن للقلب قولًا كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، أن الإيمان قول وعمل، قول القلب، واللسان، وعمل القلب الجوارح.

قوله: («آمَنْتُ بِاللهِ»): يدخل فيه الإيمان بربوبيته والوهيته، وبأسمائه وصفاته ويدخل الإيمان فيه بشرعه وقدره، فهي كلمة جامعة والإيمان بالله أفضل الأعمال كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وغَيرُهِ سُئِلَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»(٣).

وهو أحد أركان الإيمان الستة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [سورة البقرة:١٣٦]، وقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٨)، وجاء عند أحمد حديث رقم: (١٥٤١٦) .

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٩٠٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٥١٩)، ومسلم حديث رقم: (٨٣).

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥]، وقال: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء:١٣٦].

وقد تقدم معنا الكلام علىٰ الإيمان بالله عند حديث جبريل عليه السلام.

قوله: («ثُمَّ اسْتَقِمْ»): أي: استقم علىٰ القول والفعل الذي علمته واستيقنته وهذا الحديث مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١﴾ [فصلت:٣٠-٣١]، وقال الله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾ [سورة فصلت:٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ [سورة الشورىٰ:١٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ [سورة هود:١١٢].

وقد قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأصحابه: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»[1].

وعن حُذَيْفَةَ - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ-، عِنْدَ الْبُخَارِيّ قَال: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا ، فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلالًا بَعِيدًا»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٢٧٧) وأحمد حديث رقم: (٢٢٣٧٨) عن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

فالاستقامة هي السير علىٰ الصراط المستقيم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ولهذا قال الله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [سورة الفاتحة:٦]، قال الله: عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣].

فالاستقامة ضد الاعوجاج فمن استقام علىٰ دين الله وعلىٰ شرعه استقام علىٰ صراطه، الذي جعله علىٰ متن جهنم فالاستقامة علىٰ الطريق المعنوي سببٌ للاستقامة والسلامة علىٰ الطريق الحسي وقد فسر بعضهم الاستقامة في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[فصلت:٣٠]، لم يشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ وهذا تفسير الشيء ببعضه وإلا فإن الاستقامة أعم فيدخل فيها المحافظة علىٰ التوحيد والصلاة وبقية الأعمال الصالحة، وأما حديث أن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»[٢]، قيل: يا رسول الله: مَا شَيَّبَكَ مِنْ هُود؟ قال قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ [سورة الشورىٰ:١٥]، فهو حديثٌ يمثل به أهل العلم للحديث المضطَرِب: أي أنه لم يثبت عن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فقوله: («قل آمَنْتُ بِاللهِ»): أي تَلَفَظ بالشهادتين مع اعتقاد القلب الجازم وما هو في بابها ثم اسْتَقِمْ علىٰ ما قلته، واستمر، فإن كلمة اسْتَقِمْ، فيها دعوة إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبراني في "الكبير" حديث رقم: (٧٩٠)، عن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

الاستمرار حتىٰ تلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، أما إذا أنحرف الإنسان، يمينًا وشمالًا، فلا يُسَمّىٰ مستقيمًا ويقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [سورة فصلت:٦].

- قال أهل العلم: لأن المستقيم قد تطرأ عليه من العوارض، والصوارف، والذنوب ما يحتاج فيها إلىٰ الرجوع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

فيحتاج دائمًا إلىٰ ملازمة الاستغفار، والإكثار من سؤال الله عَزَّوَجَلَّ الثبات علىٰ الاستقامة حتىٰ يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ومن الأدلة علىٰ ذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

- والصوارف عن الاستقامة كثيرة:

- منها: **المجالسة لأهل الأهواء، ولهذا قيل: (من جالس جانَس).**

وفي الحديث قال النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»[(١)].

- ومنها: **اتباع الهوىٰ**: قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [سورة الشورىٰ:١٥].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢١٠١)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٢٨).

- ومنها: **المعاصي**، لا سيما ذنوب الخلوات، نسأل الله السلامة.

- ومنها: **طلب العلم**، فكلما ازداد علم الإنسان يرجىٰ له الخير والثبات لا سيما إذا كان من العاملين بما علموا.

- ومنها: **الطغيان**، كما في الآية المتقدمة: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ فالطاغي يُصرَف عن الاستقامة أ سواءً كان طغيانه علىٰ نفسه أو كان علىٰ غيره، فالطغيان صفة مذمومة وصف الله عَزَّوَجَلَّ بها الإنسان عند الاستغناء: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق:٦-٧]، وفرعون ما قال قولته المشهورة: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [سورة النازعات:٢٤]، إلا عند أن طغىٰ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾[طه:٢٤].

- ومنها: **اتباع المتشابه**، والله عَزَّوَجَلَّ قد حذرنا من ذلك وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران:٧]، وفي حديث عائشة في "الصحيحين": أن النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

- ومنها: **ترك العمل بالعلم**، فإن الإنسان إذا أُقِيمَت عليه الحجة، ثم لم يعمل بها يُخشَىٰ عليه من سلبها قال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن

تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

- ومنها: **الكِبْر**، نسأل الله السلامة: قال تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [سورة الأعراف:١٤٦]، فنعوذ بالله من الْكِبْر.

- **كم رَكَّسَ من أُنَاس**: ذُكِرَ أن أبا جهل إنما منعه من الإسلام الكبر: قَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ: وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَلَكِنْ قَالَتْ بَنُو قُصَيٍّ فِينَا الْحِجَابَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: وَفِينَا اللِّوَاءُ، قُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا النَّدْوَةُ، قُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا السِّقَايَةُ، قُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا، وَأَطْعَمْنَا، حَتَّىٰ إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ، وَاللهِ لا أَفْعَلُ.

- وإبليس منعه من السجود لآدم إلا الْكِبْر قال تعالىٰ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[البقرة:٣٤].

فالإنسان يحتاج إلىٰ أن يتواضع لله عَزَّوَجَلَّ لشرعه حتىٰ لا يُصرَف عن الاستقامة وعن الخير، وأسباب عدم الاستقامة، كثيرة لعلي ذكرت بعضها في كتابي: "الوسائل الجلية لنصرة الدعوة السلفية".

والحمد لله رب العالمين.

الحديث الثاني والعشرون

« أَرَأَيتَ إِذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَاتِ.. »

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "أَرَأَيتَ إِذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضانَ، وَأَحلَلتُ الحَلالَ، وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلى ذَلِكَ شَيئًا أَدخُلُ الجَنَّة؟ قَالَ: «نَعَمْ»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (عَنْ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ): ابن حَرَام قُتِلَ أبوه يوم أُحُد وَكَلَّمَه ربه كفاحًا ليس بينه وبينه تُرجُمَان أ وشهد جابر مع النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشاهد كلها غير بدرٍ وَأُحُد وهو من المكثرين في رواية الأثر، أوصاه أبوه بأخواته فتزوج امرأةً ثيبًا حتىٰ تقوم عليهن، وفضائله كثيرة فهو أَنْصَارِيٌّ، وقد ضَيّف النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وألف وخمسة مائة معه يوم الأحزاب وكان طعامهم يسير فيسر الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك الطعام البركة والخير بفضله ومنته ثم ببركة دعاء النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٨-(١٥).

قوله: (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): هذا يُسمَّىٰ مُبْهَم عند العلماء، لكن الإبهام في المتن أو في الصحابة لا يضر، وإنما الذي يضر الإبهام في السند، فإن كان المُبْهَم في المتن، أو كان المُبْهَم صحابيًا فلا أثر له فإن الصحابة كلهم عدول.

وفي الحديث: ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الرجوع إلىٰ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السؤال عن دينهم وهذا منه امتثال لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل:٤٣]، ومعلوم أن الإنسان جاهل حتىٰ يسأل قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [سورة النحل:٧٨].

قوله: (أَرَأَيتَ): أي: أخبرني يا رسول الله.

قوله: (إِذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَاتِ): أي الصلوات الخمس المفروضات كما تَقَدَّم قال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النساء:١٠٣]

قوله: (وَصُمْتُ رَمَضانَ): أي شهر رمضان، ولم يُذْكَر الحج والزكاة في الحديث فلعلَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَ من حال الرجل أنه ليس أهلًا للحج بحيث أنه لا يستطيع، وليس له قدرة علىٰ دفع الزكاة، أو أنه ذكر المشهورات من العبادات المتكررة.

وفي الحديث: ردٌّ علىٰ من يزعم أنه لا يجوز أن يُسَمَّىٰ رَمَضانَ برَمَضانَ.

قوله: (وَأَحلَلتُ الحَلاَلَ): أي: اعتقدتُ حِلَه وفَعَلْتُهُ؛ لأن الذي يُحِل ويُحَرِّم هو الله ففي حديث أبي سعيد في مسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ بِي تَحْرِيمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لِي، وَلَكِنَّهَا شَجَرَةٌ أَكْرَهُ رِيحَهَا»[1].

قوله: (وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ) أي: اجتنبت الحرام واعتقدتُ حُرْمَته.

قوله: (وَلَمْ أَزِدْ عَلى ذَلِكَ شَيئًا): أي: علم الفرائض شيئًا.

قوله: (أَأَدخُلُ الجَنَّة): أي: هل يكفي في دخولي الجنة: قَالَ: («نَعَمْ»)، وفي رواية لمسلم: (واللهِ لَا أَزِيدُ عَلَىٰ ذَلِك شَيْئًا)، وفِي بعضها: (ولا أَنْقُص).

❁ **وهذا الحديث** ليس من المشكلات علىٰ ما يظن البعض، وهو أن هذا الصحابي إنما يكتفي بما ذكر من الأركان! بل إن بقية الأعمال داخله فيه لقوله: (أَحلَلتُ الحَلاَلَ، وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ)، أو أنه أراد أن لا أزيد في هذه العبادة بعينها أن أكتفي بالصلاة المكتوبة، وأكتفي بالصيام المكتوب، وإلا فإن الصحابة من أكثر الناس مسارعة إلىٰ الخير وامتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [سورة آل عمران:١٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [سورة الحديد:٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[الأنبياء:٩٠].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٦٥).

وقد جاء نحو هذا الحديث عن أبي أيوب وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُول الله: دُلَنِي عَلَىٰ عَمَل إِذَا عَمِلتَه دَخَلْتُ الْجَنَّة قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَة وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَكْتُوبَة»[1].

وَفِي حَدِيث طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، فِي "الْصَحِيحَين": جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّىٰ دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَصِيَامُ رَمَضَانَ». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لاَ أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»[2]، وفي رواية لمسلم: «أَفْلَحَ وَأَبِيه إن صَدَق»، وقد انتقدها بعض أهل العلم وأعلها بالشذوذ، ومن أثبتها زعم أنه فيها تصحيف، والمعنىٰ: (أَفْلَحَ وَاللّه إِنْ صَدَقَ)، **وقال بعضهم**: هناك تقدير محذوف: (**أفلح وربِّ أبيه إن صَدَق**) وأقرب الأقوال كما رجحه ابن عبد البر: أنها زيادة شاذة لا تثبت عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن النَّبِي

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٣٩٧)، ومسلم حديث رقم: (١٤).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٦)، ومسلم حديث رقم: (١١).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهىٰ عن الحلف بالآباء فقال: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»[(١)]، في عدةِ أحاديث.

وقد يُشْكِل علىٰ هذا الأحاديث ما روي عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه سُئل عن الذي لا يصلي الوتر فقال: رَجُل سوء، لعله والله أعلم أراد أن هذا مُقَصِر فيما ينبغي له ذلك؛ فإن الوتر ركعة تنفعه عند الله عَزَّوَجَلَّ، والذي يبخل علىٰ نفسه كأنه أساء الفعل والعمل.

- **وهذا الحديث** ليس فيه الاكتفاء بهذه الأعمال فقط، فإن الله قد فرض فرائض، وحد حدودًا، وشَرَع شرائع، وسن سُنَنا، إلا أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلم الناس علىٰ قدر الحاجة التي يسألون عنها، وعلىٰ قدر حال السائل؛ وإلا فقد قال الْزُهْرِي لمَّا روىٰ الحديث: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ» **قال**: (ثُمَّ فرض الله فرائض، فلا يغتر مُغتَر، وهكذا قِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَلَيْسَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَىٰ وَلَكِنْ مَامِنْ مِفْتَاحٌ إِلاَّ لَهُ أَسْنَانٌ فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ وَإِلاَّ لَمْ يُفْتَحْ لَكَ).

- **وقال بعضهم**: كان هذا قبل نزول الفرائض لكن هذا يُستَبعَد لأن صيام رمضان كان بعد فرض الزكاة، وأحسن من ذلك أن يقال هذا محمول علىٰ أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِم من حال الرجل أنه ليس لديه مال للزكاة فعلمه ما يجب عليه في ذلك الحين وفي الحديث رجاء عظيم، وأن الإنسان إذا التزم الحلال،

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٨٣٦، ٦٦٤٨، ٧٤٠١)، ومسلم حديث رقم: (١٦٤٦).

واجتنب الحرام يُرْجَىٰ له دخول الجنة، التي أعدها الله عَزَّوَجَلَّ للمتقين وأن الأعمال جعلها الله سببًا لدخول الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الزخرف:٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الحاقة:٢٤].

وأما حديث عبدالله بن مسعود أن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ»[1]، فإن المنفي هنا العوض: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النحل:٣٢]، فمهما عَمِلَ العامل فهو عاجزٌ عن الوصول إلىٰ أكمل الوجوه وعنده من التقصير ما يحول بينه وبين الوصول إلىٰ الكمال، والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ لما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع اجتهاده في العبادة كان يقول: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[2].

فكيف بنا نحن الذين تتعاطىٰ قلوبنا المعاصي، من سوء الظن، والحسد، والبُغْض والغل والحقد هذه الأمراض الفتاكة بالمجتمعات التي تؤدي إلىٰ قسوة القلوب ونزع البركات و ذهاب انشراح الصدور، فإن الإنسان إذا ملأ قلبه بالغل، والحقد، والحسد، والبُغْض للمؤمنين يَضْعُف إيمانه.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٦٧٣)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٠٢)، عن الأغر المزني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالله الله في المحافظة علىٰ القلوب فحالها كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1].

- **والحلال، والحرام**: ما أحله الله، وحرمه الله، أما من زعم أن الحلال هو الطاهر، والحرام هو النَجِّس بهذا القيد، فليس لديه ما يدل علىٰ ذلك، فكم من حرامٍ وليس بنجس.

- وفيه بيان: لسعة رحمة الله عَزَّوَجَلَّ فإن الحلال أكثر من الحرام سواءً كان ذلك في المطعومات، أو الملبوسات أو الأقوال والأفعال فالحلال بابه واسع والأصل ما تقدم من قول الله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾ [سورة الجاثية:١٣].

- والحلال: هو الشيء الذي أذِنَ الله عَزَّوَجَلَّ في استعماله، والحرام: هو ما منع الله عَزَّوَجَلَّ من استعماله، والحلال يتفاوت، والحرام يتفاوت، فالحلال منه الواجب، والمستحب، والمباح، والحرام منه المحرم الذي هو كبيرة من كبائر الذنوب، ومنه ما هو مكروه، ومنه الصغائر، فعلىٰ الإنسان أن يراقب الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الذي أحل الحلال، وهو الذي حرَّم الحرام، فيحاول الإتيان بما أحل الله عَزَّوَجَلَّ له، ويتمتع بنعمة الله عليه ويشكره عليها قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٢)، ومسلم حديث رقم: (١٥٩٩).

لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة إبراهيم:٧]، ويجب عليه اجتناب الحرام، وقد تقدم معنا بيان بعض ذلك في حديث: «الْحَلالَ بَيِّنٌ والْحَرَامَ بَيِّنٌ».

قوله: (أأدخل الجنة) : هي الأرض المغطاة بالأشجار، والجنة جِنَان كما قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[1].

وهكذا الآيات التي في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٤٦ – ٦٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" حديث رقم: (٦١٣).

فالآية مفسرة للحديث ومُبَيِّنَة له والناس يتفاوتون في الجنة على قدر أعمالهم كما قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ»[1].

وهذا التفاوت سببه الإيمان، والعمل الصالح وأعلى الجنة الفردوس، ففي "صحيح البخاري": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[2].

وليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء كما قال ابن عباس، فَإن فيها ما لا عيْنٌ رأَت، ولا أُذُن سَمِعت، ولا خطَر على قلب بشر، ففي "صحيح مسلم" عن الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سُفْيَانُ رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا - أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ - قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً قَالَ هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٧٩٠).

مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً قَالَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». قَالَ وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة:١٧] الآيَةَ[(١)].

قوله: («نَعَمْ»): يعني: إذا فعل ذلك أنه يدخل إن شاء الله الجنة وهذا فيه: زكاة للرجل، وما كان عليه السلف من الوفاء بالعهود، والعقود، ففي مسند أحمد، عن رجل يكنىٰ أبي عبد الله أن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي»[(٢)]، فمازال علىٰ ما أمره النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

- وفي الحديث: عظيم في حِرْص الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ السؤال.
- وفِيه: مسارعة النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ الجواب.
- وفيه: ما عليه النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الرِفْق والبيان .
- وفيه: يسرية الدين علىٰ ما تقدم.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٩).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧٥٩٣).

الحديث الثالث والعشرون

« الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الحَارِثِ بنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الميزانَ، وسُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَو تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَو عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (عَنْ أَبِي مَالِكٍ الحَارِثِ بنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): هو عاصم بن الحارث الأشعري من اليمن من وادي رمع بزبيد، والحديث عند مسلم فيه انقطاع بين أبي سلام وأبي مالك، **والساقط هو**: عبد الرحمن بن غنم عند النسائي فهو حديث ثابت.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٢٣)، وجاء عند الترمذي حديث رقم: (٣٥١٧)، والنسائي حديث رقم: (٢٤٣٧)، وابن ماجه حديث رقم: (٢٨٠)، وأحمد حديث رقم: (٢٢٩٠٢).

❁ **هذا حديثٌ عظيم** تضمن مسائل كثيرة، يحتاج إليها جميع المؤمنين من الجن والإنس، والعرب والعَجَم، فهي متضمنة لما يدل علىٰ طهارة القلوب وعلىٰ زكاة الجوارح و المسارعة إلىٰ الخيرات.

قوله: («الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»): قيل: بأن الطَّهُورُ هنا هو الوضوء وهو شطر الصلاة؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بالوضوء، قال النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»[1].

وقيل: المراد بالطَّهُورُ: طهارة القلب من الشرك، والبدع، وهذا أيضًا من الطهور المحمود قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [سورة المدثر:٤]، والمؤمن لا يَنْجُس كما قال النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهو طاهرٌ في قلبه، طاهرٌ في جوارحه، وطاهرٌ في أعماله، بينما الكافر نَجَس وإن اغتسل لا يطهر قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [سورة التوبة:٢٨]، وطهارة المؤمن بالإيمان، وطهارة المشرك بالشرك والكفر، والإجرام.

ثم قال: («وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»): هذا دليل علىٰ فضل هذه الكلمة العظيمة التي حَمَدَ الله بها نفسه وافتتح بها كتابه، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٩٥٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٢٥)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة:٢]، وحَمَدَ الله نفسه حين خلق السماوات والأرض، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [سورة الأنعام:١]، وحَمَد نفسه حين أنزل الكتاب، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۝١﴾ [سورة الكهف:١]، وحَمَد نفسه مبينًا أنه محمود في السماوات والأرض وفي الآخرة والدنيا، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سورة سبأ:١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة فاطر:١]، فهو المحمود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلسان مقالنا، وبلسان حالنا.

والله عَزَّوَجَلَّ يحب الحمد ولذلك حَمَدَ نفسه وقال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»[1].

يرضىٰ عن المسلم إذا حُمِد علىٰ أكلة أو شربه، فكيف إذا حُمِد علىٰ الإسلام، والإيمان، وحُمِد ه علىٰ النعم التي انعم الله بها عليه في آناء الليل وأطراف النهار، قال تعالىٰ ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٣٤).

نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف:٦٩].

والحمد سبب لمضاعفة النعم قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾﴾ [سورة إبراهيم:٧]، فالحذر من كفران نِعَم الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد قال النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لِمَعشَر النِّسَاءِ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»[1].

قوله: («الميزانَ»): هو الذي توزن فيه أعمال العباد يوم القيامة، وينكره المعتزلة والاباضية وغيرهم من أهل البر وهو الميزان كبير لو وُضِعت في كَفَّتَيه السماوات والأرض لوسعهما فيمتلئ بكلمة الحمد لله، وهذا دليلٌ علىٰ فضل هذه الكلمة العظيمة التي كان يقولها النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ دُبُر الصلاة ثَلَاثًا وثلاثين وأمر بها أن تُقَال قبل النوم ثلاثًا وثلاثين، وكان يحمد الله بعد الأكل وبعد الشرب، وعند النوم، وفي كثير من أحواله.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠٤)، ومسلم حديث رقم: (٧٩)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

قوله: («وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ: تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ») قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الميزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»[(١)].

- **كما هي وصية إبراهيم عليه السلام**: «..وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[(٢)]، وعن جندب بن سمرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»[(٣)].

- **وما أثقل هذه الكلمات في الميزان**، كما في حديث أَبِي سُلْمَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَخٍ بَخٍ لخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ!: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ»[(٤)].

- **وفضائل هذه الكلمات كثيرة**، وهُنَّ من الباقيات الصالحات قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الكهف:٤٦]، وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٠٦، ٦٦٨٢)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٤٦٢)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند أحمد وابن حبان.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢١٣٧).

(٤) أخرجه أحمد حديث رقم: (٥٣١٠٠)، وابن حبان حديث رقم: (٨٣٣).

ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ»[١].

قوله: («وَالصَّلَاةُ نُورٌ»): الصلاة المفروضة، وهكذا النافلة نور للمؤمن يستضيئ بها، ينشرح صدره، وتقر عينه بها، كما قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجُعِلَت قرة عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[٢]، وكان النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محافظًا، وآمِرًا، وداعيًا، إلىٰ الصلاة، لفضلها العظيم، فمن حافظ عليها، كانت له نور وبرهان يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا نجاةٌ ولا برهان.

- **وتاركها كافر كفر أكبر مخرج من الملة**، كقول النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[٣].

- وقد ضَيّعَهَا في هذا الزمان الرجال والنساء والشباب والشابات إلا من رحم الله، فاتقوا الله يا معشر المسلمين وحافظوا علىٰ صلاتكم فإن الله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾ [سورة المعارج:٣٤]، ويقول تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾[المعارج:٢٣]، بينما ذم الذين يضيعونها قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥١٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٩٦٠).

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (٣٩٣٩)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٢١) عن بُريدة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند النسائي وابن ماجه وأحمد وابن حبان.

[سورة الماعون:٤-٥]، أي يصلونها في غير وقتها ولا يؤدونها كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿* فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾ [سورة مريم:٥٩-٦٠].

- **أما من مات علىٰ هذا الفعل القبيح في ترك الصلاة**، أو عدم الصلاة كما صلىٰ النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَيُخشىٰ عليه مِنَ العذاب الأليم، نسأل الله السلامة.

قوله: («وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ»): **الصدقة**: وهي الإنفاق في أوجه الخير برهانٌ علىٰ إيمان العبد رجلٌ كان أو امرأة؛ فإن الأعمال الصالحة لا بد أن تظهر علىٰ المؤمنين، من المسارعة إلىٰ الخيرات وغيرها قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [سورة آل عمران:١٣٣]، فالمسارعة مطلوبة وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ علىٰ الإيمان؛ لأن المال محبوب إلىٰ النفوس، والمؤمن ينفق في أوجه الخير، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ۝٩٢﴾ [سورة آل عمران:٩٢]؛ **لما نزلت هذه الآية**: جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [سورة آل عمران:٩٢]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ

لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ ! قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ وأَبْنَاء عُمُومَتك»[(١)].

وكان السلف يسارعون في الإنفاق في أوجه الخير، ففي كل يوم ينبغي للإنسان أن يتصدق علىٰ أعضائه، سواء الصدقات المالية أو القولية والفعلية، كما قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ " قَالَ: "تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ" قَالَ: "وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[(٢)]. وقال في الحديث الآخر: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»[(٣)].

والصدقة أعظمها الزكاة المفروضة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة التوبة:١٠٣]، فالصلاة سكَنٌ للإنسان، والصدقة زكاة للأموال كما هي زكاة القلوب والأفعال، وفي الحديث عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٧٥٨، ٢٧٦٩)، ومسلم حديث رقم: (٩٩٨).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٩٨٩)، ومسلم حديث رقم: (١٠٠٩).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٠٦)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ يُعِفُّهُمْ أَوْ يَنْفَعُهُمُ اللهُ بِهِ وَيُغْنِيهِمْ[1].

قوله: («وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»): الصبر هو حبس النفس عن التسخط والتشكي والصبر يُستضاء به لاسيما مع شدة الفتن.

فيحتاج الإنسان: أن يتصبَّر في جميع أموره، صبرٌ على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [سورة آل عمران:٢٠٠].

- **ويحتاج صبرٌ عن معصية الله** عَزَّوَجَلَّ، فيبتعد عن الحرام، من كذبٍ وفُجُورٍ، وزنا، وشرب خمر، وغير ذلك من الكبائر، والصغار، ويُصَبِّر نفسه عن ذلك، لما يعلم من خطر الشرور والآثام على الإنسان في الدنيا والآخرة.

- **وصبر على أقدار الله**، قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [سورة الطور:٤٨]، وَقَد قَال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبدِي بحبيبتَيْهِ فَصبرَ عَوّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»[2]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٩٩٤).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٦٥٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»[(١)].

- وقد نهىٰ النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ضرب الخدود، وشق الجيوب، والدعا بالويل، والثبور، ولهذا قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[(٢)]، وهذا يقع في النساء كثيرًا نسأل الله السلامة؛ ولهذا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَقَ، وَمَنْ سَلَقَ، وَمَنْ خَرَقَ»[(٣)]، أي: متسخِطًا علىٰ المصيبة التي نزلت به، وعلىٰ الإنسان أن يتعَزَّىٰ بموت رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي هو أحب الخلق إلىٰ الله، وأفضل الخلق عند الله وأحب لنا من أبناءنا، وبناتنا، وزوجاتنا، ومن كل نفيسٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وانظروا إلىٰ فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا حين مات أبوها، لم يقع منها تَسَخُط، ولم يقع منها ما يقع من النساء الأخريات وإنما قالت: (يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ، مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَىٰ جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ)[(٤)].

قوله: («وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»): أي: كتاب الله الذي أنزله علىٰ محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حجة لك إن عملت به والقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله أنزله الله

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٠٢١)، عن أبي سنان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٢٩٤)، ومسلم حديث رقم: (١٠٣)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٣١٣٠)، عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٤٦٢)، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

هدىً للناس، قال تعالىٰ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾[البقرة:١-٢]، ونزله شفاء قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ۝٨٢﴾ [سورة الإسراء:٨٢]، فمن جعله أمامه قاده إلىٰ الجنة، وكان حجة له عند الله في الأجور العظيمة، فإن من قرأ حرف من القرآن فله عشر حسنات قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ...»[2]، وقال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ»[3].

فإذا علمت شيئًا من العلم فيجب عليك أن تعمل به، حتىٰ لا يكون حجة عليك فقد قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِرِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٩١٠)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨٠٤)، عن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير برقم: (٨٦٥٥) عن عبد الله بن مسعود، وابن حبان حديث رقم: (١٢٤) بنحوه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»[(١)]، فكان جزائهم ما تقدم.

- وأول من يُقضىٰ عليهم يوم القيامة ثلاثة وذكر منهم: «وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[(٢)].

قوله: («كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»): كل الناس الرجال، النساء، والجن، والإنس، يخرج من بيته فمنهم من يبيع نفسه من الله بالأعمال الصالحة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [سورة التوبة:١١١]، وقال سبحانه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٣٤٢١)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٩٠٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿١١٢﴾﴾ [سورة التوبة:١١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة فاطر:٢٩-٣٠]..

وإذا خرج المؤمن لطاعة الله تبعه الْمَلِك برايته، وإذا خرج لمعصية الله تبعه الشيطان براية حتىٰ يرجع فبِع نفسك من الله، وإياك أن تَبِع نفسك من الشيطان بارتكاب المعاصي والسيئات فتخسر في الدنيا والآخرة.

- **والأعمال الصالحة تجارة فيما بين العبد وبين الله** عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٠]، فعلينا أن نأتيَ بالحسنات ونحافظ عليها قبل أن نلقىٰ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحالنا كما قال تعالىٰ : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ [سورة سبأ:٥٤].

- **ومثل هذا الحديث الذي تضمن هذه الجُمَل العظيمة** ينبغي للرجال والنساء أن يحفظوه ويعملوا به ويتقربوا به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لما فيه من الأعمال الصالحة، من: **(المحافظة علىٰ الطهارة، طهارة القلب، واللسان، والجوارح، وطهارة البدن من الأضرار والقاذورات)**.

- **ويحافظون** علىٰ ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من تسبيحٍ، وتحميدٍ، وتكبير، وتهليل وغير ذلك.

- **ويحافظون** علىٰ الصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، التي هي الصلة بين العبد وبين الله.

- **ويحافظون** علىٰ ما أوجب الله عليهم من الزكاة؛ فإن كانت أموالهم لا تبلغ النصاب فيتصدقون مما معهم من الصدقات ولو بشق تمرة، ويتصبرون علىٰ أقدار الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن ذلك من أسباب الأجور ومن أسباب الرضا بما قدر الله عَزَّوَجَلَّ وقضىٰ، والنَّبِي الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مَرَّ علىٰ امرأة وهي تبكي علىٰ ابنٍ لها فقال: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»[1].

- **ومما ينبغي**: أن يتعلموا القرآن والسنة، ويعملوا بها، ويحرصوا علىٰ الدعوة إليها، لأن في ذلك سبب لصلاح الحال والمآل بما أن الإنسان يخرج من بيته في الصباح وكل يوم وهو في شأن من شؤونه فعليه أن يكون محافظًا علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ملتزما بما يؤدي إلىٰ مرضات الله عَزَّوَجَلَّ، مُبْتَعِدًا عن معصية الله عَزَّوَجَلَّ، فإن ذلك سببٌ لشراء الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه، وإذا شرىٰ الله عَزَّوَجَلَّ نفس المؤمن سَلَّمه من شرور الدنيا والآخرة، وحفظه الله من العذاب الأليم، وأدخله الجنة التي أُعِدت للمتقين، بينما إذا استسلم الإنسان للشيطان ضر نفسه

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٢٥٢)، ومسلم حديث رقم: (٩٢٦)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

وأركَسَها كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾[الصافات:٢٧-٣٦]، فانظر إلىٰ حالهم، كيف يردون خبر الله، وخبر رَسُولَه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويستكبرون عن طاعة الله، وطاعة رَسُولَه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، فباعوا أنفسهم إلىٰ الشيطان.

❁ ❁ ❁

الحديث الرابع والعشرون

« يَا عِبَادِيْ إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِيْ.. »

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي ذرٍّ الغِفَارِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يَرْوِيه عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِيْ إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِيْ وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوْا، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُوْنِي أَهْدِكُمْ، يَاعِبَادِيْ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُوْنِيْ أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ تُخْطِئُوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا فَاسْتَغْفِرُوْنِيْ أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوْا ضَرِّيْ فَتَضُرُّوْنِيْ وَلَنْ تَبْلُغُوْا نَفْعِيْ فَتَنْفَعُوْنِيْ، يَاعِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِيْ مُلْكِيْ شَيْئًا، يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِيْ شَيْئًا، يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوْا فِيْ صَعِيْدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوْنِيْ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِيْ إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِيْ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُوْمَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٧٧)، وجاء عند الترمذي حديث رقم: (٣٥١٧)، والنسائي حديث رقم: (٢٤٣٧)، وابن ماجه حديث رقم: (٢٨٠)، وأحمد حديث رقم: (٢٢٩٠٢).

الشَّرْحُ

❁ **هذا حديثٌ عظيم** رواه أبو ذَر وهو جُنْدُب بن جَنَادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه، وهذا النوع من الأحاديث يسمىٰ بالحديث القدسي، لإضافته لله عَزَّوَجَلَّ، واختلف العلماء هل لفظه ومعناه من الله ؟ أم أن المعنىٰ من الله، واللفظ من مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والذي اتُفِقَ عليه أنه ليس بقرآنٍ فلا يجوز أن يُقرأ به في الصلاة، ولا يجوز أن يُضاف إلىٰ المصحف، حتىٰ ولو ثبت سنده وعدلت رجاله، فإن القرآن وقد كُتِبَ بين الدَّفَّتين وأجمع عليه الصحابة، وأحرق عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقية الصحف، ومضىٰ الناس علىٰ هذا المصحف الذي بين أيدينا، حفظه الله عَزَّوَجَلَّ بحفظ الصحابة له كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩].

وهذا الحديث حوىٰ عشر جُمَل في كل جملة ينادي الله عَزَّوَجَلَّ عباده بقوله: يَا عِبَادِي التي تقتضي إضافة التشريف كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [سورة الفرقان:٦٣]، مع أن عبودية الله عَزَّوَجَلَّ منقسمة إلىٰ قسمين:

- عبودية عامة: وهي عبودية القهر، والسلطان، ويشترك فيها المؤمن، والكافر، والبر والفاجر قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [سورة مريم:٩٣].

وعبودية خاصة: وهي المقتضية للحفظ، والكلاءَة، والنصر، والتأييد، وهي عبادة المؤمنين لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأخصها عبودية الله عَزَّوَجَلَّ لمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قال تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [سورة الإسراء:١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾ [سورة الكهف:١].

قوله: («إِنِّي حَرَّمْتُ الْظُلْمَ على نَفْسِي وجعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فلا تَظَالَمُوا»): في هذه الفقرة التحذير من الظلم وقد قال النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]، كما في حديث ابن عمر في "الصحيحين"، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في رواية: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2]، والأحاديث والآيات في التحذير من الظلم كثيرة.

والظلم ينقسم إلى أقسام، وهي:

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٤٧)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٧٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٧٨)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

-النوع الأول: (ظلم الإنسان لنفسه)، وأعظمه الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان:١٣]؛ حيث وهو ظلمٌ لا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يتجاوز عن من جاء ووافى به يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة هود:١٨]، وهذا الظلم شرك أكبر يُخَلِد في النار قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة:٧٢]، ويدخل في عدم المغفرة الشرك الأصغر لعموم أدله عدم مغفرة الشرك إلا إن الشرك الأصغر لا يخلد في النار.

- والنوع الثاني: (ظلم بين العباد)، وهذا خطره عظيم إن لم يقع التحلل في الدنيا قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[(١)].

وفي حديث أبي هريره رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٤٩)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[(١)].

والله عَزَّوَجَلَّ حَرَّم الظلم علىٰ نفسه؛ لكمال عدله فهو المُتَّصِف بكل كمال في ذاته وصفاته ثم إن الْمُلْك ملكه والخلق خلقه، وعَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»[(٢)].

- **بمعنى**: أن العباد عاجزون أن يأتوا بما يوافي النعم التي أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها عليهم فَلَو آخذهم علىٰ التقصير، فكلٌ مقصر إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ»[(٣)]. وفي هذا المعنىٰ يقول الله عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٨١).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٦٩٩)، وأحمد برقم: (٢١٥٨٩)، وجاء عند غيرهما.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٦٧٣)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الكهف:٤٩]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة فصلت:٤٦]، وهذا النوع يسمىٰ بالصفات المنفية وكمالها في إثبات ضدها.

قوله: («وَجعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا»): أي: صبرت الظلم ممنوعًا بين الناس فلا يجوز أن يظلم الإنسان نفسه، أو يظلم غيره، سواءً كان الظلم: بقولٍ أو فعلٍ، بأخذ مالٍ، أو هتك شرف أو غير ذلك من أنواع الظلم ولو ألتزم الناس هذا الأمر الإلهي لسلموا دينًا ودنيا.

قوله: («يا عِبادي كُلُّكُمْ ضالٌّ إلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فاسْتَهدُوني أهْدِكُمْ»): هذه هي الفقرة الثانية التي تضمنها هذا الحديث وفيها بيانٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، أن الناس في جهلٍ بدينهم، يجب عليهم ولا يوفق إلا من وفقه الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة الضحىٰ:٧].

- والهداية أنواع: وأعظمها وأعلاها منزلة هي: (**هداية التوفيق**): وهي التي أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بسؤاله إياها في كل ركعة بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الفاتحة:٦-٧].

وقد كان النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل الله الهدىٰ، ففي حديث ابن مسعود: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»[١]، وأمر الحسن ابن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يسأل ربه الهداية: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»[٢].

وأمر علي ابن أبي طالب أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ الهداية فقال قل: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَسَدِّدْنِي»[٣].

كما في "مسلم" عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **ولكن المعنىٰ في الحديث**: أن الناس في جهلٍ إلا من هداه الله عَزَّوَجَلَّ وعلمه، وقد قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث القدسي الآخر: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»[٤].

- **ومن أنواع الهداية**: **(هداية الدلالة)**، قال تعالىٰ عن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [سورة الشورىٰ:٥٢]، والناس في حاجه إلىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٢١).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٤٦٤).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٢٥)، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٨٦٥)، عن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد تعلقت قلوب الناس بالأسباب الملموسة والمحسوسة ونسوا السبب العظيم، الذي هو موصولٌ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، السبب الذي لا ينقطع في ليل ولا نهار، حتىٰ لقد قال بعضهم:

وَكَمْ لظَلامِ اللّيْـلِ عِنـدَكَ مـن يَـدٍ تُخَبِّـــرُ أنّ المَانَوِيّـــةَ تَكْـــذِبُ

وذلك لأن المانوية يزعمون: أن الظلمة لا تأتي بالخير وإنما يأتي فيها الشر فرد عليهم بقوله: (كم من إنسانٍ يدعو الله عَزَّوَجَلَّ في ليله، فتأتيه الرحمات، الفرج من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ).

قوله: («يا عِبادِي كُلُّكُمْ جائعٌ إلا مَنْ أطْعَمْتُهُ، فاسْتَطْعِمُوني أُطْعِمْكُم»): هذه هي الفقرة الثالثة وفيها بيانٌ من الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ فقر العباد إلىٰ خالقهم ورازقهم فهو الذي يُطْعِم ولا يُطعَم وهو الذي أنعم علىٰ العباد بالأمطار التي بها تزرع الثمار، فيأكل الناس مما يخرج من الأرض، وهكذا تأكل منها الدواب، فيأكل الناس من لحومها، ويشربون من لبنها، وهكذا سخر لهم الأنهار والبحار، فيأكلون منه لحمًا طريا قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

فالملك مُلْكُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا قدرة للعباد، علىٰ جلب نفعٍ، أو دفع ضرٍ إلا إذا أعانهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما أحوجنا أن نلجأ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، في تسخير معايشنا، وتسهيل مشاربنا، وملابسنا، والله عَزَّوَجَلَّ يحب من عباده أن يدعوه، ويرجوه.

قوله: («يا عِبادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إلا مَنْ كَسَوْتُهُ، فاسْتكْسوني أَكسُكُم»): وهي الفقرة الرابعة، **وفي هذا بيانٌ**: أن نعمة الكِسَاء هي أيضًا من الله عَزَّوَجَلَّ فقد خلق الله لنا هذا الكِسَاء الذي نستر به العورات، ونواري به الأجسام من الحر والبرد : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة النحل:٨١]، ففيها نعمة اتقاء الحر والبر وستر العورات.

- ثم أيضًا: فيها جمال، يتَجَمَّل بها الناس هذه الأربعة النداءات من الله عَزَّوَجَلَّ فيها الحث علىٰ أن الإنسان لا يستغني عن الله، لا في سؤال طعامه، ولا شرابه، ولا كسوته، ولا الهداية، وهو أعظم ما يُسأل، لأن بها صلاح الدنيا والدين.

قوله: («يا عِبادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بالليْلِ والنَّهارِ، وأنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فاسْتَغْفِرُوني أَغْفِر لكُمْ»): وهذا إرشادٌ من الله عَزَّوَجَلَّ للطريق الصحيح الذي ينبغي أن يسلُكُهُ العباد لاسيما مع كثرة ذنوبهم ومعاصيهم فَلَو أن الله عَزَّوَجَلَّ

تركهم، وماهم فيه لهَلَكوا وأهلكوا، قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الروم:٤١]، وقال عَزَّوَجَلَّ:﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الشورىٰ:٣٠].

ولكن مع ذلك شرع الله عَزَّوَجَلَّ الاستغفار والإنابة ومن حكمة الله عَزَّوَجَلَّ أن جعل العباد يقعون في المعاصي والسيئات حتىٰ يعودوا إليه، قال النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُم»[1].

الخطأ قد يقع من الإنسان علىٰ أوجه متنوعة فبعضه بالليل وبعضه النهار لا سيما في هذه الأزمان فقد كثرت الدشوش والتلافز وأدوات التواصل الاجتماعي من الواتساب وغير ذلك، فربما تَسمُر أغلب الأمة علىٰ المعاصي إلا من رحم ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد صحَّ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٤٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٥٩).

قوله: («وأنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا»): فيه بيانٌ: لما عليه أهل التصوف، والرفض من الضلال، لا سيما الذين يسألون المغفرة من المقبورين؛ حتىٰ قال بعضهم:

يـــا محمـــد كـــن حبيـــي ... يـــا محمـــد كـــن طبيـــي

وأجـــرني مـــن لهيبـــي ... إن أوزاري ثِقـــال

فيسألون النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ التجاوز عن السيئات والزلات والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر:٥٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران:١٣٥].

قوله: («فاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِر لَكُمْ»): فيه: دليلٌ لِمَا احتج به بعض أهل العلم أن من شروط التوبة أن يتلفظ الإنسان بها ويقول: «أستغفر الله»، وقد جاء بمعنىٰ هذا الحديث حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٥٤٠)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقد كان النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطبق هذه الشعيرة كثيرا فكان إذا انتهىٰ من الصلاة قال: (أستغفر الله) ثَلَاثًا، وأمر الله بالاستغفار بعد الإفاضة من عرفات، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وأمر الله عَزَّوَجَلَّ بالاستغفار بالأسحار فقال : ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة فصلت:٦].

- **والاستغفار هو أُسُّ دعوة الرسل**، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة هود:١-٣]، وكان يُعَد للنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس الواحد : «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، أَكْثَر من مائة مرة[1].

قوله: («يا عِبادِي إِنَّكُمْ لنْ تبْلغُوا ضَرِّي فتَضُرُّوني، ولن تبْلُغُوا نفْعي فتَنْفعُوني»): فيه بيانٌ: أن الله عَزَّوَجَلَّ حين أمرنا بعبادته وطاعته فإنما ذلك لحكمةٍ أرادها وإلا فهو الغني الحميد، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة فاطر:١٥]، ولن يضر العباد إلا أنفسهم

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٥١٦)، وجاء عند الترمذي وابن ماجه.

مهما تمالأوا علىٰ الكفر والعناد ومهما أعرضوا فلن يضروا الله شيئا، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي ينفع، ويضر، وهو الذي يرفع، ويخفض، والعباد عاجزون فقراء إليه.

قوله: («يا عِبادِي لوْ أَنَّ أَوَّلكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ مِنكُمْ ما زادَ ذلك في مُلْكي شَيئًا») فيه بيان: لما تقدم من أن الله عَزَّوَجَلَّ حين افترض علينا الطاعات والقربات إنما افترضها لمصالحنا ولحكمةٍ أرادها، قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت:١-٣]، ومع ذلك لو كان كل الناس منذُ آدم عليه السلام وحتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها علىٰ أَفْجرِ قَلْبِ رجل ما نقص من ملك الله شيء، ولو كانوا جميعا علىٰ أتقىٰ قلب رجل ما زاد في ملك الله شيء؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ له الملك المطلق، والكامل، لا يزيده عبادة العباد ولا ينقصه إعراض العباد، وهذا دالٌ علىٰ ما تضمنته آيات الملك: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٦﴾ [سورة آل عمران:٢٦].

قوله: («يا عِبادِي لوْ أَنَّ أَوَّلكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كانُوا عَلَى أَفْجرِ قَلْبِ وَاحدٍ مِنكُمْ ما نَقَصَ مِنْ مُلْكي شَيئًا») وهذا فيه: تكبيت للكفار وأنهم مهما أعرضوا فإن الله عَزَّوَجَلَّ ذو الملك العظيم، لا يَنْقص ملكه بسبب إعراضهم ولا يستطيعون أن يضروا الله عَزَّوَجَلَّ شيئا كما تقدم.

قوله: («يا عِبادِي لوْ أَنَّ أَوَّلكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ قاموا في صَعِيدٍ، فَسَأَلُوني، فأَعْطَيْتُ كلَّ واحدٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عِنْدِي إلا كما يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»): فيه بيانٌ: لغنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وسعة ملكه وخزائنه، قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ - أَوِ القَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»[1].

فلم ينقص شيء من ملك الله عَزَّوَجَلَّ، فكم يُرزَق العباد من المأكولات، والملبوسات، والمطعومات، والمشروبات، والمركوبات، كم يبنون من العمارات ومع ذلك ما نقص ذلك من ملك الله شيء، لأن الله عَزَّوَجَلَّ له الملك المطلق وهو مالك الملك: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾ [سورة طه:٦]، سبحان الله!، ولو تأملنا هذه النداءات الربانية والآيات القرآنية، لَقُضِيَت حاجاتنا، وَفُرِجَت كُرباتنا، لاسيما إذا لجأنا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بصدق السؤال، وصدق التوسل.

- وانظر إلى قوله هنا: («إلا كما يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»): لأن الناس يأكلون، ويشربون، والمِخيط يخرج بشيء من البَل اليسير ما يؤثر في البحر ولا

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٤١٩)، ومسلم حديث رقم: (٩٩٣)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ينقصه، فهكذا العباد يأكلون ويشربون وينفقون وما نقص ذلك من ملك الله شيء.

قوله: («يا عِبادِي إنَّما هي أعمالكُمْ أُحْصِيها لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاها، فَمَنْ وَجَدَ خيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ»): أي: الذي وفقه الله للعمل الصالح.

قوله: («ومَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلك فَلا يَلومَنَّ إلا نَفْسَهُ»): أي: الذي عَمِلَ السيئات فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد أرسل رسله، وأنزل كتبه لرفع الجهل عن العباد، ودعا العباد إلىٰ طاعته وبيّن لهم طرق مرضاته، فإذا أراد أحدٌ أن يلوم فليلم نفسه، لأنه ما ستجاب لأمر الله ولا لنداء رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الكهف:٢٩].

- وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في معنىٰ هذه الجملة: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الكهف:٤٩]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الإسراء:١٤]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ

أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الحاقة:١٩-٢٦]، الآيات.

وقوله: («أُحْصِيها لَكُمْ»): أي: أحفظها لكم فحَفِظَها الله عَزَّوَجَلَّ وهو علام الغيوب وأمر الكرام الكاتبين أن يسجلوها علىٰ العباد، قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الجاثية:٢٩]، ومع ذلك يوم القيامة يحاجج العبد فيُنكر العبد أنه ما فعل شيء ويُنكِر الصحف التي كتبها الحفظة؛ كما في "صحيح مسلم": من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَضَحِكَ فَقَالَ «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟»، قَالَ قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[1].

- وفيه: بيان لمعتقد أهل السنة والجماعة، أنه لا يجب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لعباده حق إلا بما أوجب هو تفضيلًا ورحمة وهو لا يخلف الميعاد:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٦٩).

مـا للعباد عليه حـــق واجـــب كـلا ولا سـعيًا لديـــه ضائـــعُ

إن عذبـوا فبعـــدله أو نعمـــوا فبفضـله وهـــو الكـريم الواسـعُ

فهو الذي أوجب علىٰ نفسه أن يُكْرِم الطائعين، وأوجب علىٰ نفسه تخليد الكافرين في النار، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ لنا ولكم التوفيق والسداد، والحديث حقه أكثر من هذا بكثير، فقد قال عنه الإمام أحمد، هذا أشرف حديث عند أهل الشام، ولكن هذه العبارات تُغنِي إن شاء الله، **والحمد لله رب العالمين**.

الحديث الخامس والعشرون

«ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بِالأُجورِ»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَيضًا أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالوا للنَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ الله: ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بِالأُجورِ، يُصَلُّوْنَ كَمَا نُصَلِّيْ، وَيَصُوْمُوْنَ كَمَا نَصُوْمُ، وَيَتَصَدَّقُوْنَ بِفُضُوْلِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُوْنَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيْحَةٍ صَدَقَة. وَكُلِّ تَكْبِيْرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيْدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيْلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوْفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِيْ بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»، قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ أَيَأْتِيْ أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِيْ حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[1].

الشَّرْح

وبنحو هذا الحديث جاء حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي الصَحيحين - أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نَعْتِق، فَقَالَ رَسُولَ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٠٦)، وجاء عند أحمد وابن حبان بنحوه.

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ» قَالُوا: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» قَالَ أَبُو صَالِحٍ وَهُوَ أحد رُوَاة الْحَدِيث: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»[1].

❁ **هذا حديثٌ عظيم وفيه**: ما عليه الصحابة رضوان الله عليهم من التنافس في الخيرات، فإنهم كانوا علىٰ درجةٍ عظيمة ومنزلةٍ رفيعة في هذا الباب، حتىٰ لقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**أما لئن فعلت، فأنت سبَّاقًا بالخير**).

وفي مرة من المرات حثَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الصدقة فتسابق الصحابة فتَصَّدق عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنصف ماله فجاء أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتَصَّدق بماله كله، وهذا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يأمره النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفاطمة، قَالَ: «أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا: أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»، قَالَ عَلِيٌّ: مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ الْرَاوِي: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ، قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ[2]، مع ما فيها من الحرب، ومع ما فيها من الكرب.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٣٦٢).

وهكذا حين أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران:٩٢]، بادر أبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتصدق بأحب أمواله إليه وهي بَيْرَحاء، ولما جاء رجلٌ يشكو جاره عند النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نخلةٍ آذَتْهُ فِي جِدَارِه، فقال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعطه إياها بنخلة في الجنة، فأبَىٰ، فقال أبو الدحداح لذلك الرجل: إن لي حَائطًا فهل تعطيني نخلتك بحائطي ؟ قال: نعم فذهب أبو الدحداح إلىٰ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله: إِنِّي ابتعتُ النَّخلة بِحائطي فَهِي لَك يارسول الله ضعْها حيثُ شئتَ، فقال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «كَمْ مِنْ عِذْقٍ - مُذَلَّلٍ - لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ»[1].

وَلَمَّا أرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أنس عند أحمد، إلىٰ رجلٍ من الأنصار: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ»، فَقَالَ: نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ وَنُعْمَ عَيْنِي، قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي»، قَالَ: فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِجُلَيْبِيبٍ»، قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُشَاوِرُ أُمَّهَا فَأَتَىٰ أُمَّهَا فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ابْنَتَكِ، فَقَالَتْ: نِعِمَّ، وَنُعْمَةُ عَيْنِي، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبِيبٍ، فَقَالَتْ: أَجُلَيْبِيبٌ إنية؟ أَجُلَيْبِيبٌ إنية؟ أَجُلَيْبِيبٌ إنية؟ لَا، لَعَمْرُ اللهِ لَا نُزَوِّجُهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّهَا: قَالَتِ الْجَارِيَةُ: مَنْ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٠٨٣٤).

خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا فَقَالَتْ: أَتَرُدُّونَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمْرَهُ؟ ادْفَعُونِي؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْنِي)[1]، فوافقت عليه فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٦].

ومن أبلغ ذلك ما جاء في الصحيح، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن أهل قُبَاء كانوا يصلون الفجر في الركعة الثانية وهم ركوع، فجاء رجلٌ فقال: ألا إن القبلة قد حُوِلَت، فمالوا كما هم إلىٰ الكعبة، وهم ركوع، مسارعة ومسابقة إلىٰ الخيرات، رِجَالهم، ونساءهم، شبابهم وشَابَّتُهم، لم يؤثَر ولَم يُذكَر في كتب السِيَّر ولا كتب التراجم أنه أحدًا من أبناء الصحابة رضوان الله عليهم، كان عاقًّا، أو كان عنده نوع إعراض عن طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بل كلهم في مسابقة إلىٰ الخيرات، فعبد الله ابن عَمْرو كان صَوَّامًا قَوَّمًا وهو صغير السن، وعبد الله بن عُمَر كنا قوَّمًا وهو صغير السن ، ورافع ابن خَدِيْج كان من المنافسين في الغزوات وغير ذلك.

وهكذا ما ذُكِر في شأن معاذ ومُعَوَّذ حين شاركا في الجهاد وبادرا إلىٰ قتل أبي جهلٍ وهذا أمرٌ يُحمَدان عليه لكن أبلغ من هذا الأمر، أن قتلهم لأبي جهل كان غضبًا لله، وغضبًا لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : ففي "صحيح مسلم": عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٩٧٨٤)، عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَىٰ أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّىٰ قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟»، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ»، وَقَضَىٰ بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ[1].

كان حرصهم ومسابقتهم من أجل الجنة كما تقدم معنا.

قوله: («ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ»): **المراد بهم**: أهل الأموال؛ لأن أهل الأموال، لا سيما من كان منهم سَبَّاقًا إلىٰ الخير فأمامه أبواب الخير:

- **ينفق علىٰ المساكين.**
- **ويُنْشِئ المشاريع.**
- **ويطعم المحتاجين.**

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٧٥٢).

- ويكفل الأرامل.

- ويحفر الآبار.

- ويبني المساجد.

- وينفق في أوجه الخير في البذل؛ حتىٰ أنه يؤجر علىٰ ما ينفق علىٰ نفسه، وعلىٰ أهله، وعلىٰ ولده، ولعل بعض ذلك يأتي في أحاديثٍ أُخَر وهذا هو المال النافع في حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمْرُو، نِعْمَا بِالْمَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»[1].

وكما قيل:

أَنْـــتَ لِلْمَـــال إذا أمســـكْتَهُ وَإِذَا أنفقتـــه فَالمـــال لـــك

وانظر إلىٰ حال السلف رضوان الله عليهم كان تُجَّارهُم وأغنياؤهم من المسارعين والسَبَّاقين في الخيرات.

وانظر إلىٰ هذا الزمان المتأخر تجد أن التُجَّار والأغنياء والملوك والأمراء إلا ما رحم ربي هم أبعد الناس عن الخير بل ربما تجد بعضهم ينفق أمواله في الحفلات المَاجنة، والرحلات الفاسقة، ولا ينفق في طباعة مصحف أو شراء كتاب، أو حفر بئر، بينما السلف رضوان الله عليهم كان أُمراءهم هم أئمَتُهُم،

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧٧٦٣).

الذين يخطبون، ويُصَلُّون بهم، ويَفْتُونهم، وكان أغنياؤهم هم السبّاقون لكل خير وَبِر.

قوله: («يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي»): يصلون هذا أمر يشترك به جميع أهل الإسلام: الأغنياء، والفقراء، والرجال، والنساء، فلا يُعْذَر أحد في تركه، إلا من عذره الله عَزَّوَجَلَّ، علىٰ ما تقدم كالحائض، والنُفَساء، وأما البقية فيجب عليهم إلا المسافر تُقْصَر في حقه الصلاة، والمريض رُخِّص له أن يصلي علىٰ الهيئة التي يستطيع: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[1].

قوله: («وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ»): والصوم أيضًا ركن من أركان الإسلام الخمسة، ويجب صيامه علىٰ جميع المكلفين إلا الحائض والنفساء، ومن كان مسافرًا، أو مريضًا، فقدر رُخِّصَ له في الفطر، ثم يقضي من أيامٍ أُخَر، فإن مات وعليه صوم صام عنه وليه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

قوله: («وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ»): هذا هو الفارق بين فقراء المسلمين وأغنياؤهم، فينبغي لجميع أن يكونوا سباقين إلىٰ الخيرات، مسارعون إلىٰ مرضات الله عَزَّوَجَلَّ، إلا أن أهل الأموال قد تكون لهم مزية أخرىٰ، وفضل آخر وهو أنهم: يَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١١١٧)، عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: («وَفُضُولِ الأَمْوَالِ») لها أبواب كثيرة كما في الحديث الذي قُرِئَ سابقا يَتَصَدَّقُونَ، وَيُعْتِقُونَ، وربما في هذا الزمان يَحُجُّونَ، ويَعْتَمِرُون، وربما بنوا المَدَارِس والمسَاجِد وحفروا الآبار، وأجروا الأنهار وغير ذلك من أوجه الخير.

قوله: («أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ بِهِ؟») أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ قد فتح أبوابًا للخير يشترك فيها الأغنياء، والفقراء، ويشترك فيها الرجال والنساء، ولا يُحْرَم منها إلا من حَرَمَ نفسه باتباع هواه أو بتسلط الشيطان عليه، أو بتسلط الغفلة والقسوة علىٰ قلبه.

- وفيه: أن باب الصدقات أوسع من إنفاق الذهب والوَرِق، فالصدقات بابها عظيم:

- منها: الصدقات القولية.

- ومنها: الفعلية.

- ومنها: التركية.

- ومنها: الهمية.

- فمن الفعلية: قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ»[1].

- ومن الهمية: قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةٍ» وَذَكَر مِنْهُم: «رَجُل لَيْسَ لَهُ مَال فقَالُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٠٩)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

- والفعلية: هي البذل .

- والتركية: كما قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»(٢).

وأجمع ذلك ما جاء من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله عند البخاري وَحُذَيفَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»(٣).

فكل من ألفاظ العموم للمعروف ما وافق الكتاب والسنة، وأفضل الصدقات صدقة الرجل علىٰ نفسه أهله، صاحبه في سبيل الله.

قوله: («إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً»): تقول: (سُبْحَان الله)، أو (سُبْحَان الله وبِحَمْدِه)، أو (سُبْحَان الله الْعَظِيم)، أو (سُبْحَانك وَبِحَمْدِك لا إِلَهَ إلا أنتَ)؛ لكن أقَلُه (سُبْحَان الله)، كلها صدقات يتقرب بها العبد إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: («وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً»): أقلها: (الله أَكْبَر)، أو تقول: (الله أَكْبَر كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لله كَثِيرًا)، وغير ذلك مما هو في بابه.

قوله: («وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً»): كأ، تقول: (الْحَمْدُ لله)، أو (الْحَمْدُ لله رَبِّ العالمين)، أو (الْحَمْدُ لله حمدًا كَثِيرا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه كَمَا يحب ربنا ويرضا)، أو

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٢٥)، عن أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند أحمد.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٥١٨)، ومسلم حديث رقم: (٨٤)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٢١)، وجاء عند الترمذي وأحمد، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(الْحَمْدُ لِله غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ وَلَا مُسْتَغْنِي عَنْهُ رَبُّنَا)، أو (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا، وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَىٰ مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَىٰ مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَىٰ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَىٰ، وَفَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ)؛ صِيَغ كثيرة جاءت عَنْ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا»[1].

- **لكن أدناها: (الْحَمْدُ لِلَّهِ)**، و(الألف) في الحمد للاستغراق، كل المحامد ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، وكثيرًا ما يجمع الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بين التسبيح والتحميد؛ لأن التسبيح تنزيه، والتحميد إثبات، ولأن التسبيح يتضمن تنزيه الله عن جميع النقائص ويستلزم إثبات جميع المحامد، والتحميد يتضمن إثبات جميع المحامد، ويستلزم نفي جميع النقائص.

قوله: («وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ»): كقولك: (**لا إِلَه إلا الله**)، وهي أفضل ذكر كما صح عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **ولها صور غير هذه:**

- **منها:** حديث ابن عباس في "الصحيحين": «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»[2]، هذه تُقَال عند الكرب ومع ذلك تهليل.

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٣٨٥١)، عن أبي أيوب الأنصاري، وجاء عند ابن حبان.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٣٤٦)، ومسلم حديث رقم: (٢٧٣٠).

- ومنها: حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ؛ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1]، وهذه تُقال في الصباح وفي غير ذلك من الأوقات.

- ومنها: قوله: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ»[2]، وهذه تُقال علىٰ الصفا والمروة ويجوز أن تُقال في غير ذلك.

- ومنها: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»[3]، **ومن إخلاصها**: أن الإنسان يستطيع أن يتكلم بها، بدون رؤية أحد له، لأنه لا يحتاج إلىٰ تحريك الشفتين ومثلها كلمة إن شاء الله.

قوله: («وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ») **وهذا بابه واسع**، فمن الأمر بالمعروف:

- **الأمر بالصلاة.**
- **والأمر بالصدقة.**
- **والأمر بالصيام.**
- **والأمر بالعلم.**
- **وبقراءة القرآن.**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٧٩٧)، ومسلم حديث رقم: (١٣٤٤).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٢١٨).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٥٠٥).

- **وبر الوالدين.**

- **وبالإحسان إلىٰ الجيران.**

فالمعروف: كل ما أحبه الله وأمر به.

قوله: («وَنَهْيٌ عَنْ مُنكَرٍ صَدَقَةٌ»): وأفعال الناس بين المعروف والمنكر، إلا ما كان من أمر المباحات، المؤمن قد يتخذها حسنات فمن رأيته يحتاج إلىٰ أمر بالخير مره وحُثَه عليه، ومن رأيته يتعاطىٰ المنكر انهَهُ عن ذلك فتؤجر في الأمر بالمعروف، وتؤجر علىٰ النهي عن المنكر.

لكن لا بد أن الإنسان يعرف المعروف فيأمر به، ويعرف المنكر فينهىٰ عنه، فلا يأمر بالجهل، وربما يظن الأمر منكرًا وليس بمنكر، فلا بد من معرفة المعروف والمنكر وذلك بالعلم ثم ينظر إلىٰ ضوابط التغيير:

- هل إنكاره سيؤدي إلىٰ إزالة المنكر؟ **فهذا يجب الإنكار.**

- هل إنكاره يؤدي إلىٰ إزالة المنكر واستبداله بأخف منه؟ **هذا لا بأس به.**

- هل إنكاره سيؤدي إلىٰ حصول منكر مثل ذلك المنكر؟ **هذا لا فائدة فيه.**

- هل إنكاره سيؤدي إلىٰ أعظم من المنكر؟ **هذا حرام لا يجوز.**

قوله: («وَفِي بِضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»): وهذا أيضًا من الأمر الذي يستطيعه كل إنسان قد رزقه الله أهلًا، وكذلك يستطيعه حتىٰ العُزَّاب، والعازب بصيانة نفسه عن الحرام، والمتزوج بإعفاف نفسه وزوجه عن الحرم.

وهذا أمر يحتاجه الناس جِبِلِّيًّا ومع ذلك أكرمهم الله بأن يجازيهم عليه بالأجر.

قوله: (أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟): فيه: سؤال العالم إذا أشكل أمرٌ مما يُسْمَع وَيُقَال، وفيه: أنهم ظنوا أن المباحات ليس فيها أجور؛ لأن هذا أمر مباح قال تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢٣].

قوله: («أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ»): أي: أخبروني لو وضعها في الحرام وهو الزنا، أو اللواط، أو العادة السرية، فهل يأثم؟ فكذلك من حفظ نفسه يؤجر.

- فهذا دليلٌ: علىٰ أهمية حفظ الإنسان لنفسه، وأهله، وحرص الإنسان علىٰ ما أحل الله له، والبعد عن ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

- وفي هذا الحديث: بيانٌ لفضل الله عَزَّوَجَلَّ الواسع إذ لم يُضَيّق علىٰ العباد، بحيث جُعِلَت الصدقات فقط في بابٍ واحد، إذ لو كان هذا الأمر لاشتد علىٰ الناس الأمر لأمور الأول عند قلة المال، وعَوْزه.

- الثاني: أن المال محبوب إلىٰ النفوس قد لا يستطيع أن يتصدق وينفق إلا من جاهد نفسه.

- الثالث: أن ليس كل أحد يستطيع أن يبذل المال في كل وقت، أما هذه الأمور: الصدقات التي شرعها الله في كل وقت، إنفاق، وذِكر، وأمر، ونهي،

فيستطيع الإنسان أن يستوعب يومه، وليلته بالصدقات، وسيأتي معنا حديث:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»[(١)].

أو حديث عائشة قَالَت: قَال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمِدَهُ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِهِمْ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِ مِائَةٍ، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ»[(٢)].

فالحمد لله الذي مَنَّ علينا بهذا الخير العظيم، وهدانا له ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا علىٰ ذكره، وشكره، والحمد لله رب العالمين.

الحديث السادس والعشرون

«كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٢٠).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٠٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فِيْهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِيْنُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَو تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيْهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيْطُ الأَذى عَنِ الطَّرِيْقِ صَدَقَةٌ»[1].

رَوَاهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِم.

الشَّرْحُ

❁ **هذا حديثٌ عظيم** وفي معناه: ما أخرجه مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمِدَ اللَّهَ وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِ مِائَةِ السُّلَامَى فَإِنَّهُ يَمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ»[2]، وفي بعض الألفاظ: «وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»[3].

- **وهذا من فضل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الإنسان**: أنه إذا عجز عن الإكثار من الطاعات فقد جعل له جوامع تقضي له ذلك الأمر، ومن ذلك ما جاء عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٩٨٩)، ومسلم حديث رقم: (١٠٠٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٠٧).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٢٠).

مِنْ شَوَّال كَانَ كَصِيَامِ الْدَّهْر»[(١)]، وقَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صِيَامُ الدَّهْرِ»[(٢)].

قوله: («كُلُّ سُلامَى»): والسُلامىٰ: مفاصل الإنسان، حيث خُلِقَ علىٰ سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ وهذا من دلائل نبوة النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأنه في ذلك الوقت لم يكن ثمة علم تشريح أو الأشعة سينية التي تُظْهِر جسم الإنسان ومع ذلك يُخبِر النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أن الإنسان خُلِق علىٰ هذا العدد مِنَ المفاصل، وفيه أن الإنسان عليه أن يتصدق عن نفسه شكرًا لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذه النعمة العظيم الجليلة حيث خلقه فسواه معد له، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [سورة الانفطار:٧-٨].

- وفيه: أن هذه الصدقات ميسورة؛ لأنه لو قيل علىٰ كل إنسان صدقة ولو ريال، لشَّقَ ذلك علىٰ الأغنياء فضلًا عن الفقراء، لكن جعل الله عَزَّوَجَلَّ الصدقات في متناول الجميع، إما قولًا وإما فعلًا، وإما تركًا ففي حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسل حديث رقم: (١١٦٤).

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (٢٤٢٠)، عن جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٥١٨)، ومسلم حديث رقم: (٨٤)، عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

- وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[١].

- وفيه: فضيلة المداومة علىٰ العمل الصالح من قوله: (كُلُّ يَومٍ)، والنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»[٢]، وكان النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمله دِيمَة فكان إذا عَمِلَ عَمَلًا أثبته.

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ)[٣].

- وفيه: فضيلة الأذكار في أول النهار مع أن فيها فضل في جميع النهار، إلا أن الإنسان ينبغي أن يفتتح يومه بذكر الله، وقراءة القرآن، والصلاة وغير ذلك ، ثم إن أول النهار أبرك من آخره، فقد قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما فِي حَديث صخر ابن وَادِعة : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»[٤].

وكما في حديث جابر بن سمرة قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٠، ٦٤٨٤)، ومسلم حديث رقم: (٤٠)، عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٦٤)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٣).

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٢١٢) عن صخر الغامدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند أبي داود وابن ماجه وأحمد.

(٥) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٠٨٤٥).

ومن هذا الباب ما جاء في الحث علىٰ أذكار الصباح والمساء.

قوله: («تَعْدِلُ بَيْنَ الإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ») بمعنىٰ تصلح بينهما بالعدل ومن أعظم أنواع الصدقات أن يصلح بين المسلمين قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [سورة النساء:١٢٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء:١١٤]، وقد أخر النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صلاة العصر من أجل الإصلاح بين المسلمين، حين وقع بين بني عمرو بن عوف ما وقع كما في "الصحيحين"[1] عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

- **وذلك لأن** فساد ذات البين بين المسلمين شرها مستطير وتؤدي إلىٰ مفاسد كثيرة منها:

- **الغيبة.**
- **والنميمة.**
- **والكذب.**
- **والحسد.**
- **والغل.**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٨٤)، ومسلم حديث رقم: (٤٢١).

- والحقد .

- وإلىٰ التنافر والتهاجر.

- والتقاطع والتدابر ، وغير ذلك من المفاسد.

- وهي من أعظم أسباب ضعف وتسلط الشيطان عليهم، فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[1].

- ويكون الصلح بين الناس بثلاث مراحل:

الأولى: (العفو والصفح)، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ [سورة البقرة:١٠٩]، وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ فِيهِ قِصَاصٌ إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ»[2].

الثانية: (الإصلاح بينهم)، بحيث يتنازل أحد الغرماء عن شيءٍ من حقه والآخر مثله، ويتم جمع الكلمة حتىٰ لا تتوسع القضية وتطول.

الثالثة: (إذا لم يقع القبول بهذا ولا بذاك) يحكم بينهم بالحكم الشرعي، الذي يقوم علىٰ المُشاحَّة بحيث أن كل واحد يأخذ حقه الذي هو له.

- وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالصلح حتىٰ بين الأزواج، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٨١٢).

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (٤٧٤٨).

﴿إِصۡلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ [سورة النساء:٣٥]، وهذا الإصلاح الذي يقوم به الإنسان ابتغاء وجه الله يُعتَبر من الصدقات العظيمات.

فكم من صُلْح تُكَف وتُحقَن به الدماء، وتُصان به الأعراض، وتُحفَظ به الأموال؛ لأن الناس إذا وقع بينهم الشحناء والبغضاء، تداعت الشرور والآثام.

قوله: («وَتُعِيْنُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا»): وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[1].

ويكون حمله علىٰ دابته، إما أنه يريد أن يركب عليها وما استطاع فتمسكها له حتىٰ يصعد وإما أنه يريد أن يحمل عليها المتاع فتعينه حتىٰ يُحَمِّل إما بحمل المتاع معه، أو بمسكها حتىٰ يرفع عليها المتاع، وإذا شردت تعينه في قبضها وردها إليه، وهذا يعم الإعانة في السيارات، والقاطرات، وغير ذلك من انواع المركوبات فالناس فقد تتعطل السيارة فيحتاج إلىٰ من يقف ويعينه إما بدفع وإما بتقريب البطارية إن كان العطل منها، وإما بإعطاءه البترول أو غير ذلك مما يحتاجه الناس.

قوله: («وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»): وأفضلها قول لا إله إلا الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤﴾ [سورة إبراهيم:٢٤].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩٩).

قوله: («وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ») هنا: كلمة الإخلاص والشجرة الطيبة: شجرة النخلة وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ أنواع منها:

- قراءة القرآن.
- وذكر الله.
- وبذل العلم.
- والنصيحة.
- والأمر بالمعروف.
- والنهي عن المنكر .
- وتأنيس المكروب.
- وتعزية المُصَاب.
- ورد السلام.
- والمفروض أن يُبْذَل السلام للعَالَم، قال عَمَّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ثَلَاثٌ مَنِ اسْتَكْمَلَهُنَّ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ بِهِنَّ الْإِيمَانَ: إِنْصَافٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ).

وقد تقدم معنا في حديث أبي ذر ما يتعلق ببعض الأذكار التي ذكر النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها من الصدقات وتقدم معنا حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ

تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»[١].

وهكذا حديث أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»، قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ»[٢].

قوله: («وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ»): ولهذا رَّغب النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السكنة في المكان البعيد من المسجد فقد قال لبَنِي سَلِمةَ: «يَا بَنِي سَلَمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»[٣]، أي: الزموا دياركم تكتب آثاركم، وَقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِكُلِّ خُطْوَةٍ تَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ»[٤].

- وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٠٦)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٣٧٧).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٦٦٥)، وجاء عند أحمد وغيره.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٨٩١).

(٥) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٧).

- **بل أعظم من ذلك**: أنه إذا رجع إلىٰ بيته كما في حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ رَجُلًا قِيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَىٰ جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَىٰ أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ»[1].

فالإنسان يؤجر في مجيئه إلىٰ المسجد رجوعه إلىٰ بيته مادام الذي حمله علىٰ المجيئ والرجوع هو أداء فريضة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: («وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيْقِ صَدَقَةٌ») بل من أعظم الصدقات، فإن الله عَزَّوَجَلَّ شكرَ رجُلًا حيث أزال شوكًا من طريق الناس وأدخله به الجنة كما في حديث أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»[2].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلاَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»[3].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٦٦٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥٣)، ومسلم حديث رقم: (١٩١٤).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٦٦)، ومسلم حديث رقم: (٢٢٤٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا»[(١)]، (بِمُوقِهَا): أي حذائها.

- **وأدنىٰ العمل الصالح: (إماطة الأذىٰ)** كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مسلم: قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[(٢)].

وقد نهىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التخلي في طريق الناس وفي ظلهم دفعاً للأذىٰ، فقَالَ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ»، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»[(٣)]، وفِي بعضها: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ»[(٤)]، وهذا الحديث فيه كلام لكنه في الباب، فالإنسان يبتعد عن قضاء حاجته في أماكن سير الناس، وأماكن ظلهم.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٢٤٥).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٥).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند أبي داود وابن خزيمة.

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٢٦)، عن معاذ بن جبل.

- **وأذىٰ المؤمنين حرام**، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٨].

والذي يسعىٰ في إزالة الأذىٰ الذي يلحق بالدين من شرك وبدعة وغير ذلك هم أهل العلم والدعاة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ تأليفًا وتصنيفًا وخطابةً وتوجيهًا فهذا من أعظم الصدقة ولهذا جاء في حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "مُسْلِم": «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1].

- **ومن الصدقات**: الإنفاق علىٰ الأبناء والزوجات ومن تحت يدك: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[2].

وباب الصدقات أواسع مما ذكرنا لو أراد الإنسان أن يُفَصِّل فيه لطال المقام لكن في شرح حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع هذا الحديث إشارة إلىٰ جوامع ما يُتَصَدَّق منه.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٣١).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٩٩٤).

وقوله: («وَيُجْزِئُ عنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى»): فالضحىٰ مستحبة وَمِمَّا يُقَرِب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أسباب تكفير الذنوب، ورفع الدرجات، وقد ثبت عن النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه صلاهما كما في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا : «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ»[1].

وفي حديث زيد بن أرقم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ»[2].

و أمر بها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أبا هُرَيْرَةَ، ولفظه: أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ: «صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ»[3].

وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، **والحمد لله رب العالمين.**

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧١٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٤٨)،.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٩٨١).

الحديث السابع والعشرون

« الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»(١).

وعَنْ وَابِصَةَ ابْنِ مَعْبَدٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، والإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»(٢).

الشَّرْحُ

- قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدِيث حسن رَوَيناه في مسنَدَيّ الإمام أحمد والدارمي بإسنادٍ حسن.

هذان حديثان ذكرهما في هذا الموطن.

الأول: حديث النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٥٣)، وجاء عند الترمذي حديث رقم: (٢٣٨٩) بنحوه، وهو عند أحمد وابن حبان.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٨٠٠١، ١٨٠٠٦).

قوله: (عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ): وهو النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الكِلابي/ ، أخرج له الإمام مسلم عدة من الأحاديث، ومن أشهرها: قصة الدجال الطويلة.

قوله: («الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»): (البِر): كلمة جامعة، تدل علىٰ الخير العظيم، وهو منقَسِم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: (البر إلىٰ الخلق والإحسان إليهم): وهذا الذي يؤلف فيه المؤلفون الكتب ويسمونه "باب البر والصلة"، ومنها: الإحسان إلىٰ الوالدين، والبر بهما، والإحسان إلىٰ الأرحام، وإلىٰ الأبناء والجيران، والإحسان إلىٰ جميع المسلمين، كله داخلٌ في البر.

وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»[1]، فهذا من البر العظيم، أن يكون بارًا لأبيه وأمه، ثم يصل وُدَّ أبيه وأمه بالصلة الشرعية، وقد سُئِلَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قال: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قال: «أُمُّكَ»، ثُمَّ مَنْ ؟ قال: «أَبُوك»[2].

والقسم الثاني: (أنه طاعة الله عَزَّوَجَلَّ) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [سورة المائدة:٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٩٧١)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٤٨).

وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [سورة البقرة:١٧٧].

- **فتضمنت هذه الآية الإشارة إلىٰ أنواع البر سواءً ما يتعلق بالاعتقادات القلبية**: كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

- **وكذلك**: ما يتعلق بالأعمال البدنية كإقام الصلاة ونحو ذلك من الأعمال.

- **وهَكَذا ما يتعلق بالعبادة المالية**: كالإنفاق في أوجه الخير فكل ما وافق الكتاب والسنة فهو بر، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو عدوان وإثم.

وفي حديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[1].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٩٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٠٧).

- **والصدق عامٌّ**: الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ، والصدق مع الخلق، فهو يهدي وطريق إلىٰ سلوك سبيل الأبرار وقد امتدح الله الأبرار في غير ما موطن من كتابه العظيم قال تعالىٰ :﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ [سورة المطففين:١٨-٢٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ [سورة الانفطار:١٣-١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ [سورة آل عمران:١٩٣]، فالأبرار هم الذين يكثرون من البر فعلًا، واعتقادًا، وعملًا، وقولًا.

وفَسَّر النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ البر هنا: بـ(**حسن الخُلُق**) فإما أن يُقال بأنه فَسَّر البر الذي بين المخلوقين، وإما أن يُقَال هذا الحديث عائدٌ إلىٰ الآية التي تقدمت وهو: أن حُسْنُ الخُلُق منه ما يتعلق بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ وطاعته، ومنه ما يتعلق بالإحسان إلىٰ المخلوقين كما شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وقد تقدم معنا الإشارة إلىٰ فضائل حُسْنُ الخُلُق في غير ما حديث.

قوله: («وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»): الإثم ضد البر كما تقدم قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [سورة المائدة:٢]، وهذا الأمر يعود إلىٰ نفس المؤمن؛ لأنه إذا وقع في أمرٍ ولم يكن علىٰ مراد الله عَزَّوَجَلَّ أو لم يكن عنده علم منه، يَحُكُّ في نفسه هل هو حلال أم هو حرام؟ فيخشىٰ أن يكون حرامًا فيقع في الإثم، وقد

تقدم حديث: «وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»[(١)].

فالمؤمن إذا فعل الفعل وحاكَ في صدره مُتأثِمًا منه ينبغي له أن يتوقف عنه لا سميا إذا كره أن يطلع عليه الناس، فهو إذا كره أن يطَّلِع عليه الناس معناه أنه منكورٌ عندهم ويتأثم بفعله وإلا لو كان من الأمور الحلال، المباحة، الطيبة، لما خَشي من اطلاع الناس عليه.

وقد يحب أن يطَّلِع عليه الناس لاسيما من لم يرزقه الله عَزَّوَجَلَّ تحقيق باب الإخلاص مع أننا أُمِرنا بمدافعة الرياء، فالأمور المذمومة هي التي يكره الإنسان أن يطَّلِع عليها الناس فإذا قدمت علىٰ أمرٍ من الأمور وخشيت أن يطَّلِع عليه الناس وحاكَ في نفسك.

- **فعليك أن تعود إلىٰ أهل العلم في سؤالهم**؛ فإن أفتَوْكَ بالدليل فخذ به، وإن كان فتواهم بغير الدليل ولم ينشرح صدرك، ولم تَزُل الشبهة فعليك أن تعاود السؤال لمن هو أعلم منهم، وعليك أن تُكثِر من دعاء الله عَزَّوَجَلَّ.

وأما الفُسَّاق فلا عبره فقد لا يقع تأثر في صدورهم حتىٰ من المعاصي فضلًا أن يقع في نفسه تحرج من بعض الأمور المشتبهة.

بل إن بعض الفُسَّاق قد بلغ به الأمر أن يجاهر بالمعصية كما قال النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريره في الصحيح: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ

---

(١) تقدم تخريجه.

الْمُجَاهِرِينَ»، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ[1].

- ومعلومٌ ما قاله الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات:٧]، فمن نعمة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ المؤمن أن حبب إليه الطاعات وكَرَّهَ إليه المعاصي، والسيئات، فإذا وقع في أمرٍ مُشتَبه شَعّر بالتحرج الحزن، التأثُم فيُحاول بقدر الإمكان رفع هذا الإثم الذي وقع فيه.

- وفيه: أن الإنسان إذا كان يخشىٰ أن يطلع الناس علىٰ بعض ما في صدره وعلىٰ بعض ما يفعل فليعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ مُطَّلِع علىٰ ظاهره وباطنه وهذا مؤداه إلىٰ حُسْنُ المراقبة لله عَزَّوَجَلَّ قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [سورة الشعراء:٢١٨-٢١٩].

- وفيه: وجوب الحياء، فكون الإنسان يكره أن يطَّلِع الناس علىٰ بعض ما عنده هذا يدل علىٰ أنه ما زال عنده حياء، والحياء محمود كما تقدمت أدلَّتُهُ والنَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَرَّ علىٰ قومٍ وهم يلعبون عُرَاة فرجع إلىٰ أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ، لَا مِنَ اللَّهِ اسْتَحْيَوْا، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ اسْتَتَرُوا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٦٩).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧٧١١).

فالمؤمن يحرص علىٰ ستر نفسه حتىٰ وإن وقع في معصية والنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه ماعِز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقول: يَا رَسُول الله! أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، أعرض عنه كالداعي له إلىٰ ستر نفسه.

- ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّه»[1].

قوله: (وعَن وَابِصَة بْن مَعْبَدٍ): وهذا حديثٌ آخر غير الحديث الأول، وساقه المصنف رحمه الله تعالىٰ كالمُبَين للأول، وهو في "الصحيح المسند" للشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وبعض أهل العلم يُعِلَهُ.

قوله: (قَالَ أَتَيْتُ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ؟»): لعل النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَ بقرينة الحال أنه يسأل عن ذلك، أو لعل الله عَزَّوَجَلَّ أطلَعَهُ علىٰ ذلك وإلا فإن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله عَزَّوَجَلَّ كما أخبر الله عنه فقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾ [سورة الجن:٢٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾[الأعراف:١٨٨].

قوله: («جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ ؟»): تقدم في الحديث الأول تفسير البر بحسن الخُلُق.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهنا قال: («اسْتَفْتِ قَلْبَكَ»): وهذا الأمر للمؤمن، ما تأتي إلىٰ رجل قد عشعش بين المعاصي وقد أُشرِبَهَا قلبه، وإذا سَمِعَ القرآن تَنكَّر له، وإذا سمع الأغاني انشرح صدره لها! حاله كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الزمر:٤٥]، فهذا ما يصلح أن تقول له اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، هل سيقول له قلبه اذهب إلىٰ المسجد؟ أو احفظ القرآن؟ احفظ الأحاديث ؟ اطلب العلم؟ هل سيقول له قلبه ابتعد عن الدشوش والتلافز؟ ومشاهدة المقاطع السيئة؟ لأن قلبه قد صار، «أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[1].

فالمؤمن هو الذي يَتَحَرَّج أن يقع فيما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يخالف رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فمثل هذا له أن ينظر في قلبه إن كان قلبه مشمئزًا من هذا الفعل، وهذا الصنيع، فهذا دليل علىٰ أن هذا الفعل ليس ظاهرًا في الحِّلِيّة، فأدنىٰ أحواله أن يكون من المشتبهات والمشتبهات تُتْرَك.

قوله: («الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ»): وهذا ليس علىٰ إطلاقه فإن بعض المسلمين يُصَاب بالقنوط، وبعضهم يُصَاب شيء من اليأس فإذا ما جاء إلىٰ العالِم يستفتيه يكون قلبه منشرحًا علىٰ التشديد علىٰ نفسه،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٤٤)، عن حُذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَيُقَال له هذا ليس إليك، الإسلام قد نهىٰ عن الغلو، ونهىٰ عن التشدد ونهىٰ علىٰ التبَتُّل، ونهىٰ عن كثير من الأعمال التي فيها كلفة علىٰ الناس يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج:٧٨]، و تجد رجلًا ما يبالي بالطاعات، ما يُقَال له مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ولكن الأمر يعود إلىٰ المؤمن الطائع ثم الأمر في الأخير يرجع إلىٰ الأدلة إن استفتيت أحدًا من الناس وأفتاك بالدليل انشرح صدرك، أم لم ينشرح، فيجب عليك الأخذ بالدليل.

قوله: («والإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»): يعني: إذا استفتيت الناس في مسألةٍ من المسائل وما زلت تشعر بالتَحَرُّج إما لأنهم لم يسوقوا الأدلة الظاهرة علىٰ الحِل أو المنع وإما أنها لم تُقَم الحجة علىٰ هذا السائل، أما إذا أفتَوْهُ بالدليل وما زال مترددًا لشكوكٍ في نفسه، أو لقلة فهمٍ عنده، أو لتشدد في نفسه، أو لتَمَيُّعٍ إذا كان من أصحاب الشُبَه في هذا الباب فهذا لا يبالىٰ به.

فالمسألة عائدة إلىٰ أن البر محبوبٌ إلىٰ المؤمن وينشرح صدره به، ويطمئن قلبه به، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الرعد:٢٨]، والإِثْمُ مبغوضٌ إلىٰ المسلم ويضيق صدره به.

- وفي الحديث من الفوائد: أن الإنسان لا يركن علىٰ الفتوىٰ وهو يعلم أنها مخالفة للدليل؛ لأن المفتي قد يفتيك بما تسأله عنه، بينما لو وُضِع السؤال علىٰ

صورةٍ صحيحةٍ، لكانت الفتوىٰ مختلفة فالإنسان يكون اعتماده علىٰ الدليل الذي يذكره المفتي ولا يكون اعتماده فقط علىٰ ما يكون موافقًا لهواه وما في نفسه والحديث له غير ذلك من الأحكام والآداب، **والحمد لله رب العالمين**.

الحديث الثامن والعشرون

« وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَن أَبي نَجِيحٍ العربَاضِ بنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ وَذَرَفَت مِنهَا العُيون. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا، قَالَ: «أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيرًا؛ فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (عن العِرْباضِ بنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): وهو من الذين لم يجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يحملهم عليه وعَذَرَهُم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢﴾ [سورة التوبة:٩٢]، وهذا دليل علىٰ قوة الإيمان في هؤلاء النفر من الصحابة رضوان الله عليهم، فنحن الآن إذا شعر الإنسان من نفسه العجز، أو وجد الرخصة، بادر سريعًا إلىٰ الفتور، والكسل،

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٧٦) عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند أبي داود وأحمد.

بينما أولئك كانوا يبكون إذا حيل بينهم وبين الطاعة، فهؤلاء معذورون: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة التوبة:٩١-٩٢]، **يعني**: عُذِروا من أنهم لا يملكون شيئًا، وأيضًا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يستطيع أن يعينهم بشيء، ومع ذلك خرجوا من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبكون مع شدة المسافة وبُعد الطريق ومع ذلك خَشِيُوا أن يكونوا قد حُرِموا من هذا الخير الذي ذهب إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وعذرهم الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن.

ثم جاءت البشارة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل ومن الله عَزَّوَجَلَّ في آخر سورة التوبة قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَ كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»[1]، فالعِرْباضِ بنِ سَارِيةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من هؤلاء النفر.

قوله: (**قَالَ: وَعظَنَا رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَوْعِظَةً**): الموعظة غالبًا تكون بالترغيب، والترهيب، (**والترغيب**): إخبار بما أعد الله عَزَّوَجَلَّ من النعيم

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٩١١)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والنصر والتمكين للمؤمنين، (والترهيب): التحذير من مغبة المعاصي، والذنوب، وقد أنزل الله عَزَّوَجَلَّ القرآن موعظة وكذلك كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقوم كل جمعة يعظ أصحابه في خطبة الجمعة، وكان عبد الله بن مسعود يعظ الناس كل خميس، وما زال الناس يعظ بعضهم بعضًا فإن الذكرىٰ تنفع المؤمنين.

قوله: (وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ): أي: خشعت وسكنت، وهكذا كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [سورة الأنفال:٢-٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ [سورة الحج:٣٤-٣٥]..

- وعَتِبَ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ المؤمنين: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة الحديد:١٦].

- والقرآن كان إذا نزل علىٰ المؤمنين ازدادوا إيمانًا، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٤-١٢٥].

قوله: (وَذَرَفَت مِنهَا العُيون): أي: من خشية الله عَزَّوَجَلَّ، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[1].

- وقد امتدح الله عَزَّوَجَلَّ النجاشي ومن معه حين بكوا حين تلىٰ عليهم جعفر من أوائل سورة مريم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة المائدة:٨٣]، والبكاء من خشية الله ثقيل إلا علىٰ من رزقه الله عَزَّوَجَلَّ ذلك، وإلا مع قسوة القلوب، وكثرة المشاغل، وكثرة الوساوس، وقلة التدبر للقرآن ،قد لا يبكي الإنسان ولا تدمع عينه وقد يجد في قلبه ما يهيجه علىٰ البكاء، ويأتيه الشيطان بما يصرفه عن ذلك، حتىٰ لا يدمع في حق الله فيؤجر أجرًا عظيمًا وهذه علامة عظيمة للمؤمن، تأثر القلب بالمواعظ، وذرف العين بالدمع من أثر تلك المواعظ ومما وَقَرَ في القلب.

قوله: (فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا): أي: كأنهم سمعوا من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمرًا سائدًا عَمَّا كانوا يسمعونه من قبل فإن المودع يجتهد

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٦٣٩)، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

في إيصال أبلغ الوصايا وأخصر الوصايا إلىٰ من يودعهم ، أما في وقت السعة تجد الإنسان يتكلم بكلام كثير هنا وكلام كثير هنا، لكن إذا ضاق الوقت يحاول أن يأتي بأجمع ما يستفيد منه الإنسان، ويوصي بأهم ما يجب علىٰ الإنسان أن يتمسك به، ويأخذ به، فالصحابة رضوان الله عليهم استدلوا بقرينة الحال، حيث وجلت قلوبهم ودمعت عيونهم لشدة ما سمعوا من نصح وتوجيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: (هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا)، وهذا من حرصهم علىٰ الخير فما من خير إلا وكانوا سَبَّاقين إليه فطلبوا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأتيهم بجوامع الكَلِم مع أنه قد وعظهم كثيرًا.

- **وطلب الوصية محمود**، وقد تقدم معنا حديث أبي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أوصني قال: «لا تَغْضَبْ»[1]، وأحاديث أخرىٰ في الباب.

- وقد وصىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ووصىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوصىٰ المؤمنون وما زال الناس يوصي بعضهم بعضًا، والوصية التي لا جَوّر فيها يجب الوفاء بها.

قوله: (قَالَ: «أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ»): فبدأ بها؛ لأنها ملاك وجِماع كل خير قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[الطلاق:٢-٣] ، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦١١٦).

أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [سورة الطلاق:٤]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِكُمُّۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٨٢﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]، في آيات كثيرات.

- وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنها خير زاد: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [سورة البقرة:١٩٧].

-وخير لباس: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ﴾ [سورة الأعراف:٢٦].

- وهي وصية الله أيضًا: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [سورة النساء:١٣١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [سورة الأحزاب:١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾[النساء:١]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [سورة النور:٥٢].

والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان إذا أرسل سريةً أوصاه بتقوىٰ الله في خاصة نفسه ثم من معه من المؤمنين.

- وتقوىٰ الله تُطلَق ويراد بها التوحيد؛ كما في حديث أبي أمامه: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قام في الحج فقرأ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١]، وفي بعض الروايات: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة:٢١].

- وشرع الله عَزَّوَجَلَّ الصيام لتقواه: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة:١٨٣].

- وشرع العبادة لتقواه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [سورة البقرة:٢١]، فأوصىٰ بحق الله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيه التوحيد، وما يليه مما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به فعلًا أو نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عنه تركًا فيطاع الله عَزَّوَجَلَّ بالفعل، كما يطاع بالترك.

- وأفضل الناس أهل التقوىٰ؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات:١٣]، وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- "قِيلَ: يَا رسولَ اللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ»[(١)].

ثم قال: («وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ»): فيها: الأمر بالسمع والطاعة لولي أمرهم حتىٰ ولو تُأمر عليهم من ليس منهم بل ممن يظنون فيه النقص فَلَو تأمَّر عَبْدٌ حبشي واستتب له الأمر وجب السمع والطاعة له، كما في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٣٥٣)، ومسلم حديث رقم: (٢٣٧٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٩٣)، وجاء عند ابن ماجه وأحمد.

وفي حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ»[(١)].

- وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بطاعة الأُمراء بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء:٥٩]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»[(٢)].

- وفي الحديث: التحذير من الخروج علىٰ الحكام بأي وجه من أنواع الخروج حتىٰ أنه أباح دم من خرج علىٰ المسلمين، أباح دم من بويع له مع الخليفة الآخر؛ كما في حديث عَرَفَجة عند "مسلم": «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»[(٣)]، وفي لفظ أخر: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٣٧)، ومسلم حديث رقم: (١٨٣٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن النسائي وأحمد وابن ماجه.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٥٢).

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٥٣).

وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مات وهو خارج علىٰ الحكام المسلمين فميتته جاهلية، ففي "صحيح مسلم": عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[1].

وحقوقهم كثيرة موطنها كتب الإمارة.

- **وفي حديث حذيفة:** قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[2]، وإن كان هذه الرواية فيها كلام من حيث أن ممطور أبو سَلَّام لم يسمعها من حذيفة ولكن الحديث فيه دلالة علىٰ السمع والطاعة لأولياء أمور المسلمين.

- **وفي "الصحيحين"**: عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[3].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٤٧).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم حديث رقم: (١٧٠٩).

- **فبيَّن العلماء**: أنه لابد أن يكون عند المسلمين اكتفاء ذاتي وأن يُبْدَل بخير منه وألا تقع الفتنة في المسلمين.

وما حصل في البلاد العربية في هذه الفترة لدليل علىٰ عِظَم وخطر مخالفة أمر النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وكانوا يسخرون من أهل السُنة لماذا يأمرون بطاعة أولياء الأمور في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، مع أن أهل السُنة يحذرون من الانتخابات، والديمقراطية، ويحذرون من الاختلاط وتصوير ذات الأرواح ويحذرون من الحكم بغير ما أنزل الله، ويحذرون من جميع المعاصي التي يتعاطاها الثائرون أنفسهم.

وحصل شرٌ عظيم! دُمِرَت اليمن، وسوريا، وليبيا ، وتونس التي نادوا إلىٰ الحكم بما أنزل الله عادت أشد مما كانت عليه في زمن زين العابدين، فقرروا أن المرأة لها مثل ميراث الرجل، وأن المرأة لها مثل حقوق الرجل.

هل استفاد الإسلام شيء من هذه الثورات؟! هل استفاد المسلمون شيء من هذه الثورات ؟ الواقع خلاف ذلك!.

كالخروج علىٰ بشار الأسد ونحن نعتقده كافرًا؛ لأنه نُصَيّري، لكن ماذا استفاد الشعب السوري؟ فُجِل الشعب السوري صار في العالم! مُشَردًا يلتَحِف السماء ويفترش الأرض، وهُتِكَت الأعراض، وأُزهِقَت الأنفس، والنُّصَيّري ومن إليه يقبعون علىٰ ما هم عليه.

حسرة والله علىٰ ما لَحِق بلاد المسلمين ومازال بسبب الأخطاء الفادحة التي يرتكبها المخالفون لكتاب ربنا ولسنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأخطاء التي تقوم علىٰ الهوىٰ، والرأي، والذوق.

وإلا لو عادوا إلىٰ علماء السُنة، وسألوهم وأخذوا بفتاويهم لسَلِمَ المال، والرجال، وصَلُحَ الحال، لكن إلىٰ الله المشتكىٰ.

قوله: («فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»): فيه: دليل من دلائل نبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كثرة الفرق والبدع والعياذ بالله، **وسبب هذا الاختلاف أمور:**

الأول: **(البعد عن الكتاب والسنة)**، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢].

والثاني: **(عدم الاعتصام بالكتاب والسنة)**؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، ولو اعتصموا بالكتاب والسنة لما وُجِدَ الخلاف.

والثالث: **(تقديم العقل علىٰ النقل، وتقديم الذوق، والأقيِّسَة)**؛ والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[المائدة:٩٢]، ويقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة النساء:٦٥].

الرابع: **(الجهل بدين الله، وأحكام شرعه وأحكام سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**.

الخامس: (تقليد الكفار) قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم:٣١-٣٢]، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[1].

السادس: (عدم الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة عند الاختلاف)، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء:٨٣].

وهذا الاختلاف الكثير حصل في العقائد، الأحكام، الآداب، حتىٰ في اللباس والهيئة، وغير ذلك فقد صار الناس متفرقين الا ما رحم ربي، وهذا مرضٌ عظيم أشار إليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فما الدواء من هذا المرض ذكره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله: («فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ»): والسُنة هي: الطريقة، أي: الزموا طريقة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [سورة الأحزاب:٢١]، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في البخاري: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

---

(١) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (٦٢٤٧)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجاء عند غيره.

إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[1]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ [سورة الأحزاب:٣٤]، **والحكمة** هي: السُنة فقد أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأخذ بسنته وطريقته فهي أهدى، وأقوم الطرق؛ لأنها وحي الله قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤]..

- وكان من قول السلف: (التمسك بالسُنة نجاة).

قوله: («وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ»): أي: طريقة الخلفاء الراشدين المهديين في فهم الكتاب والسنة، أو ما لم يرد في الكتاب والسُنة، وأجمع عليه الخلفاء الراشدون فإن إجماعهم حجة.

حتى أن لابن القيم تفصيل في هذا الموطن في كتاب "إعلام الموقعين": وإن لم يقع منهم إجماع إن اختلف أبو بكر وَعُمَر فَيُقَدم قول أبي بكر، مالم يكن في المسألة نص، وإن اختلف عُمَر وعثمان فَيُقَدم قول عُمَر، مالم يكن في المسألة نص وإن اختلف عثمان وعلي رضي الله عنه فَيُقَدم قول عثمان مالم يكن في المسألة نص، وإن كان أبو بكر وَعُمَر في قول، وعلي وعثمان رضوان الله عليهم، في قول يُقَدم قول أبي بكر وَعُمَر، وهذا عند عدم وجود النص، أما مع

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٢٨٠).

وجود النص، فالواجب علىٰ الجميع الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

- وفي هذا إشارة الى أن: ما ثبت عن الصحابة لا يُهْدَر لا سيما في مسائل لم يُعلَم لهم مُخالف ولم يُعلَم ما يدل علىٰ خلاف قولهم من الكتاب والسنة، ولذلك أثبت أهل السُنة: (أن الكرسي موضع القدمين)؛ لقول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لأن له حكم الرفع فمثله لا يُقال بالرأي، وكذلك الصحابة أعلم الناس بمراد الله ومراد رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❁ والخُلَفَاء الراشدون هم : (أبو بكر، وَعُمَر، وعثمان، وعلي)؛ وسُمُّوا بهذا الاسم؛ لأنهم خَلَفوا النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ أمته، وكانوا أهل رشد في حكمهم وفي ما هم عليه من الخير.

قوله: («المَهْدِيِّينَ») المهتدون في أنفسهم، والهادون لغيرهم؛ فاهتدوا بالكتاب والسُنة، وقد قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ محذرًا مِنْ خِلاف الهدىٰ: كما في حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أُعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ أَوْ لَمْ يَغْشَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ»[1].

---

(١) أخرجه "عون المعبود" حديث رقم: ().

- والسلامة في أخذ الكتاب والسُنة قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [سورة البقرة:١-٢]، قال تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ [سورة الجن:٢].

قوله: («عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»): كناية عن شدة التمسك بهذا الأمر؛ لأن الإنسان إذا عضَّ بالثنايا والأنياب ربما تذهب مع شدة النزع لكن إذا عَضَّ بالنواجذ يثبت.

قوله: («وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ») أي: احذروا، **والمحدث**: كل مالم يكن في الكتاب والسُنة

- **ففيه**: البعد عن البدع وكل ما خالف الكتاب والسُنة؛ لأن كل بدعةٍ ضلالة، **والبدعة**: هي كل طريقة أُحدِثت في الدين، علىٰ غير مثالٍ سابق من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

- **وفي هذا الحديث**: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة»، وأيضًا في بعض روايات هذا الحديث: «فَإِنَّ كلّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1]، وفي بعضها: «وَكُل ضَلَالَةٍ فِي النَّار»[2].

وقد تقدم الكلام علىٰ السُنة وما يتعلق بها في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[1]، فالبدع ضلالات وإن رآها الناس

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٤٢).

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (١٥٧٨).

حسنة، فالبعد البعد عن البدع والاستحسان؛ فإن أكثر ما يوقع الناس في البدع الجهل، والاستحسان، والرأي، والهوىٰ ، وتقديم العقل علىٰ النقل، وتقديم الأقيِّسَة الفاسدة، ومتابعة الكفار، ومن إليهم من أهل الضلال.

- **والمبتدعة لسان حالهم يقول**: بأن الإسلام لم يتم حتىٰ أتممناه، وبأن الشرع لم يكتمل حتىٰ أكملناه، وكأنهم يستدركون علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ.

- **وخطر البدعة عظيم**: فعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُل صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدع بِدعَتَهُ»، قيل: (حَجَبَ التَّوْبَةَ): أي: أنهم لا يُوَفَّقُون للتوبة كما ذكر ذلك الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ.

- **هم متوعدون بالطرد علىٰ الحوض**؛ كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «يؤتى بأناس من أمَّتِي فَيُذَادُونَ عَلَى الحَوْضِ كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فأقول يَا رَب مِنِّي وَمِنْ أمَّتِي فَيُقَال : إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا بُعْدًا، بُعْدًا، لِمَن غَيَّرَ وبَدَّل»[٢].

- **والواجب علىٰ المسلمين**: هجر أهل البدع وعدم حضور مجالسهم وتكثير سوادهم قال بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **"من يكثر سواد قوم فهو منهم"**.

- وفي الحديث: فضل الخلفاء الراشدين، وفضائلهم من فضائل الصحابة، وفي حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٧٩٩٣) بنحوه، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ الْقُلُوبِ، فَاصْطَفَاهُ وَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ فَمَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ)[١].

- وأفضل الخلفاء هم: (أبو بكر، ثم عُمَر، ثم عثمان، ثم علي): وكان ترتيبهم في الفضل علىٰ هذا عند الصحابة رضوان الله عليهم، قال ابن عمر كما في "الصحيح": (كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يُنْكِرُهُ)[٢]، وفي "البخاري" عن محمد بن الحَنَفِيّة: قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[٣].

وفي حديث عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "صحيح مسلم": أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» فَعَدَّ رِجَالًا[٤].

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٣٦٠٠)، وجاء عند البزار وغيره.

(٢) "السُنة" لابن أبي عاصم حديث رقم: (١١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٦٧١).

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٦٦٢).

وكل صحابة النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خُلفَاء له فهم خُلَفَاءه في رسالته نشروها، وبلغوها، وعلموها الناس، وذَّبُوا عنها، بألسنتهم وأرواحهم، فالطعن فيهم طعن في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وطعن في رسالة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق هذا حُكْمُ الله في من أَبغِض أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

- وفيه: أن كل المحادثات بدع وضلالات فليس في الإسلام بدعة حسنة، وإنما هي بدعة سيئة، ومن استدل علىٰ تجويز بعض البدع حديث جَرِير قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِها فَلَه أَجرِهَا وَأَجْر من عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»[1]، فلا دلالة لهم فيه، فمعنىٰ الحديث: من أحيا سُنة قد أُميْتَت أو قام بالدعوة إلىٰ سُنة فانتعشت فهذا له أجر عظيم، أما المحدثات فكلها بدع وضلالات.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠١٧).

الحديث التاسع والعشرون

«أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ؟»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ؛ قَالَ : «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [سورة السجدة:١٦] حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ ؟»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦١٦) وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح). وجاء عند ابن ماجه حديث رقم: (٣٩٧٣)، وأحمد حديث رقم: (٢٢٠١٦)، جاء عند ابن أبي شيبة.

الشَّرْح

والحديث قد جاء عن طرق أخرجه الترمذي وأحمد وابن أبي شيبة، في "المُصَنَّف" و"الإيمان" وغيرهم كثير ، وكلها منقطعة فهنا من طريق أبي وائل عن معاذ ولم يسمع منه، وعند ابن أبي شيبة من طريق الْنَّزَّال عَن معاذ ولم يسمع منه، وعند أحمد وغيره عن شهر بن حَوْشَب ضعيف ولم يسمع منه.

- **لكن الحديث بمجموع طرقه وشواهده**، يرتقي إلىٰ الاحتجاج والصحة كما سيأتي معنا وَبَيْنّا ذلك بحمد لله في تحقيقنا علىٰ كتاب "الإيمان" لابن أبي شيبة.

- **وفي الحديث**: ما عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الحرص علىٰ سؤال ما يكون سببًا في دخولهم الجنة وبنحو هذا الحديث سأل رجلٌ من الأعراب النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة حديث أبي أيوب في "الصحيحين" وأجاب النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنحو ما أجاب بقوله: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ»[1].

- **وفيه**: ما عليه السلف رضوان الله عليهم من الحرص علىٰ وسائل السلامة من دخول النار، والحرص علىٰ أسباب دخول الجنة، فإنهم كانوا

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦١٦)، عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يسألون فيعملون ليس كحالنا الآن، ربما نسأل ولا نعمل، أو ربما نعلم ولا نعمل، إلا ما رحم ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

بل لربما تَمَسَّكَ أحدهم بشيءٍ، من المباحات أو المستحبات كما تَمَسُّك الكثير بالواجبات، والمفروضات لحرصهم علىٰ متابعة النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسير علىٰ طريقه، وما يدل علىٰ ذلك حديث ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

مع أن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما طرحه كالإنكار عليه لكن مع ذلك لتمام إيمانهم، وكثرة متابعتهم، كانوا يحرصون علىٰ الأخذ بطريقة النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والموافقة له في ما دَقَّ، وَجَلّ، وفيما صَغُرَ، وَكَبُر.

ومن ذلك ما جاء في قصة أبي عبد الله أنه لقي النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي»[2]، فما زال علىٰ هذا الأمر.

قوله: («لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ»): وهذا كالتشيع والثنا عليه بهذا السؤال العظيم الذي فيه السؤال عن سبب دخول الجنة دار المقامة ودين الإسلام كله

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٠٩٠).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧٥٩٣).

دعوة إلىٰ دخول الجنة، وتحذير من أسباب دخول النار، فهذا السؤال وإن كَانت صورته أنه سؤال عن مسألة واحدة إلا أنه تدخل تحته مسائل عظيمة وقد سأل بعضهم النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في مسند أحمد.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ»[1].

يعني: سألت سؤال يسير لكنه يحمل معاني عظيمة وعمل الناس ودأبهم من أجل، دخول الجنة، والنجاة من النار.

قوله: («وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ»): **أي**: من حيث العمل لكن ليس لكل أحد ولكن علىٰ من يسره الله عَزَّوَجَلَّ عليه حيث والمثبطات عن فعل الخير كثيرة فكم من إنسان له قوة، وعقل، ومَال، وحرص، ومع ذلك لا يُوَفَق للخير، وتَثقُل عليه سُبُل الاستقامة والسلامة ، وكم من إنسان قليل الفهم، قليل المال، كثير المشاغل، وَيُوَفَّق للخير ،فالتيسير من الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا كان من دعاء النَّبِي

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٨٦٤٧).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لاَ سَهْلَ إِلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً وأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا»[1].

فالأمر إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، هدايةً وإضلالًا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ويُيَسِّر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أهل التيسير أما من تَنَطَّع وتَشَدد فإنه يهلك كما قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»[2].

والدين كله يُسْر كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[القمر:١٧]، ويسريته في العلم والعمل قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج:٧٨]، وكم من الأعمال يسيرة ونعجز عنها، ومن ذلك ما أخرجه أبو داود: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو ابْنِ الْعَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وهُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، يُسَبِّحُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاة عَشْرًا وَيَحْمَدُ عَشْرًا وَيُكَبِّرُ عَشْرًا وإِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ ؟ قَالَ: «يَأْتِي أَحَدَكُمْ يَعْنِي الشَّيْطَانَ فِي مَنَامِهِ فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ وَيَأْتِيهِ فِي صَلَاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةً قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا»[3].

---

(١) أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" حديث رقم: (٣٥١).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٥٠٦٥).

وفي حديث علي بن أبي طالب حين أوصاه بهذه الأذكار قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وكَبِّرَا أربعا وَثَلاثِينَ فَهَو خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»[1].

الله المستعان نشكو التعب، والنَّصَب، والفاقة، والفقر، وضيق الصدر، وتسلط الأعداء، والسبب نحن قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [سورة الشورىٰ:٣٠]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [سورة فاطر:٤٥].

قوله: («تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا») بدأ بالعبادة التوحيد لأنه رأسه وأُسُ الأمر قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [سورة النحل:٣٦]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [سورة الأنبياء:٢٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [سورة النساء:٣٦]، وقال تعالىٰ ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [سورة الأنعام:١٥١] في آيات كثيرات.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٣١٨)، ومسلم حديث رقم: (٢٧٢٧).

وقوله: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»: هي معنىٰ (لا إله إلا الله): وهو إفراد الله بالعبادة وقد تقدم الكلام علىٰ التوحيد ولله الحمد.

قوله: («وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»): هذه بقيه الأركان الخمسة للإسلام وقد تقدم الكلام عليها كما في حديث عبدالله ابن عمر بني الإسلام علىٰ خمس.

قوله: («أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟»): وهذا من باب الدلالة علىٰ جوامع الخير وأعظم أبواب الخير أن يأتي الإنسان بما أوجب الله عليه من الإيمان والصلاة أما إذا جاء بأبواب الخير، وهو غير مؤمن ولا ينفعه قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٣].

وفي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»[1]، فلابد من الإيمان، والصلاة، فإن تارك الصلاة كافر علىٰ القول الصحيح من أقوال أهل العلم، وبعد أن يأتي الإنسان بمهمات الدين، وأركانه وعظائمه، يتزود بعد ذلك من النوافل، وليكن ديننا الحث علىٰ الفرائض أولًا ثم بعد ذلك النوافل.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢١٤).

وأبواب الخير كل عمل صالح وفي حديث عبدالله بن عمرو: يَا رَسُول الله أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(١)، في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص لما سئل أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٢).

قوله: («الصَّوْمُ جُنَّةٌ»): يريد به صوم التطوع، ويدخل فيه صوم الفريضة مع أنه قد تقدم الإشارة إليه في حثه علىٰ صوم رمضان، فالصوم جُنَّةٌ للعبد من المعاصي، ومن النار، كجُنَّةٌ المقاتل مثل، الدُرْقَة والدرع فإذا أرادوا أن يضربوه بالسيف صدَّهَم بها، فالصيام جُنَّةٌ من المعاصي والفتن وكلما أحاطت بالإنسان يقيه الله عَزَّوَجَلَّ شرها لا سيما الشهوات ولذلك قال النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٣).

وهو أيضًا جُنَّةٌ من العذاب يوم القيامة ففي حديث أبي سعيد أنَّ النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»(٤)، وجُنَّةٌ من غضب الله عَزَّوَجَلَّ فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحب الذين يتقربون إليه

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٢، ٢٨).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٦٧٩٢)، وجاء بنحوه عند البخاري حديث رقم: (١٠، ٦٤٨٤)، ومسلم حديث رقم: (٤٠)، عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، ومسلم حديث رقم: (١٤٠٠).

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٨٤٠)، ومسلم حديث رقم: (١١٥٣).

بالصيام: وهو القائل كما في حديث أبي هريرة: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[1]، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة:١٨٣]، فهم يستجِنُّون به من الشرور والآثام، ويكون به العون من الله عَزَّوَجَلَّ على الخير العظيم.

قوله: («وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ»): أي كفارة للذنوب، وللسيئات، ورافعة للدرجات، وقد قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»[2]، وقال: «وَمَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»[3]، وتجد الناس الآن قد بخلوا بما أوجب الله عليهم، فضلًا عما هو من النفقة النافلة، مع أنه ينبغي للإنسان أن يؤدي حق الله أولًا الذي جعله للفقراء، والمساكين ولمن ذُكِروا في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [سورة التوبة:٦٠].

وينشرح صدره بإخراج حق الله، ولو نظرنا إلىٰ ما يصنعه أصحاب الإبل فضلًا عن غيرهم، لرأينا وكأن هذه الناقة التي تُخْرَج من إبله ستؤدي إلىٰ فقره

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٩٠٤)، ومسلم حديث رقم: (١١٥١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة حديث رقم: (٢٤٣١)، وجاء عند الترمذي وأحمد بنحوه.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٨٨)، وجاء عند الترمذي وأحمد.

مع أنها ستكون سبب للنِمَاء، وقد جاء في "سنن النسائي" الكبرىٰ: عن وائل بن حجر: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعَثَ سَاعِيًا فَأَتَىٰ رَجُلًا فَآتَاهُ فَصِيلًا مَخْلُولًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «بَعَثْنَا مُصَدِّقَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّ فُلَانًا أَعْطَاهُ فَصِيلًا مَخْلُولًا، اللَّهُمَّ لَا تُبَارِكْ فِيهِ وَلَا فِي إِبِلِهِ»، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَجَاءَ بِنَاقَةٍ حَسْنَاءَ فَقَالَ: أَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِلَىٰ نَبِيِّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَفِي إِبِلِهِ»[1].

وكذا أصحاب الأموال النقدية فحدث ولا حرج فقد أصبحت الزكوات عبارة عن هدايا، إما للمسؤول، وإما للصاحب، وإما للقريب.

- **والزكاة ليست مِنّة يخرجها التاجر**، بل هي حق للفقير حتىٰ أن العلماء يذكرون: أنه لا يجوز أن يؤخرها بعد حلول الحول يوًما واحدًا، بينما يجوز له أن يقدمها؛ لأن فيها شفقة علىٰ الفقراء والمساكين.

- **فالصدقة**، سبب لتكفير الذنوب، ولمضاعفة الأموال، ولرضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أعظم ذلك تفريج الكُرَب بقرض المحتاجين قال عبد الله بن مسعود : (**لأن أقرض مرتين أحب إليَّ من أن أتصدق مرة**)؛ لأن القرض فيه تفريج للكُرَب وقضاء الحاجات وهو من الصدقات.

وفي حديث بُرَيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ»، قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ

---

(١) أخرجه النسائي حديث رقم: (٢٤٥٨).

صَدَقَةٌ»، قُلْتُ: سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ تَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ»، ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»، قَالَ لَهُ: «بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»[1].

وكذلك المقترض ينبغي له السعي في رد الحقوق إلىٰ أهلها، وقد قال النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عنهُ، ومَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلافَها أَتْلَفَهُ اللهُ»[2].

وكانت ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتعمد الاستدانة، فقيل لها في ذلك ؟ فقالت: قد سمعت النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عنهُ»."

- ومن عجيب ما يُقَص في ذلك: قصة أبي اليَسَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ففي "صحيح مسلم" عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَىٰ أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، وَعَلَىٰ غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ إِنِّي أَرَىٰ فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ، قَالَ: أَجَلْ، كَانَ لِي عَلَىٰ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٣٠٤٦).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٣٨٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ، فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا، وَاللهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَكُنْتُ وَاللهِ مُعْسِرًا قَالَ: قُلْتُ: آللهِ قَالَ: اللهِ قُلْتُ: آللهِ قَالَ: اللهِ قُلْتُ: آللهِ قَالَ: اللهِ قَالَ: فَأَتَىٰ بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا، أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ - وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ - وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَىٰ مَنَاطِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ»[1].

وقوله: («وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»): أي: ومن أعمال البر والخير: صلاة الرجل في جوف الليل الآخر وهو في الثلث الأخير من الليل علىٰ ما يأتي.

قوله: («ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة السجدة:١٦-١٧]»): أي قرأ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لبيان فضلها هذه الآية.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٠٠٦).

وهذه الفقرة فيها: فضل قيام الليل، وهو من السُنن الراتبة والنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يترك قيام الليل حَضَرًا، ولا سفرًا، ومن كل الليل قد صلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قَالَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما في "الصحيح": «مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ»[1].

وقد رَّغَبَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قيام آخر الليل كما في حديث جابر عند مسلم: «مَنْ خَافَ أَنْ لاَ يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ فَإِنَّ صَلاَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ وَذَلِكَ أَفْضَلُ»[2].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلاَثٍ، لَمْ أَتْرُكْهَا، وَلَنْ أَتْرُكْهَا مَا حَيِيتُ: رَكْعَتَيْ الضُّحَىٰ، وَصِيَّامَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ)[3].

- وفي فضلها حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[4].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٤٥).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٥٥).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٩٨١)، ومسلم حديث رقم: (٧٢١).

(٤) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٣٢٥١)، وهو حسن بطرقه وشواهده.

وقد أَمَر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقيام الليل فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [سورة الإسراء:٧٩]، وقد كان النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُرَغِّب في قيام الليل ومنها قوله : «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ وَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»[(١)].

- **وأفضل قيام الليل**: أن يُصَلَّىٰ إحدىٰ عشر ركعة؛ كما في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: (مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَىٰ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً)[(٢)].

وثبت عنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث أم سلمة وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وكذلك عائشة في بعض الروايات: (**أنه صَلَّىٰ من الليل ثلاثة عشر ركعة**)، وجمهور أهل العلم يرون الزيادة استدلالًا بحديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في "الصحيحين": «صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»[(٣)].

وفي "صحيح مسلم": عَنْ زُرَارَةَ أَنَّ عَنْ زُرَارَةَ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَرَادَ أَنْ يَبِيعَ عَقَارًا لَهُ بِهَا فَيَجْعَلَهُ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ، وَيُجَاهِدَ الرُّومَ حَتَّىٰ يَمُوتَ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَقِيَ أُنَاسًا مِنْ

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٣٠٨)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٠١٣)، ومسلم حديث رقم: (٧٣٨).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٩٩٠)، ومسلم حديث رقم: (٧٤٩).

أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَنَهَوْهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ رَهْطًا سِتَّةً أَرَادُوا ذَلِكَ فِي حَيَاةِ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَهَاهُمْ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «لَيْسَ لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ؟» فَلَمَّا حَدَّثُوهُ بِذَلِكَ رَاجَعَ امْرَأَتَهُ، وَقَدْ كَانَ طَلَّقَهَا وَأَشْهَدَ عَلَىٰ رَجْعَتِهَا ، فَأَتَىٰ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَأْتِهَا، فَاسْأَلْهَا، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ حَكِيمِ بْنِ أَفْلَحَ، فَاسْتَلْحَقْتُهُ إِلَيْهَا، فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِبِهَا، لِأَنِّي نَهَيْتُهَا أَنْ تَقُولَ فِي هَاتَيْنِ الشِّيعَتَيْنِ شَيْئًا، فَأَبَتْ فِيهِمَا إِلَّا مُضِيًّا، قَالَ: فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ عَائِشَةَ، فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهَا، فَأَذِنَتْ لَنَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: "أَحَكِيمٌ؟ " فَعَرَفَتْهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: "مَنْ مَعَكَ؟ " قَالَ: سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَتْ: "مَنْ هِشَامٌ؟ " قَالَ: ابْنُ عَامِرٍ، فَتَرَحَّمَتْ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ خَيْرًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَكَانَ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ - فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: "أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ " قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَتْ: "فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ" ، قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَمُوتَ، ثُمَّ بَدَا لِي، فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: "أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟ " قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَتْ: "فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ

اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: "كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ، فَيَذْكُرُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّ التَّاسِعَةَ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَتِلْكَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ، فَلَمَّا أَسَنَّ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ، وَصَنَعَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الْأَوَّلِ، فَتِلْكَ تِسْعٌ يَا بُنَيَّ، وَكَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّىٰ صَلَاةً أَحَبَّ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ، أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّىٰ مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَلَا صَلَّىٰ لَيْلَةً إِلَىٰ الصُّبْحِ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِهَا، فَقَالَ: صَدَقَتْ لَوْ كُنْتُ أَقْرَبُهَا، أَوْ أَدْخُلُ عَلَيْهَا لَأَتَيْتُهَا حَتَّىٰ تُشَافِهَنِي بِهِ، قَالَ: قُلْتُ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَدْخُلُ عَلَيْهَا مَا حَدَّثْتُكَ حَدِيثَهَا[1].

وقد أوتر رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمسٍ ركعات جُمْلَة كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "صلىٰ ثمان ركعات ثم أوتر بخمس".

ويجوز للعبد أن يصلي علىٰ أي هيئة صلىٰ بها رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٤٦).

وأقل قيام الليل ركعة وأكثره الثابت عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إحدىٰ عشر أو ثلاثة عشر علىٰ خلافٍ في الركعتين الزائدتين فقال بعضهم: لعلها بركعتي الفجر وقال بعضهم لعلها بالركعتين الخفيفتين التي كان النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتتح بهما قيام الليل كما في حديث أبي هريره عند مسلن،

والجمهور جَوَّزوا أكثر من ذلك والمسألة لا تصل إلىٰ التبديع، والتفسيق، وإنما هي بين أفضل ومفضول وبين راجح ومرجوح، وقد جاء في فضلها حديث: «عِزُّ الْمُؤْمِنِ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ، وَشَرَفُهُ قِيَامُ اللَّيْلِ»[1]، وأحكام صلاة الليل كثيرة قد أَلَّفَ فيها العلماء مصنفات منهم الآجُرّي وابن نصر المروَزِي.

قوله: («أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ»: هذه مرحلة ثالثة ووصية جامعة بعد أن بيّن له أركان الإسلام، وبَيّن له أبواب الخير من النوافل، دلَّه علىٰ رَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ فَشَبَّهَ الإسلام بالبعير الكبير.

قوله: («رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ»): رأس الأمر: هو التَمَسُك بدين الله عَزَّوَجَلَّ وهو أصل السعادة في الدارين قال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ

---

(١) "الآمالي".

فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥]، فلا عمل يُقْبَل لغير المسلم لأن الكافر مهما عَمِل من الأعمال فإن أعماله هباءً منثورًا كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ.

- ويقول تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٣] [الفرقان: ٢٣]، والاسلام ذروة السنام لأن فيه يُعصَم الدماء، والأعراض، والأموال، في الدنيا وبه يَسْلَم العبد من الخلود في النار، بل ربما من دخول النار لا سيما من كان من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ومن أراد الله عَزَّوَجَلَّ من المؤمنين والنَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول في بيان فضله، قال تعالىٰ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ».

وأخرج مسلم عن عبد الله ابن عمرو ، وجاء عن عِمْرَان بن حُصَين في "مسلم" : أن رَجُلًا قَالَ يا رسول الله: إني مسلم قال: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»[1]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة المؤمنون:١-٢].

قوله: («وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»): شَبَّهَ الصلاة بعمود الإسلام، ومعنىٰ ذلك أن العمود إذا سقط، سقط البناء، وبهذا الحديث وغيره يحتَج أهل العلم علىٰ كفر تارك الصلاة فإن الخيمة إذ لم يكن لها عمود لا تنفع، هي ساقطة، ولذلك كانت الصلاة هي عمود الإسلام ركنه العظيم، بعد الشهادة، وهي أحب الأعمال إلىٰ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٤١).

الله عَزَّوَجَلَّ، فما يُتَقَرَّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بمثلها ،فإنها عبادة جامعة للعبادات فيها: قراءة القرآن، التكبير، والتسبيح، والتهليل، الدعاء، الثناء، وفيها غير ذلك من الأمور.

زِد علىٰ ذلك: التقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالخضوع له، من الركوع والسجود، الذي لا يكون إلا له، وكل الأنبياء يدعون إليها، ويحافظون عليها كما قال الله عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [سورة مريم:٥٥].

قوله: («وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ») وأعلىٰ ما في البعير السِنَام، من أشهر الشعائر التي يُنصَر بها الإسلام، وتُعلَىٰ بها كلمَته هي الجهاد في سبيل الله، وقد سُئِلَ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مَا أَفْضَل الأعْمَال فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سئل عن أفضل الأعمال؟ قال: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[1]

وعن عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كُنَّا نَقُول الْجِهَاد أَفْضَلُ الأَعمَال هَلْ عَلَىٰ النِّسَاءِ جِهَادٌ ؟ قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لا قِتَالَ فِيهِ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٥١٩)، ومسلم حديث رقم: (٨٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٢٩٠١)، وأخرجه البخاري بدون لفظ: (والعمرة) حديث رقم: (٢٨٧٦).

وصحَّ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «وَمَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»(١).

ففضل الجهاد عظيم شرعه الله لنصرة دين الإسلام لكن علىٰ المسلم أن يتعلم أحكام الجهاد حتىٰ لا يقع في ما يظنه جهاد وليس بجهاد بل هو فساد، والله عَزَّوَجَلَّ قد أمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجهاد الكفار والمنافقين، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[التوبة:٧٣]، وَالنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول جاهدوا المشركين: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»(٢).

وقد أُلِفَت كتبت في فضل الجهاد منها: «الأنجاد في أبواب الجهاد» ومنها: "رسالة في الجهاد" لابن كثير، وتَكَلَّم عنه ابن القيم بكلام واسع في كتابه: "زاد المعاد" الجزء الثالث.

قوله: («أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟») يعني: بجماع الخير؛ لأن الإنسان إذا جاء بالفرائض ، بالنوافل، وحَرَصَ علىٰ ما تقدم يحتاج أن يحافظ علىٰ ما حَصَّل من الحسنات، ويحتاج أيضًا أن يحفظ لسانه، لأنه مفتاح خير إن كان في سبيل الله، ومفتاح شر إن كان في سبيل الشيطان.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٧٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٢٥٠٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند النسائي وأحمد بنحوه.

فباللسان: النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم، والقراءة، والذكر، والدلالة علىٰ الخير، وغير ذلك من أنواع ما يفعله اللسان.

وفي الجانب الآخر: باللسان الكذب، والبُهْت، والإفك والغيبة، والنميمة، والأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف.

فاللسان كما يقال: (**سِلاح ذو حَدَّيْن**)، فملاك الأمر أن تُمسِك عليك اللسان فكم من إنسان أفسد حياته اللسان، وكم من إنسان رفعه الله عَزَّوَجَلَّ باللسان إلىٰ الجِنان، وفي الحديث قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»، **يقول رَاوِي الْحَدِيث بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ**: كم من كلمة منعني منها هذا الحديث، **ويقول الراوي عنه**: كم من كلمة منعني عنها ما حدثني بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣١٩)، عن بلال بن الحارث المُزَني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئِلَ عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: «الْفَمْ وَالْفَرَجِ»[(١)]، وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»[(٢)].

والأحاديث في بيان حال اللسان كثيرة.

قوله: (فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»): فيه: التعليم بالفعل، والإشارة أي: " أمسك عليك لسانك ".

قوله: (يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟): فيه: دليل علىٰ أن طالب العلم قد يجهل كثير من المسائل وقد يظن الظان في بعض المسائل أن الأصل الإباحة ويكون الحكم المنع أو الوجوب، أو أن مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظنَّ أن كثير من الكلام لغو لا يؤاخذ به الإنسان.

قوله: («ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ!»): أي: بكت عليك أمك، وهذا دعاء عند العرب، ولا يريدونه، إنما هي كلمة عابرة مثل: (**ويلك، وويّحَكَ، وتربت يداك**).

قوله: («وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»): أي: أن أعظم سبب يقع به الناس في النار عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ هو ما

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٠٤).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٧٤)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقع بالألسن من الكلام المنهي عنه، من سبٍ، أو شتمٍ، أو لعنٍ، أو كذب، أو غير ذلك.

- **وفيه دليل على**: أن هؤلاء الذين يقعون في النار، وهذا حالهم من أهل الإسلام، لأن الكفار يساقون إلىٰ النار سَوقًا، والمنافقون يصعدون علىٰ الصراط ثم ينطفي نورهم فيتقادَعون فيها، وأما الذي يُكَب في النار علىٰ مِنخَرِه ووجهه في الغالب هم من مشىٰ علىٰ الصراط قليلًا ثم يقع في النار كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث حذيفة وأَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "البخاري": «فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[1].

فعلىٰ الإنسان أن يحافظ علىٰ ما افترض الله عَزَّوَجَلَّ عليه وهذا أولىٰ ما يحافظ عليه، وفي الحديث القدسي: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»[2].

- **ثم بعد ذلك يُكثَر من النوافل**، ففي الحديث: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ... »[3]. الحديث".

استدل العلماء بهذا الحديث: علىٰ أن النوافل من أسباب محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، وعلامة الخير له.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٤٣٩).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥٠٢).

(٣) تقدم تخريجه أعلاه.

قوله: (رَوَاهُ الْتِرمِذِي وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح): قيل: رُوِيَ بسند حسن، وسند صحيح، وقيل متنه حسن وسنده صحيح وقيل غير ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

الحديث الثلاثون

«إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَن رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا»[1].

الشَّرْح

قوله: (عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): هو جُرثُومِ بنِ نَاشِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان العرب يسمون أبنائهم بالأسماء التي تدل علىٰ الشدة ويسمون عبيدهم بالأسماء الرقيقة، فتجدهم يسمون الرجل: صخر، وأسد، وحرب، وجرثوم، بينما يسمون عبيدهم: نجيح، ويسار، ونافع ، ونحو ذلك.

وقد سُئِلَ بعضهم: لماذا تسمون أبنائكم بهذه الأسماء؟ وتسمون عبيدكم بهذه الأسماء؟ **قال**: عبيدنا خيرهم لنا وأبناءنا أسماءهم لأعدائنا.

---

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" حديث رقم: (٥٨٩)، وجاء عند ابن عساكر والبيهقي بنحوه.

- **والحديث بهذا السند فيه**: (مكحول) لم يسمع من أَبِيْ ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ وقد جاءت له شواهد منها عن أبي الدرداء، وابن عباس نحو ذلك وعن غيرهم، وقد ذكر أغلب هذه الطرق، الحافظ ابن رجب في "شرحه علىٰ الأربعين".

قوله: («إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ»): هذا الحديث قد استوعب ما يتعلق بدين الإسلام؛ إذ قَسَّمَ النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما عليه العباد **إلىٰ أربعة أمور**:

الأمر الأول: (**الفرض**): وهو ما أُلْزِمَ به العباد علىٰ جهة الوجوب وأعظم هذه الفرائض: الأركان الخمسة: «شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

- **واختلف العلماء**: هل الفرض هو الواجب أم بينهما خلاف؟

فجمهورهم علىٰ أن الفرض والواجب شيء واحد، وذهب الحنفية وغيرهم إلىٰ أن الفرض غير الواجب، فالفرض ما ثبت حكمه بالكتاب والسنة نصًا، والواجب ما ثبت حكمه بالكتاب والسنة لكن لم تأتي الأدلة علىٰ أنه فرض والصحيح أنه كل ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به فهو من فرائض الإسلام.

إلا أن فرائض الإسلام تختلف:

- **فمنها**: ما تركه كفر، كالشهادتين، والصلاة.
- **ومنها**: ما تركه معصية كالصيام، والزكاة، والحج.
- **ومنها**: ما تركه من أسباب الإثم كمعصية الوالدين وقطيعة الأرحام.

فالواجب: هو بر الوالدين وصلة الأرحام فما فرض الله عَزَّوَجَلَّ علينا، وجب الإتيان به، وقد تقدم الكلام علىٰ ما يتعلق بذلك عند حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "الصحيحين" قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[1]، فأمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجب الإتيان به علىٰ قدر الاستطاعة، قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦].

قوله: («فَلا تُضَيِّعُوهَا»): أي: بالترك او بإخراج العبادة عن وقتها التي شرعه الله عَزَّوَجَلَّ لها، أو عدم الإتيان بالعبادة علىٰ الوجه الأكمل، الذي بينه رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فترك العبادة علىٰ عدة أوجه.

قوله: («وَحَدَّ حُدُودًا»): أي" أن الله حد حدودًا، والحدود أعم من الحدود الشرعية، التي هي علىٰ الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وقتل من قَتَل متعمدًا، وجلد القاذف، فالمراد بالحد ما هو أعم من ذلك، فالحدود التي أُمِرنَا أن نأتي بها هي الأوامر والحدود التي نُهينا عن قربها وتعاطيها هي النواهي فالإنسان يطيع الله عَزَّوَجَلَّ بفعل المأمور كما يطيعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بترك المحظور، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ محذرًا من تضييع الحدود: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [سورة الطلاق:١]، وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [سورة البقرة:١٨٧]، وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ﴾ [سورة البقرة:٢٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٢٨٨)، ومسلم حديث رقم: (١٣٣٧).

وقد نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن مجاوزة ما حدَّ من الحدود وشرع من الشرائع، والحدود:

- **منها** ما هو واجب.
- **ومنها** ما هو مستحب.
- **ومنها** ما هو مندوب.
- **ومنها** كذلك ما هو مُحَرَّم.
- **ومنها** ما هو مكروه.

فتجري عليه الأحكام الخمسة، فما كان من المأمورات فهو دائرٌ بين الوجوب والندب، وما كان من المنهيات فهو دائرٌ بين التحريم والكراهة، وما لم يرد فيه حكم فالأصل فيه الإباحة في كثير من المواطن.

قوله: («فَلَا تَعْتَدُوهَا») أي: تجاوزوها بغير ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ والاعتداء في المأمورات أن يتكلف فيها، ويأتي بما لم يأذن الله به قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الشورىٰ:٢١]، فمن جاء بالمأمور ولكن بصورة تخالف ما شرع الله عَزَّوَجَلَّ فهو من المعتدين؛ ولهذا قال النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمَّا شرع الوضوء وبينه قال: «فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ»، والتعدي في المحظور أن يرتكبه الإنسان، ومما يدل علىٰ ذلك ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في أول سورة الطلاق فإنه أمر بطلاق المرأة لعدتها، قال

تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرٗا ۝١﴾ [سورة الطلاق:١]، وقال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ [سورة الطلاق:١].

ومما يبين أن الحدود تُطلَق علىٰ المحارم ما جاء عند أحمد وغيره مِنْ حَدِيث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

قوله: («وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا»): أي: منع من تعاطي أشياء فلا يجوز إتيانها وقد تقدم معنا في شرح حديث أبي هريرة أن المأمور قُيِّدَ بالاستطاعة، لأن المكلف قد يعجز عن بعض العمل، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧٦٣٤)، عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن:١٦]، بينما المنهي هو ترك، ولا تعلق له بالاستطاعة فلذلك لم يقُيِّدَ بـ (فاتركوا منه ما استطعتم)؛ بل قال: (فاجتنبوه)، وهنا قال: «حَرَّمَ الله أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا»؛ بإتيانها وتعاطيها والمحرمات كثيرة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الأنعام:١٥١] - **وذكر عشر مسائل عظيمة**، منها الشرك، ومنها القتل، ومنها غير ذلك، علىٰ ما هو مذكور في أواخر سورة الأنعام، ومنها ما حُرِّم من تعاطي الأكل، قال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة:٣].

ومنها ما حُرِّم في باب المناكح، قال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ

وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

[النساء:٢٣]

والأصل في الأَنْعَام وفيما خلق الله عَزَّوَجَلَّ: الحِل للإنسان إلا في ما حرم الله عليه، قال الله عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن نبيه: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾

[سورة الأنعام:١٤٥]، الآية.

فالمحرمات كثيرة وهي كل ما نهىٰ عنه الشارع علىٰ وجه الإلزام، وكل ما أمر به الشارع علىٰ وجه الإلزام فهو واجب فتركه حرام.

قوله: («وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ»): وهذه هي المباحات ولهذا يعبر العلماء بأن الأصل الإباحة في الملابس، في الأطعمة، في الأشربة، في كثير من الأشياء، بينما المُحَرَّم محدد، قال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾

[سورة الجاثية:١٣].

مسألة: هل يُوصَف الله عَزَّوَجَلَّ بالسكوت ؟

الجواب: أما السكوت من حيث أنه لا يتكلم، فهذا لم يقل به أحدٌ من السلف، وأما السكوت لعدم إظهار الحكم، فهذا ثابت لدلالة الحديث عليه، والدليل علىٰ هذا التقسيم أن أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُول للنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ «أَقُولُ: اللهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ»[1].

فلا يوصف الله عَزَّوَجَلَّ بالسكوت بمعنىٰ: أنه لا يتكلم فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول عن نفسه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [سورة يس:٨٢]، ويقول تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ ٢٩﴾ [سورة الرحمن:٢٩]، ومعلوم أن الله: يحيي هذا، ويميت هذا، ويرزق هذا، ويمنع هذا، وكلماته لا منتهىٰ لها، والواجب أن نصف الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييف، ولا تمثيل.

والظاهر من الحديث في قوله: («وسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ») أي: لم يُظْهِر فيها حكمًا، من حيث الحِل أو الحُرمة فتُحمَل علىٰ أنها من المباحات إذ أن الله عَزَّوَجَلَّ فعل ذلك رَحْمَةً لَكُمْ؛ كما قال في الحديث: ليتوسع الناس.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٩٨).

قوله: («غَيْرَ نِسْيَانٍ»): النسيان يقال فيه أنه يأتي بمعنيين:

الأول: بمعنىٰ (الذهول) وهذا: يُنَزَّه الله عَزَّوَجَلَّ عنه فإن الله لا تخفىٰ عليه خافيه.

والثاني: بمعنىٰ (الترك) وهذا يُثبَّت لله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [سورة التوبة:٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤] أي: تركهم.

- ومثل هذا القول في الأسف فإن الأسف يأتي بمعنيين:

الأول: شدة الحزن قال الله عَزَّوَجَلَّ عن يعقوب: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ [سورة يوسف:٨٤]، فهذا ينزه الله عَزَّوَجَلَّ عنه.

الثاني: أن الأسف بمعنىٰ شدة الغضب، وهذا يُثبَّت لله عَزَّوَجَلَّ قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [سورة الزخرف:٥٥].

قوله: («فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا»): أي: لا تُنَقِّبوا وتتنَطَّعُوا البحث عن حكم المباحات.

فالأصل: أنها تُمَر علىٰ ما ظهر من الحكم فيها، وليس معنىٰ ذلك أن طالب العلم لا يجتهد في تحصيل مسائل وتحقيقها حتىٰ يصل إلىٰ القول الراجح، وإنما المعنىٰ أن الإنسان لا يتكلف الحكم برد ما أباحه الله عَزَّوَجَلَّ له .

❁ **فهذا حديثٌ عظيم** جمع الإسلام في طياته فالإسلام منه الفرائض، والحدود، والشرائع والسنن، ومنه المُحَرَّم ومنه المباح ، فهذا الحديث دالٌ علىٰ ما تقدم.

وفيه أيضًا: ما يدل علىٰ سعة رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده إذ أنه جعل لهم المباح أكثر من الحرام، وأن الله عَزَّوَجَلَّ قد سكت عن أشياء كثيرة رحمة بعباده، وتوسعة لهم ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة مريم:٦٤]، **بمعنىٰ**: ما تقدم فالصفة المنفية في قوله: (نَسِيًّا) أي: ما كان ذاهلًا عن شيء فهو العليم بكل شيء، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، **والحمد لله رب العالمين**.

❁ ❁ ❁

الحديث الحادي والثلاثون

«ازهَد في الدُّنيَا يُحبِّكَ اللهُ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُول الله: دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأَحبَّني النَاسُ؟ فَقَالَ: «ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»[1].

الشَّرح

❁ والحديث أخرجه ابن ماجة وغيره، من طريق خالد بن عَمْرو القُرَشِي، وقد كذَّبه بعضهم وتركه الكثير فحديثه في حكم الموضوعات، أو الضعيف جدًا، ولم يوجد له مُتَابع إلا ما كان من محمد بن كثير الصنعاني، وهو منكر الحديث، بل قال بعضهم لعله دَلَّسه عن خالد بن عَمْرو هذا، فإن الحديث عُرِفَ به.

والحديد ضعيف الإسناد، ولكن مَتنه له شواهد كثيرة من حيث أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بالزهد في الدنيا، والرغبة عنها وأمر بطلب الآخرة، والقرب لها.

فقوله عن سَهلِ بنِ سَعدٍ هو أَبو العَباس السَّاعِدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، من الأنصار.

---

(١) أخرجه ماجه حديث رقم: (٤١٠٢)، قال النووي: [حَدِيث حَسَن رَوَاهُ ابن مَاجَة وَغَيْرِهِ بِأسانِيد حَسَنَة].

قوله: (جَاءَ رَجُلٌ): هذا رجلٌ مُبهَم، ولكن لا يضر الإبهام في حق الصحابة رضوان الله عليهم، أو في ما كان من شأن المتن فالإبهام هنا من شأن المتن، وليس فيه سند الحديث والذي يضر أن يكون الإبهام في السَنَد فإن المبهم من قسم الضعيف.

قوله: (دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأَحبَّني النَاسُ؟): أي أرشدني وعلمني عملًا هذا حاله وقد تقدم معنا أن الطريق الذي كان يسلكه الصحابة مع النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يسألوه في شأن دينهم وفيما يقربهم من ربهم وفيما يكون سببًا لدخولهم الجنة، والنجاة من النار.

قوله: (أَحَبَّني اللهُ): دليلٌ على أن الله عَزَّوَجَلَّ يحب أصحاب الأعمال الصالحة ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾ [سورة آل عمران:٧٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦﴾ [سورة آل عمران:١٤٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [سورة البقرة:٢٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التوبة:٤]، ويقول تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة:٥٤].

- وفي حديث سعد بن أبي وقاص في "مسلم": «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»[(١)]، وفي حديث سَهلِ بنِ سَعدٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، أَوْ قَالَ: «يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ»[(٢)].

والأحاديث الدالة علىٰ إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ كثيرة وهي من الصفات الفعلية اللائقة بالله عَزَّوَجَلَّ، وينكر الأشاعرة ومن إليهم هذه الصفة، وهذا لفساد معتقدهم وبعدهم عن طريقة السلف الصالحين رضوان الله عليهم.

قوله: («وَأَحبَّني النَاسُ»): فيه: أن الناس يحبون من يُحسِّن إليهم ولا يسيئ وقد جاء عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»[(٣)].

فالناس إذا أديت إليهم ما يحبون، أحبوك، قد جاء في حديث أبي هريره قول النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٦٥).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٢٠٩)، ومسلم حديث رقم: (٢٤٠٧).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٤٤)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[١]، في الحديث: «تهادَوْا تحابُّوا»[٢].

والحب في الله، والبغض في الله، من أوثق عُرَىٰ الإيمان وهو أولىٰ ما يتنافس فيه الناس فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحب من يحب فيه، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ؟ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[٣].

ومع ذلك كثير من الناس حبهم من أجل الدنيا كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنْ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ هَذَا الْمَالُ»[٤]، فالناس أحسابهم، ومودتهم، وقربهم، وبُعدهم، إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، من أجل المال، والمصلحة وهذا ظاهر، فكم من رجل تجد له أصحاب كثر يجلسون معه ويتوصلون به ويؤنسِونه وإذا أراد أن يسافر سافروا معه، وإذا قال بقول قالوا معه، فإذا ما قلَّ ماله وقَلة المصلحة. من قِبَلِهِ كأنهم لا يعرفونه وحاله كما قيل:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٤)، وجاء عند الترمذي حديث رقم: (٢٦٨٨).

(٢) أخرجه مالم في "الموطأ" حديث رقم: (٢٦٤١)، عن عطاء بن أبي مُسلم.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٦٧).

(٤) أخرجه النسائي حديث رقم: (٣٢٢٥).

كأن لم يكن بين الحَجُونِ إلىٰ الصفا أنيسٌ ولم يَسمُر بمكَّةَ سامِرُ

وهذا كثيرٌ في حال الناس إلا من رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقد جاء في الحديث في المستدرك عن عائشة قالت جاءت عجوز إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عندي فقال لها رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنت قالت أنا جثامة المزنية فقال بل أنت حسانة المزنية كيف كنتم كيف حالكم كيف أنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل علىٰ هذه العجوز هذا الإقبال فقال إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين.

- وفي الحديث: الدلالة علىٰ أن أفعال الخير هي التي تؤدي إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ فالله عَزَّوَجَلَّ لا يحب الإنسان لجماله، ولا لماله، ولا لكثرة أتباعه، وإنما محبته للعبد الصالح بقدر ما عنده من الصلاح والخير، وبقدر استجابته لله وللرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [سورة آل عمران:٣١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٤]، بينما محبة الناس لما يؤمِلون ويرجون من المصالح، فإذا أردت محبة الله عَزَّوَجَلَّ فالزم العمل الصالح، وإذا أردت أن تُكَف من شر الناس،

فلا تتعرض لهم، ولا لأموالهم، ولا لمناصبهم، ولا لتجاراتهم ولا لشيء من ذلك.

والزهد في الدنيا: من الأعمال الصالحة وهو من أسباب محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد وقد زَهَّد النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الدنيا بل الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم، حَقّرَ الدنيا تحقيرًا بليغا، وَرَغَّب في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود:١٥-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الشورىٰ:٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحديد:٢٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا

أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

وهَكَذا يصف الله عَزَّوَجَلَّ الدنيا بأوصاف تدل علىٰ دناءتها وتدل علىٰ تغيرها وزوالها، فالمؤمن اللبيب يكون بعيد عنها ورغبته في الآخرة. والزهد الحقيقي ليس هو الزهد في اللباس الجميل، والأكل الدسم، وإنما الزهد في ما لا ينفع في الآخرة، فقد أخبر النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن الله عَزَّوَجَلَّ جَمِيلٌ يُحِبُ الجَمَال، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾ [سورة الضحى:١١]، ففي مسند أحمد عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ الْجُشَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَآنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَعَلَيَّ أَطْمَارٌ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مَالٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟» قُلْتُ: مِنْ كُلِّ الْمَالِ، قَدْ آتَانِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الشَّاءِ، وَالْإِبِلِ، قَالَ: «فَلْتُرَ نِعَمُ اللَّهِ، وَكَرَامَتُهُ عَلَيْكَ»، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ شُعْبَةَ.

- **فالزهد الحقيقي**: هو البعد عن المحرمات، وعما لا ينفع في الآخرة، أما أن يتزهد في لباسٍ وفي شرابٍ ثم يعاقر البدع، والمحدثات، كما هو حال كثير من متزهدة الصوفية، فهذا ليس بنافعٍ شيئا، بل إن النصارىٰ كثير منهم قد التزموا الصوامع، يتفرغون للعبادة ويعتزلون الناس، ومع ذلك هذا ليس بنافعٍ لهم شيئًا؛ لأنهم لم يوحدوا الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يستقيموا علىٰ شرع الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وقد خرج النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع أصحابه كما في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا

لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»[(١)].

وعن أبي هريره قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[(٢)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ»[(٣)].

وقد خطبهم النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لأصحابه حِين اجتمعوا، حين جاء المال، مع أبي عبيدة بن الجَرَّاح، فَقَالَ: «الْدُنْيَا تُرِيدُونَ؟ الْدُنْيَا تُرِيدُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ»[(٤)]، وأمرهم أن يبشِروا ويؤمِلُوا، فإن الرزق من الله عَزَّوَجَلَّ.

إن كان ولابد ودخل الإنسان في تجارة، أو صناعة، أو وظيفة، أو غير ذلك مما يتعاطاه الناس فلا تشغله الدنيا عن الآخرة، فإن الدنيا ما هي إلا دار مَمَر والآخرة دار مَقَر.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٢٠).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٢٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٥).

قوله: («يُحِبَّكَ اللهُ»)؛ لأن من زَهِدَ في الدنيا قَلَّ طمعه فيها وابتعد عن الحرام، بينما من لم يزهد في الدنيا ربما جمع المال من حلالٍ أو من حرام، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ»[1]، وصاحب الدنيا مَثَلُهُ كَمَثَل العطشان، الذي يشرب من البحر كلما زاد شربًا كلما ازداد عطشا.

قوله: («وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»): أي لا تتطلع لما لهم من الأموال فإذا تطلعت فيما لهم من الأموال ازدَرَوكَ، واحتقروك، وعادَوْك، كما قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»[2].

فإن الحسد، والغل، والحقد، وغير ذلك من الأمراض القلبية، يقع بسبب التنافس في الدنيا، وعدم الزهد فيها الرغبة فيما عند الناس، وعدم الزهد والقناعة بما فتح الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العباد.

ففي هذا الحديث: بابان عظيمان، من أبواب سعادة الدنيا والآخرة، وهما الزهد في الدنيا، ومؤداهُ إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، والزهد فيما عند الناس،

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٠٥٩)، وجاء عند النسائي وأحمد.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٢٦)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٩٩٦).

ومؤادهُ إلىٰ ميل الناس إلىٰ العبد والرضىٰ بقوله ومن هذا أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أخبر أن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لا يسألون الناس أجرًا علىٰ دعوتهم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١﴾ [هود: ٥١]؛ وذلك أن سؤال الناس أموالهم يُزَهِّد الناس في الخير الذي يأتي به الداعي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦﴾ [محمد: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧﴾ [سورة محمد:٣٧].

وانظر إلىٰ ما حصل يوم حُنَين حين أعطىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قريشًا وترك الأنصار، مع أن الأنصار أهل الإيمان، والإحسان، ففي "صحيح البخاري": مَكَثْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ عَنْ آيَةٍ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَهُ هَيْبَةً لَهُ، حَتَّىٰ خَرَجَ حَاجًّا فَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ إِلَىٰ الأَرَاكِ لِحَاجَةٍ لَهُ، قَالَ: فَوَقَفْتُ لَهُ حَتَّىٰ فَرَغَ ثُمَّ سِرْتُ مَعَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَنِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مِنْ أَزْوَاجِهِ؟ فَقَالَ: تِلْكَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا مُنْذُ سَنَةٍ، فَمَا أَسْتَطِيعُ هَيْبَةً لَكَ، قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ مَا ظَنَنْتَ أَنَّ عِنْدِي مِنْ عِلْمٍ فَاسْأَلْنِي، فَإِنْ كَانَ لِي عِلْمٌ خَبَّرْتُكَ بِهِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: وَاللهِ إِنْ كُنَّا فِي الجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي أَمْرٍ أَتَأَمَّرُهُ، إِذْ قَالَتِ امْرَأَتِي: لَوْ صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مَا لَكِ، وَلِمَا

هَا هُنَا وَفِيمَ تَكَلُّفُكِ فِي أَمْرٍ أُرِيدُهُ، فَقَالَتْ لِي: عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، مَا تُرِيدُ أَنْ تُرَاجَعَ أَنْتَ وَإِنَّ ابْنَتَكَ لَتُرَاجِعُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ مَكَانَهُ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ حَفْصَةَ، فَقَالَ لَهَا: يَا بُنَيَّةُ إِنَّكِ لَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَاللهِ إِنَّا لَنُرَاجِعُهُ، فَقُلْتُ: تَعْلَمِينَ أَنِّي أُحَذِّرُكِ عُقُوبَةَ اللهِ، وَغَضَبَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَا بُنَيَّةُ لاَ يَغُرَّنَّكِ هَذِهِ الَّتِي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا حُبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهَا - يُرِيدُ عَائِشَةَ - قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ لِقَرَابَتِي مِنْهَا، فَكَلَّمْتُهَا فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، دَخَلْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَبْتَغِيَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ، فَأَخَذَتْنِي وَاللهِ أَخْذًا كَسَرَتْنِي عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُ أَجِدُ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا، وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِذَا غِبْتُ أَتَانِي بِالخَبَرِ، وَإِذَا غَابَ كُنْتُ أَنَا آتِيهِ بِالخَبَرِ، وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْنَا، فَقَدِ امْتَلَأَتْ صُدُورُنَا مِنْهُ، فَإِذَا صَاحِبِي الأَنْصَارِيُّ يَدُقُّ البَابَ، فَقَالَ: افْتَحِ افْتَحْ فَقُلْتُ: جَاءَ الغَسَّانِيُّ، فَقَالَ: بَلْ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، اعْتَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْوَاجَهُ، فَقُلْتُ: رَغِمَ أَنْفُ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ، فَأَخَذْتُ ثَوْبِي فَأَخْرُجُ حَتَّىٰ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ يَرْقَىٰ عَلَيْهَا بِعَجَلَةٍ، وَغُلاَمٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَدُ عَلَىٰ رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: قُلْ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَأَذِنَ لِي، قَالَ عُمَرُ: فَقَصَصْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الحَدِيثَ، فَلَمَّا

بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ لَعَلَىٰ حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ»[1].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بُيُوتِكُمْ، لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ، أَوْ شِعْبَ الْأَنْصَارِ»[2] فبكىٰ الأنصار، لما سمعوا من النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الموعظة البليغة .

فسؤال الناس أمر لهم يؤدي إلىٰ إخراج الضغائن عليه، وما قُتِلَ من قُتِلَ، وما شُرِّدَ من شُرِّدَ، وما قُطِعَت الأرحام الىٰ ذلك كما قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ على أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[3].والكلام يطول.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٩١٣).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٣٦٠٨)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٧٨).

والشاهد: أن هذا الحديث ضعيف السند وضعفه شديد لا تقوم به حجة علىٰ ما تقدم مع أن بعض أهل العلم قال: هذا الحديث عليه نور النبوة لكن لم يثبت عن النبي ﷺ فلا نثبته والحمد لله.

الحديث الثاني والثلاثون

«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عنْ أَبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (عنْ أَبي سَعيدٍ الخُدريِّ): وهو: سَعدِ بنِ مَالِك بنِ سِنَانٍ الْأَنْصَارِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو من المكثرين عن رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **هذا حديث حسن بمجموع طرقه**؛ فقد جاء من حديث عُبَادة بن الصامت، ومن حديث ثعلبة بن مالك، ومن حديث ابن عباس وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وكلها ضعيفة، وبمجموع الطرق والشواهد يرتقي الحديث إلىٰ الاحتجاج، وهو قاعدة مهمة من قواعد الدين، وهي قاعدة دفع الضرر ورفعه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٢٣٤٠، ٢٣٤١)،وأحمد حديث رقم: (٢٨٦٥)، ومالك في الموطأ حديث رقم: (٢١٧١).

- قال النووي: [حَدِيْث حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَالدَّارَقطْنِيّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا، وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي المُوَطَّأِ عَنْ عَمْرو بنِ يَحْيَىٰ عَنْ أَبِيْهِ عَن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلاً فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيْدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّيْ بَعْضُهَا بَعْضًا]

وهذا من وجيز كلام النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجوامعه وقد اختلفوا في معنىٰ (**لا ضرر ولا ضرار**) هل معناهما واحد أم أن بينهما فرقًا؟

الجواب: ذكروا فروقًا:

الأول: أن لا ضرر بمعنىٰ لا ضرار والثانية توكيد للأولىٰ.

الثاني: أن الضرر ما يُدخِل هو علىٰ غيره، **والضرار**: ما يدخله غيره عليه.

الثالث: وقيل: الضرر أن يضر بمن لا يضره، **والضرار**: أن يضر بمن قد ضر به علىٰ وجهٍ غير جائز.

وعلىٰ أي حالٍ فإن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أمر برفع الضرر.

ومن هذا الباب تحريم أغلب المحرمات فإنها حُرِّمَت لدفع الضرر، إذ أن الضرر قد يكون نفسيًا، وقد يكون ماليًا، وقد يكون بدنيًا، فَحُرِّمَ كل ما يؤدي إلىٰ الضرر: من قطيعة الأرحام. وأذية الجيران ،والسب، والشتم للمسلمين، والتهاجر، والتقاطع، والتدابر، كل ذلك حُرِّم في ديننا، رفعًا للضرر ومنه النهي أن يخطب الرجل علىٰ خطبة أخيه، أو أن يبيع علىٰ بيع أخيه، أو أن يكون حاسدًا أو منافسًا، أو متجسسًا علىٰ أخيه، فأغلب النواهي من هذا الباب.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تنافسوا ولا تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلَا تَهَاجَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضَكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ،**

وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا يَخْطُب بَعضُكم عَلَى خِطْبَةِ بَعْض، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»[(١)]، وما أُرسِلت الرسل، وأُنزلت الكتب، إلا لدفع الضرر الحاصل علىٰ الناس في عقائدهم، وأخلاقهم.

وحُرَّمَ الضرار في الوصية ، وَحُرِّمَ المضارة عند الحضانة، والرضاعة، وَحُرَّم الضرر في كل حين قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣٣].

بل إن النَّبِي ﷺ قد جَوَّز دفع الصائل ولو أدىٰ إلىٰ قتله دفعًا لضرره: قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، "أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ»[(٢)].

---

(١) الحديث جُمِعَ من ألفاظٍ متعددة، وأخرجه مسلم والبخاري.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٤٠).

وفي حديث المقداد في "مسلم": وَلَمَّا عَضَّ أحدهم يد أخيه قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَدْتَ أَنْ تَقْضَمَهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ؟»[١]،وأهدر ما تكسر من أسنانه.

ولمَّا قَتَل ذلك الرجل سابة النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ»[٢].

وقد أمر بقتل الفواسق في الحِل، والحَرَم، العقرب، والحية، والحُدياء، والكلب العقور، والغراب الأبقع كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وذلك للضرر الحاصل منها علىٰ المسلمين ، وأمر بقتل الحية كما في حديث عَبْدِ اللهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَارٍ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ (وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا)، فَنَحْنُ نَأْخُذُهَا مِنْ فِيهِ رَطْبَةً إِذْ خَرَجَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ فَقَالَ «اقْتُلُوهَا»، فَابْتَدَرْنَاهَا لِنَقْتُلَهَا فَسَبَقَتْنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «وَقَاهَا اللَّهُ شَرَّكُمْ كَمَا وَقَاكُمْ شَرَّهَا»[٣].

- والواجب على المسلم: أن يؤدي إلىٰ الناس ما تضمنه، حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٤]، أي: من

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٤٠).

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (٤٠٧٠).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٢٣٤).

(٤) تقدم تخريجه.

الخير ومفهومه: (أنه لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكره لأخيه ما يكره لنفسه) أي: من الشر.

وتجد أن كثيرًا من الحكام وقد مضوا علىٰ معنىٰ هذا الحديث في حل القضايا، والنزاعات فَوُضِعَت المحاكم، ونُصِبَ فيها الحُكام، من أجل دفع الضرر الحاصل علىٰ الناس، إما بأخذ أموالهم وإما بهتك أعراضهم، وإما بأذيتهم.

وانظر إلىٰ ما يتعاطاه كثير من أهل الشر، هو من إرادة الضرر بالناس كالسحر ومع ذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، فالضرر قد يقع علىٰ الإنسان باعتقادٍ كما هو حال الكفار حين اعتقدوا في معبوداتهم المربوبة، المخلوقة، أنها تنفع وتضر مع الله عَزَّوَجَلَّ أو من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن نبيه أنه لا يستطيع نفع نفسه، أو دفع الضرر عنها إلا إذا دفع الله عَزَّوَجَلَّ عنه؛ وذلك لأنه مخلوق مربوب ، فمن باب أولىٰ الآلهة التي هي من الحجارة المزعومة، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨٨]، ولو عمل الناس

بهذا الحديث لاستقام حالهم ومآلهم، فإن أغلب الشر الحاصل، والواقع علىٰ الناس في الدنيا والآخرة، هو بسبب الضرر الواقع عليهم، أو الواقع منهم فكم من إنسان يُقتَل في الدنيا، أو يؤخذ ماله أو يُسجَن، أو يُسَب، أو غير ذلك ، إضرارًا به من الظالمين الغاشمين.

وكم من إنسانٍ تفسد آخرته، بسبب إفساده لنفسه في الحياة الدنيا، بالكفر والمعاصي، والشركيات، والبدع والخرافات، فيجعل المسلم علىٰ نفسه هذا الحديث لاَ ضَرَرَ: أي من نفسه علىٰ الغير، وَلاَ ضِرَارَ: أي من الغير علىٰ نفسه، علىٰ إحدىٰ المعاني المذكورة.

وقد جاء في، حديث عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم: «وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»[1]، فإذا فعلنا ذلك رُفِع الضرر، وذهب الشر، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ هذا الدين دين يسر فرفع عن أصحابه الأغلال والآصار.

- وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف:١٥٧] [الأعراف: ١٥٧].

---

(١) تقدم تخريجه.

ومن رفع الضرر واليسرية في الدين:

- أن الله ذلك أنه أباح التيمم في شدة البرد، إن خشوا علىٰ أنفسهم الهَلَكة أو كان أحدهم مريضًا.

- وأباح التيمم للمسافر الذي لا يجد الماء، أو حتىٰ المقيم الذي لا يجد الماء أو يعوزه الماء، وأباح الفطر في رمضان للمسافر، والمريض، والحبلىٰ، والمرضع.

- وقُصِرَت الصلاة علىٰ المسافر، وكل هذا من التخفيف عن الناس، حتىٰ لا يلحقهم الضرر.

ولو تأملنا ما كان عليه النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه أصحابه الكرام لوجدنا أن صلاح العبد في الدنيا والآخرة باتباع سبيل المؤمنين، فهو الذي لا ضرر فيه ولا ضرار.

وأما إذا تُرِكَ الناس إلىٰ أهوائهم، وأذواقهم، وآرآئهم وأقسيَتهم، فإن الضرر حاصلٌ عليهم في المسائل العلمية والعمَلية، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢]، والاختلاف سبب للضرر في الدين والدنيا وانظروا ما حل بالأمة من الثورات، والانقلابات، وغير ذلك من الفتن بسبب اختلافها فضر بعضهم بعض، وضار بعضهم علىٰ بعض، فتفرقوا وصاروا شيعًا: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

﴿٣٩﴾[الروم:٣٩]، ثم بغىٰ بعضهم علىٰ بعض حتىٰ حل الشر بالبلاد وتَمَكَّن من لا يُرضَىٰ عند كثيرٍ من المسلمين، بل عند جميع المسلمين.

- **وقد يُعَبِر بعضهم عن هذا الحديث بقاعدة**: (الضرر يزال) أي: لا بد من رفع الضرر وإزالته، والكلام عليه يطول، فهو من القواعد الأصولية الجامعة، وهو من جوامع كَلِم النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

- **وهو من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام**؛ كما ذكر النووي رَحِمَهُٱللَّهُ ذلك، وما زال العلماء يحتجون به ويستدلون به في جميع القضايا، النازلة، والحاصلة، **وبالله التوفيق**.

❁ ❁ ❁

الحديث الثالث والثلاثون

«الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»(١).

الشَّرْح

قوله: (وَبَعْضُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ"): هو في "الصَّحِيحَيْنِ" بلفظ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وأَمْوَالَهُمْ وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ»، وهو بهذا اللفظ الذي ساقه المصنف له شواهد، ويدل علىٰ هذا المعنىٰ ما في الصحيحين عن الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي بِئْرٍ، فَاخْتَصَمْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ»(٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرىٰ" حديث رقم: (٢٠٩٩٠)، وفي البخاري بمعناه: حديث رقم: (٤٥٥٢)، ومسلم حديث رقم: (١٧١١).

- قال النووي: [حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ"]

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٥١٥).

❁ **وهذا الحديث أصلٌ عظيم** في باب الدعاوىٰ والشهادات وهو بابٌ يدخل في مسائل كثيرة، في باب الحقوق والحدود، ومدار مسائل الباب تعود إلىٰ هذا الحديث.

قوله: («لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ»): **معناه**: أن المال أو الحق لا ينتقل إلىٰ شخصٍ بمجرد الدعوىٰ حتىٰ يأتي بما يدل علىٰ أنه له.

- **وقد قيل**:

وَالـدَّعَاوَىٰ إِذَا لَـمْ تَكُـنَّ عَلَـىٰ بَيِّنَـاتٍ أَصْـحَابُهَا أدعيـاءُ

- **وفيه بيان**: بما عليه الناس من المطامع بما في أيدي غيرهم؛ ولهذا وقعت السرقة، النهب، الغصب، وغير ذلك من أنواع أخذ الأموال.

- **وفيه**: **أن الأصل**: أن الإنسان يملك ما تحت يده ويتصرف فيه بيعًا وشراءً وهِبَةً وغير ذلك من أنواع التصرف، فإن جاء من يَدَّعِي ما تحت يده، فالمدَّعِي يُطالَب بالبينة، والبينة في الأموال شاهدان أو شاهد ويمين، أو اليمين إذا نَكَل المُدَّعىٰ عليه.

والأصل: أن البينة تكون بشاهدَيْن، أو بشاهد وامرأتين، أو أربع نسوة تقوم مقام الرجلين، أما في باب الحدود فلا مدخل للنساء في الشهادات.

وجميع أنواع الحدود ليس للمرأة مدخل في باب الشهادات، وإنما الشهادة للرجال، وفيه أن الأصل في أن أموال الناس حرام علىٰ غيرهم، إلا بإذنهم أو بمسَوِغٍ شرعي وهكذا القول في الدماء.

- وفيه: أن الأموال والدماء لا تُهْدَر، فلو هُدِرَت الدماء والأموال لضاعت كثير من الحقوق.

ففي "صحيح مسلم": عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِىْ حَثْمَةَ: أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ كُبَرَاءِ قَوْمِهِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ، وَمُحَيِّصَةَ، خَرَجَا إِلَىٰ خَيْبَرَ مِنْ جَهْدٍ أَصَابَهُمْ، فَأَتَىٰ مُحَيِّصَةُ، فَأَخْبَرَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ قَدْ قُتِلَ وَطُرِحَ فِي عَيْنٍ - أَوْ فَقِيرٍ - فَأَتَىٰ يَهُودَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ وَاللهِ قَتَلْتُمُوهُ، قَالُوا: وَاللهِ مَا قَتَلْنَاهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ، فَذَكَرَ لَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ هُوَ وَأَخُوهُ حُوَيِّصَةُ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ، فَذَهَبَ مُحَيِّصَةُ لِيَتَكَلَّمَ وَهُوَ الَّذِي كَانَ بِخَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُحَيِّصَةَ: «كَبِّرْ كَبِّرْ»، يُرِيدُ السِّنَّ، فَتَكَلَّمَ حُوَيِّصَةُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ مُحَيِّصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِمَّا أَنْ يَدُوا صَاحِبَكُمْ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِنُوا بِحَرْبٍ»، فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، فَكَتَبُوا إِنَّا وَاللهِ مَا قَتَلْنَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُوَيِّصَةَ، وَمُحَيِّصَةَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ: «أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ صَاحِبِكُمْ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَتَحْلِفُ لَكُمْ يَهُودُ»، قَالُوا: لَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ، فَوَادَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ نَاقَةٍ حَتَّىٰ أُدْخِلَتْ عَلَيْهِمِ الدَّارَ[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٦٩).

فالميت إن قُدِّرَ ولم يوجد له غريم، أو لم تُثبَت الدعوىٰ علىٰ غريم بعينه، أن يديه بيت مال المسلمين؛ لأن المسلم حقه عظيم ومنزلته رفيعة، ودمه عزيز فلا يجوز أن يُهْدَر ويصير كدماء الحيوانات، من الكلاب وغيرها.

- وفي الحديث بيانٌ: أن أغلب الدعاوىٰ بين الناس في هذين البابين، باب الأموال والدماء، وباب الأموال بابٌ واسع إما أن تكون الدعاوىٰ فيه في باب الإرث، أو الغصب، أو السرقة، أو نحو هذه من الأبواب باب الشراكة.

- **وباب الدماء** إما أن تكون الدعاوىٰ فيه في باب القتل والقتل أنواع العَمد وله أحكامه، وشبه العَمد وله أحكامه، والخطأ وله أحكامه، وإما أن تكون في باب الأرُوش وبابه واسع أيضًا فمنه ما يصل فيه الأرش إلىٰ الدِية كإتلاف العينين، أو الأنف، أو اللسان، أو الذَكَر، أو اليدين، فكل ما كان من عضو واحد في الجسم، فأُتلِفَ ففيه الدية، وما كان من عضوين وأُتلِفَ ففي الواحد نصف الدية، وفي الاثنين الدية، وما كان مجموعة مثل الأصابع فَتُقَوَّم الأصابع جميعًا في اليدين علىٰ دية وأصابع الرجلين علىٰ دية.

- **والقول في باب الأُروش** علىٰ هذا فعندك أنواع من الجِنايات، مِنْهَا الدَّامِيَةُ، والمُحْمَّرَة، والمُسْوَدَّةُ، والهاشمة، والجائفة، وغير ذلك ولكل نوعٍ منها حكمها.

- **ومما تقع فيه لدعاوى**: باب الاعراض لكن هذا بابه مضبوط، فإن كانت التهمة قذف ولم تُثبت التهمة فعليه أن يُجلَد ثمانين جلدة، وإن ثبتت التهمة بأربعة شهود علىٰ المُحْصَن رُجِم، أو أربعة شهود علىٰ البِكر جُلِد.

قوله: («لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي»): هذا هو الأصل، الأصل أن البينة علىٰ المدَّعِي فإن جاء رجل يطالب آخر بمالٍ، أو عِرضٍ، أو دمٍ، أو غير ذلك فيُطَالَب بالبينة أن هذا قَتَل وليه، أو أخذ ماله، أو هتك عرضه، إذ لو لم تكن هنا بينه لربما تجرأ كثير ممن قلة أخلاقه، وورعَهُ وأن يشتكىٰ بالأفاضل إما للحصول علىٰ تعويض، وإما للتشويه أو نحو ذلك.

- **والبينة تكون** بشاهدَين أو بشاهدٍ وامرأتين، أو بأربع نسوة، فإن لم يكن هذا فبشاهدٍ مع اليمين كما في حديث ابن عباس وغيره في الصحيح أن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قَضَى بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ»[1].

وخَالَف في هذه المسألة الأحناف بدعاوىٰ الرأي التي دائمًا تقوم علىٰ خلاف النص في الغالب والصواب أن الذي قضىٰ بشاهدَين عدلَين هو الذي قضىٰ باليمين مع الشاهد، كما في حديث اِبْن عَبَّاسُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَجَاءَ عَنْ جَابِرٍ، وَجَاءَ عَنْ غَيْرِهِ.

- **والشاهد**: يكون مع يمين المُدَّعِي، قد يقول قائل: كيف يأخذ هذا المدعي الحق بشاهدٍ واحد؟

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٣٤٣).

- نقول: المُدَّعِي مع الشاهد ثم يضاف إلىٰ ذلك اليمين يقوي أن الحق له، فإذا لم يكن شهود فلا يجوز أن نعطي اليمين للمُدَّعِي مباشرة وإن قال به بعضهم، وإنما الواجب أن يكون اليمين في حق المُدَّعَىٰ عليه يدافع عن عرضه، ويدافع عما طُلِبَ منه، فيكون منه اليمين، فإن أبىٰ المُدَّعَىٰ عليه أن يدفع اليمين ونكَل فإن اليمين تعود علىٰ المُدَّعِي فإذا حلف رُدَ إليه وأخذ ذلك المال والحق.

فائدة من كتابي: (التبيان في أحكام الأيمان): [فَائِدَةٌ: قَالَ اِبْنُ القيم كَمَا فِي المَوْسُوعَةِ الفقهِيَّةِ وَالتَّحْلِيفِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:.

* تَحْلِيف المُدَّعِي..
* وَتَحْلِيف المُدَّعَىٰ عَلَيْهِ..
* وَتَحْلِيف الشَّاهِدِ.

فأما تحليف المُدَّعِي: ففيها صور:

أحدها: (القسامَة): والقسامَة: أن يُقْتَل رجل بين قومٍ ولم يُدرىٰ من قتله، فعند ذلك يُطَالَب أهل تلك المَحِلَة بخمسين يمين أنهم ما قتلوا وما علموا أو يُطَالَب أولياء القاتل أن يُقسموا خمسين يمين، علىٰ شخصٍ بعينه أنه القاتل ويُقتَل به، هذا هو المذهب الصحيح وإن خالف فيها عمر بن عبد العزيز، وأبو قلابة وغيرهم.

الثاني: (**القَسَامة مع اللَوَّث في الأموال**) **الأولىٰ**: القَسَامة في الدماء، **الثاني**: القَسَامة مع اللَوَّث في الأموال.

كأن يوجد قرائن علىٰ أن المال عند فلان ما هناك يقين علىٰ أن المال عنده لكن سُرِقَ المال فأتينا إلىٰ بيت ذلك الرجل وجدنا بعض الأمتعة التي كان المال فيها، أو رأينا الرجل تغَيَّر حاله إلىٰ الأحسن أو أن الرجل قبل السرقة كان يتردد علىٰ ذلك المكان، فهذه قرائن تجعل اللَوَث علىٰ هذا الرجل أنه هو الذي سرق.

الثالث: (**إذا رُدَت اليمين عليه**) وهذه هي التي ذكرناها سابقًا أن البينة علىٰ المُدَّعِي واليمين علىٰ من أنكر فإذا أبىٰ المنكِر أن يحلف رُدَت علىٰ المُدَّعِي.

الرابعة: (**إذا شهد له شاهدٌ واحد**) للحديث المتقدم حديث ابن عباس وغيره أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَضَىٰ بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ »...

الخامسة: (**في مسألة تَداعِي الزوجين، والصانعين، مسائل التداخل**)، يعني قد يكون هذا الحق للزوجة وقد يكون الحق للزوج، وقد يكون بعض الحق للزوجة وقد يكون بعض الحق للزوج، أُناس متداخلين فهنا تارة يُقسِم هذا، وتارة يُقسِم هذا، حتىٰ ننتهي من القضية.

السادسة: (**تحليفه مع شاهديه**) وهذه مسألة خلافية والصحيح أنه لا يُحَلَّف، يقال وهو ما يفعله كثير من الخصوم الآن بعد أن يأتي الرجل بالشهود

يقول أنا ما سأعطيه حتىٰ يَقسِم هو أيضًا، ما يلزمه، هو يلزمه أن يأتي بالبينة فإذا جاء بالبينة ثبت الحق له. أهـ

وإذا قال المُدَّعَىٰ عليه: أنا ما أعطيه إلا أن يأتي مع البينة بيمين نقول لا يلزمه شرعًا وإن قال به بعض أهل العلم.

- مسألة تغليظ اليمين: وتغليظ اليمين عندهم ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

تغليض زَمَانِي.

وتغليض مَكَانِي.

وتغليض فِي كَيْفِيَّةِ اليَمِينِ.

أما التغليظ الزماني: فاستدل له من يجوزه ويراه لما ثبت في الصحيحين عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وذَكَرَ منهم: «وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ فَأَخَذَهَا وَلَمْ يُعْطَ بِهَا»[1].

وأما التغليظ المكاني: فيُستدل له بحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَيُّمَا امْرِئٍ مِنَ النَّاسِ حَلَفَ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا حَقَّ مُسْلِمٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ، وَإِنْ عَلَى سِوَاكٍ أَخْضَرَ»[2]، كأن يحلف في المسجد، أو يحلف عند الكعبة، أو يحلف في مسجد النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٢١٢).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٥٠٢٤).

وأما التعظيم في القول: فقد جاء عن بعضهم مثل قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لليهود، ففي "مسند أحمد بن حنبل": عن عبد الله بن عباس: حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهَا، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، فَكَانَ فِيمَا سَأَلُوهُ أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ؟ قَالَ: «فَأَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَطَالَ سَقَمُهُ، فَنَذَرَ لِلَّهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللَّهُ مِنْ سَقَمِهِ، لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، فَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، لُحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟»، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَم[1].

قيل: هذا فيه تغليظ وكان النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربما قال: «لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»، وأيضًا من جاء بالبينة وأخذ المال، لا يجوز أن يُطعَن في عرضه ويأتي ذاك اليوم الثاني أو بعد أيام ويقول: أنت يا ظالم أخذت مالي، وأخذت أرضي، أو أخذت عرضي وقد أخذ الحق ببينته لا يجوز أن يُعيّر وهكذا إن أخذ الحق المدَّعَىٰ عليه باليمين، كأن يكون اتُهِم بالسرقة ثم لم تثبت عليه السرقة لا يجوز أن يُعيّر بذلك أو اتُهِمَ بالزنا ولم يثبت عليه الزنا لا يجوز أن يُعيّر بذلك، ويُعتبَر ذلك من القذف، بقي معنا ما جاء عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الْيَمِينُ عَلَى

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٤٧١).

نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ»[١]، فكثير من الناس ربما جاءه الإنسان يُحَلِّفه علىٰ أمرٍ من الأمور، فيقول أحلف له علىٰ ما في نيتي فهل هذا يجوز له؟

الجواب: النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الْيَمِينُ عَلَى نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ»، قال العلماء: هذا لا يكون إلا إذا طلب منه القاضي أما إذا حلف ابتداءً فاليمين علىٰ نيته، علىٰ نية الحالف لكن إذا طلب القاضي من الإنسان أن يحلف علىٰ شيء فحلف مُوَرِّيًا فإن اليمين علىٰ نية المستحلِف ويلحقه اليمين الغموس، التي قال عنها النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»[٢]، و جاء عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الْيَمِينُ الْغَمُوسُ الْكَاذِبَةُ تَذَرُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ»[٣]، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ العون والسداد، **والحمد لله رب العالمين.**

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦٥٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٣٨).

(٣) "مسند الشاميين" للطبراني حديث رقم: (٢٥٤٣).

الحديث الرابع والثلاثون

«مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي سَعِيدُ الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(١).

الشَّرْح

❁ هَذَا الحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَفِيهِ قِصَّةٌ مِنْ طَرِيقِ طَارِقَ اِبْنِ شِهَابَ قَالَ: أَوَّلُ مِنْ بَدَأَ بِالخُطْبَةِ يَوْمَ العِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَهُوَ أَبُو سَعِيدُ فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الخُطْبَةِ قَالَ قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ فَقَالَ أَبُو سَعِيدُ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَىٰ مَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ» الحَدِيثِ .

- في الحديث: فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، ولعن الله عَزَّوَجَلَّ بني إسرائيل لأمورٍ:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٩)، والترمذي حديث رقم: (٢١٧٢)، والنسائي حديث رقم: (٥٠٠٨)، وأبو داود حديث رقم: (١١٤٠)، وابن ماجه حديث رقم: (١٢٧٥).

- ومنها: (ترك الأمر بالمعروف)، والنهي عن المنكر قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [سورة المائدة:٧٨-٧٩].

وامتدح الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر، وقول الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ [سورة آل عمران:١١٣-١١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [سورة التوبة:٧١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [سورة الأعراف:١٩٩].

وقد نجىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر من العذاب، قال تعالىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣ وَإِذۡ

قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

[الأعراف: ١٦٣-١٦٥].

والأحاديث والآيات في فضيلة هذه الشعيرة كثيرة، ومنها حديث النعمان بن بشير قال: ما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[(١)].

ودعوة الرسل قائمة علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالدعوة إلىٰ التوحيد، وما دونه من الأعمال الصالحة امر بمعروف والتحذير من الشرك وما دونه من الأعمال السيئة نهي عن منكر.

- **والحديث رتَب تغيير المنكر علىٰ ثلاثة درجات:**

أعلاها التغيير باليد، وثانيها التغيير باللسان، وثالثها التغيير بالقلب، وذلك أضعف الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٩٣)، عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ جَاءَ نَحْو هَذَا الحَدِيثِ عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ عند مُسْلِمٍ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيُقْتَدَوْنَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمِنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمِنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[1].

وإن كان هذا الحديث قد انتقد بعضهم هذه الكلمة: «فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»، قال: **من عقيدة أهل السنة والجماعة**: أنهم لا يخرجون علىٰ الأمراء المسلمين.

- **وفي هذا الحديث ما يخالف ذلك فكان الجواب**: أن الجهاد باليد لا يلزم منه الخروج علىٰ الحُكَّام وإنما يلزم أن الإنسان يتْلِف ما تحت يده أو ما يستطيع إتلافه من المنكرات بما لا فتنة فيه.

- **وأعلىٰ هذه المراتب التغيير باليد**؛ لأن التغيير باليد قد يزول معه المنكر جملة إلا أنه ينبغي للمُغَيِّر أن يراعي أحوالًا ومن ذلك أن لا يغير منكرًا بأنكرَ منه، أو يغير منكر بما يساويه، فإن غَيّرَ بمنكر أنكر من المُغَيَّر فقد ارتكب إثمًا عظيمًا، حيث أنه ضاعف المنكر والشر.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٠).

وإن غيَّره بمثله فهذا من العبَث إذ لم تقع مصلحة من التغيير، وإن غَيّره بما دونه فهذا لا بأس به وإن غَيّره بإزالته بالكلية فهذا هو الأفضل.

وقد يتعذر علىٰ الإنسان أن يُغَيِّر باليد إما لكثرة المنكرات أو الخوف علىٰ النفس، أو للعاقب الحاصل لا سيما في هذه الأزمنة المتأخرة، لكن إن استطاع أن يُغَيِّر في بيته بيده فذلك له؛ إذ أن الإنسان إن لم يُغَيِّر المنكر يلزمه وعيدٌ عظيم قال النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: مَا مَنَعَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟»، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فَإِذَا لَقَّنَ اللَّهُ عَبْدًا حُجَّتَهُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، وَثِقْتُ بِكَ وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ»[1]، هذا إذا لقَّنَه الله الحجة، أما إذا لم يُلَقَّن الحجة فهي مصيبة عظيمة.

وهذا الوعيد دليلٌ علىٰ أن تغيير المنكر واجب، وعلىٰ كل مسلم أن يقوم به علىٰ قدر ما يستطيع من الرجال أو النساء.

- وفي هذا الحديث: التخفيف عن المسلمين فيما شق عليهم وثَقُل فإنه قال؛ «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ» أي باليد، فليغيره بلسانه أي: بالنصيحة لصاحب المنكر، أو تحذير المسلمين من المنكر والبيان لما عليه هذا المنكر من الضلال، ويدخل في هذا: الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فإنها من باب تغيير المنكر والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١١٢٤٥) عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجاء عند ابن ماجه حديث رقم: (٤٠١٧).

هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٤].

فالدعوة من أعظم أبواب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، سواءً كان ذلك في الخِطابة، أو التأليف، أو المحاضرات، أو النصائح الفردية، علىٰ ما يقوم به الناس ولولا أن الله عَزَّوَجَلَّ هيأ للمسلمين الدعاة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لفسدت أخلاقهم وفسدت القِيَم الإسلامية التي أُمِروا بالتمسك بها، وحصل الشر العريض، لكن ما إن تظهر فتنة إلا ويقوم الدعاة المصلحون بالتحذير منها والدعوة إلىٰ ضدها، والثبات علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ، فيحصل الخير العظيم، فإن الإنسان بطبيعته يجهل فيحتاج أن يُعَلَّم، وينسىٰ فيحتاج أن يُذَكَّر وربما غَفَل فيحتاج أن يُنَبَّه.

- **وَانْظَرْ إِلَىٰ مَا جَاءَ فِي قصة موت عمر:** أَقْبَلَ رَجُلٌ شَابٌّ يُثْنِي عَلَىٰ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ طُعِنَ وَالنَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، فَقَالَ: **"يَا بُنَيَّ، ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَتْقَىٰ لِرَبِّكَ وَأَنْقَىٰ لِثَوْبِكَ"**[(١)].

- **وعن عمرو بن ميمون قال:** رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَفَ عَلَىٰ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: " كَيْفَ فَعَلْتُمَا، أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ؟ قَالاَ: حَمَّلْنَاهَا

(١) "تاريخ المدينة" لابن أبي شيبة حديث رقم: (٣/ ٩٣٥).

أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ، قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ، قَالَ: قَالاَ: لاَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللهُ، لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ العِرَاقِ لاَ يَحْتَجْنَ إِلَىٰ رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّىٰ أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ حَتَّىٰ يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ العِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لاَ يَمُرُّ عَلَىٰ أَحَدٍ يَمِينًا وَلاَ شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّىٰ طَعَنَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَىٰ الَّذِي أَرَىٰ، وَأَمَّا نَوَاحِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ، فَصَلَّىٰ بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاَةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلاَمُ المُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنَعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللهُ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ العُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، - وَكَانَ العَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا - فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ. فَاحْتُمِلَ إِلَىٰ

بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لاَ بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِبُشْرَىٰ اللهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلاَمَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَىٰ لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَىٰ لِرَبِّكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَىٰ لَهُ، مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلاَ تَعْدُهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا المَالَ انْطَلِقْ إِلَىٰ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلاَمَ، وَلاَ تَقُلْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ اليَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ السَّلاَمَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ اليَوْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ، قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي،

ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَىٰ مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ، وَجَاءَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّىٰ عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلاَ خِيَانَةٍ، وَقَالَ: أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا، ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَىٰ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الأَمْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الإِسْلاَمِ، وَجُبَاةُ المَالِ، وَغَيْظُ العَدُوِّ، وَأَنْ لاَ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ ، وَأُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ، وَمَادَّةُ الإِسْلاَمِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوفَىٰ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ، فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأُدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ،

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَىٰ ثَلاَثَةٍ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَىٰ عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَىٰ عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَىٰ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ، فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ وَاللهُ عَلَيْهِ وَالإِسْلاَمُ، لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ؟ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللهُ عَلَيَّ أَنْ لاَ آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ قَالاَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالقَدَمُ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ، وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلاَ بِالْآخَرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ المِيثَاقَ قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ[1].

- شرح مفردات الحديث: [(كيف فعلتما) في أرض سواد العراق. (أتخافان) هل تخافان. (حملتما الأرض) فرضتما علىٰ أهلها وكان قد بعثهما ليضربا الخراج والجزية علىٰ أهلها. (ما فيها كبير فضل) ليس فيها زيادة كثيرة. (أرامل) جمع أرملة وهي من مات زوجها. (غداة..) صبيحة طعنه. (الكلب) أراد به المجوسي الذي طعنه. (العلج) هو الرجل من كفار العجم. (برنسا) كساء يجعله الرجل في رأسه. (يليه) يقرب منه ويأتي في الصف خلفه. (الصنع) الصانع وكان نجارا وقيل نحاتا للأحجار. (رقيقا) مملوكا. (كذبت) أخطأت في

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٧٠٠).

قولك. (بنبيذ) نقيع التمر والزبيب قبل أن يشتد ويصبح مسكرا. (جوفه) أي من جرحه مكان الطعنة تحت السرة. (قدم) فضل وفي رواية (قدم) أي سبق في الإسلام. (كفاف) هو الذي يكون بقدر الحاجة ولا يفضل عنه شيء. (ابن أخي) يا ابن أخي في الإسلام. ولله درك يا صاحب رسول الله ﷺ فإنك لم يشغلك ما أنت فيه من سكرات الموت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للمسلمين. (أنقىٰ لثوبك) أي أطهر وفي رواية الكشميهني وأبقىٰ أي فإنه لطوله يبلىٰ بوقت قصير. (أتقىٰ لربك) فإنه أبعد عن الخيلاء عندما يكون قصيرا وأبعد أيضا عن التلوث بالنجاسات. (قضيت) خرجت روحي ومت. (فولجت) دخلت. (داخلا لهم) مدخلا لأهلها. (ليس له من الأمر شيء) أي لا يكون هو الخليفة. (كهيئة التعزية له) قيل هذا من كلام الراوي وليس من كلام عمر رضي الله عنه. (أصابت الإمرة سعدا) اختير هو للإمارة والمراد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. (فهو ذاك) أي فهو أهل لها وجدير بها وقد صادفت محلها. (الأمصار) البلدان الإسلامية التي فتحت جمع مصر. (ردء الإسلام) عونه الذي يدفع عنه ويمده بالقوة. (جباة المال) هم الذين يجمعون الأموال منهم ويقدمونها للدولة الإسلامية. (غيظ العدو) يغيظون الأعداء بكثرتهم وشوكتهم. (فضلهم) ما فضل عن حاجتهم. (مادة الإسلام) أي الذين يعينون المسلمين ويكثرون جيوشهم ويتقوىٰ بزكاة أموالهم وكل ما أعنت به قوما في حرب أو غيره فهو مادة لهم. (حواشي أموالهم) الوسط التي

ليست خيرها وليست أسوأها. (من ورائهم) يدافع عنهم. (تبرأ من هذا الأمر) أعلن أنه لا يرغب أن يكون هو الخليفة. (فنجعله إليه) نكل أمر اختيار الخليفة إليه. (والله عليه والإسلام) الله رقيب عليه يحاسبه علىٰ فعله والإسلام حاكم عليه بأحكامه. (لينظرن أفضلهم في نفسه) ليفكر في نفسه وليختر الذي يراه الأفضل من غيره. (الشيخان) علي وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. (لا آلو) لا أقصر في اختيار أفضلكم. (أحدهما) هو علي رضي الله تعالىٰ عنه. (خلا بالآخر) انفرد به وهو عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (الميثاق) العهد والظاهر أنه أخذ العهد من الجميع. (ولج أهل الدار) دخل أهل المدينة بعد مبايعة أهل الشورىٰ].

فأَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمعروف ونهىٰ عن المنكر حتىٰ وهو في سياقة الموت وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل موته جعل يحذر من أنكر المنكرات وهو الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ فِفِي حَدِيثِ اِبْنِ عَبَّاسَ وَعَائِشَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[1].

- وَجَاءَ عَنْ عُقْبَةِ بِنْ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ علىٰ المنبر قبل موته بخمس ليال: «أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٣٥)، ومسلم حديث رقم: (٤٤٤٣).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٣٢).

ولمَّا دخل الكعبة كَسَّر الأصنام تغييرًا للمنكر باليد ولما رجع من سفر ووجد عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد علَّقَت ستورًا فيها تصاوير هتكها بيده، وَلِمَا رَأَىٰ الحَسَنُ بِنْ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْلَ تَمْرٌ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ نَزْعُهَا بِيَدِهِ وَقَالَ: «كخ كخ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»[1].

- ومنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[2]

- وَلِمَا رَأَىٰ مِنْ عُمَرِ بِنْ أَبِي سَلَمَة مَا رَأَىٰ مِنْ طَيَشَان يَدَهُ فِي الْصَحْفَة قَالَ: «يَا غُلَامَ سَمِّ اللهِ، وَكُلّ بِيَمِينِكَ وَكُلّ مِمَّا يليك»[3].

وكم هي الوقائع والأحداث التي وقعت من رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولًا وفعلًا ووقعت من أصحابه قولًا وفعلًا لتغيير المنكرات الحاصلة بين الناس.

- **وأعظم المنكرات التي تُغَيِّر**: المنكرات العامة، لا سيما المنكرات التي تشيع بين الأمة وتقبلها بسبب دعاة الضلال كالانتخابات، والديمقراطيات، والحكم بغير ما أنزل الله، والدعوة إلىٰ التحزب، والتفرق والدعوة إلىٰ مساواة النساء بالرجال وإلىٰ اختلاط النساء بالرجال.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠٧٢)، ومسلم حديث رقم: (١٠٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٩٥).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٣٧٦).

- **ونحو ذلك**: من البدع والمخالفات الشرعية، فهذه من أفضل ما يُتَقَرَّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بإنكارها، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَفْضَلَ الجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[1]."

- **لكن ينبغي للإنسان**: أن لا يثير الفتن وأن لا يدعو إلىٰ ثورات، أو انقلابات، أو اعتصامات، لأن هذا في حد ذاته من المنكرات إذ يُقْلَد فيها الكفار ويحصل بسببها الشر العظيم والإنسان عليه أن يبين الضلال والخطأ بدون شيء من ذلك.

وكَمَا تَقَدَّمَ حَدِيثُ اِبْنِ مَسْعُود (فمن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن...)، الحديث، وفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلْمَةَ: «فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ»[2]، إلا أني رأيتُ كلامًا لابن عثيمين ويقول بمعناه: [لَا يَكُونُ نَقْدَهُ لِنَفْسِ الحَاكِمِ كَأَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِالشَّخْصِ وَإِنَّمَا يُحَذِّرُ مِنْ المُنْكِرَاتِ الَّتِي تَقَعُ بِإِذْنِهِ أَوِّ بِأَمْرِهِ].

فإن خشيَّ أن تحذيره سيجر إلىٰ فتنة أعظم أو لا يُفهم عنه ما يقول فعليه أن يصبر ويدعو الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٨٨٣٠)، عن طارق بن شهاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٥٤)، عن أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

وهذه المسألة: مسألة تغيير المنكر ينبغي أن يرافقها الرفق؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ: «الرِّفْقُ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»(١).

وكما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»(٢).

فالله عَزَّوَجَلَّ يحب مكارم الأخلاق، وكلما شعر المُنْكر عليه أنك رفيق به، حريص عليه، كانت استجابته أسرع وإذا وجد منك الشدة ربما ازداد نفورًا وإعراضًا.

- **وينبغي لنا جميعًا مع حصول الضعف الإيماني في هذا الباب**: أن نتقوىٰ بالله عَزَّوَجَلَّ، فإن الشيطان يخوف الإنسان كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [سورة آل عمران:١٧٥].

قوله: («فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»): يكره المنكر ولا يحبه ولا يرضاه وهذا النوع لا يُعذَر فيه أحد؛ لأن محبة المنكر والرضا به منكر!، قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [سورة المجادلة:٢٢].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٩٤).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٩٣).

- **وفي الحديث**: دليل علىٰ أن للقلب عملًا كون الإنسان يُنكِر بقلبه، وهو دليلٌ لمذهب أهل الحق من أن: (**الإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالجَنَانِ وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ**).

- **والدليل علىٰ النقص هنا قوله**: «وَذَلِك أَضْعَفُ الإِيْمَان».

فإنكار المنكر من الإيمان، وأعلاه التغيير باليد، واللسان، ثم التغيير باللسان ثم التغيير بالقلب.

- **ويحرص الإنسان في حال إنكاره للمنكر**: أن لا يتتبع العورات وإنما ينكر ما رَآه وعَلِمَه مُنْكَرا يُشترط في المنكِر أن يكون عالمًا بالمنكر، وأن لا يكون متجسسًا.

ورويَّ أنه قيل لعَبْد الله اِبْن مَسْعُودٌ: هَذَا فُلَانٌ لِحْيَتُهُ تَقْطُرُ خَمْرًا فَقَالَ: (**نُهِينَا عَنْ التَّجَسُّسِ**).

وتتبع العورات منكر ففي حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»[1]، وإظهار الفاحشة بين الناس مُنكَر ، وقال

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٣٢).

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [سورة النور:١٩].

- وأعظم المنكر:

* الشِّرْكُ بِاللّهِ عَزَّوَجَلَّ..

* ثُمَّ تَرْكَ الصَّلَاةَ.

- **ويدخل في الشرك بالله**: (تعاطي السحر وتعليق الحروز، والتمائم، وبناء القباب علىٰ القبور)؛ لأنها من ذرائع الشرك .

ولو كان الناس كلهم علىٰ منكر فيجب عليهم الإنكار ولا يُعذَرون فيه كما قال ابن النَّحَاس: (**وَلَا يَمْنَعُ متعَاطِي الكُؤُوسِ أَنْ يَنْصَحَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا**).

- **فإن تغيير المنكر**: فرضٌ علىٰ الأمة، وفرضٌ علىٰ الجماعة ، وفرضٌ علىٰ الشخص، **ومما يدل علىٰ فريضته**: أَنَّ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عَلَّق ترك الإنكار بعدم الاستطاعة.

وأحكام هذا الباب كثيرة، وقد تكلمت عليه بتوسع مع نقولات لأهل العلم وفي كتابي: (**الوَسَائِلُ الجَلِيَّةُ فِي نُصْرَةِ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ**)، لمن أراد أن يتزود، **والحمد لله رب العالمين**.

الحديث الخامس والثلاثون

« المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تناجشوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادُ اللهِ إِخْوَانًا، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمُ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُخَذِّلُهُ، وَلَا يُكَذِّبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُحَقِّرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(١).

الشَّرْحُ

❁ **هذا حديث عظيم**، وَرُوىٰ البُخَارِيُّ بَعْضُ أَلْفَاظِهِ: وَأَوَّلِهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا»(٢).

- **والمتأمل لهذه النواهي يجد**: أنها من أعظم أسباب فساد الأخوة الإيمانية التي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٦٤)، وجاء عند الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد مختصرًا.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٧٢٤)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٦٣).

قوله: («لَا تَحَاسَدُوا»): ففي الحديث: النهي عن الحسد، والحسد أقسام:

- منه: تمني زوال النعمة عن الغير.

- ومنه: عدم محبة النعمة للغير.

- ومنه: المباح.

وهو الذي يكون في التنافس في الخير قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاء النَّهَارِ»[1].

- وعن عبد الله ابن مسعود: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[2].

والحسد من حيثه هو مغروسٌ في النفوس البشرية ولا يسلم إلا من سَلَّمَه الله عَزَّوَجَلَّ منه؛ إلا أنه كما قيل: (اللَّئِيمُ يُبْدِيه وَالكَرِيمُ يُخْفِيه).

- وعلىٰ الإنسان إذا وقع في قلبه شيء من ذلك: أن يجاهد نفسه في إزالته فإنه إذا جاهدها لا يضره ذلك، اما إذا استطرد في ذلك واستحلاه، حتىٰ أصبح يتلذذ بتمني زوال النعمة عن الغير، وتغَيُّر الحال أو عدم زيادة النعمة للغير فإن هذا مذموم وصاحبه علىٰ خطر عظيم مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب ففي

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨١٥)، وجاء عند الترمذي وابن ماجه وأحمد.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧١٤١).

الحديث الذي يُحَسِّنه الشيخ الألباني: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[(١)]، ويُضَعِّفه شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

- **وهو صفة يهودية**، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة النساء:٥٤].

وقال النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»[(٢)]، وكما قيل: (لِلهِ دَرَّ الحَسَدُ مَا أَعْدِلَهُ بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ)، فالحاسد معترض علىٰ أقدار الله عَزَّوَجَلَّ، ومتمني الشر للمسلمين.

- **وقبلها في اللفظ الذي لم يذكره**: «لَا تَنَافَسُوا»: فالتنافس في الدين محمود قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المطففين:٢٦]، وأما التنافس في الدنيا فمؤداه إلىٰ ما تَقَدَّمَ بَيَانَهُ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ عَبْد الرَحْمَنِ بِنْ عَوْف عِنْدَ مُسْلِمٍ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٩٠٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٨٥٦).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٦٢).

قوله: («وَلَا تناجشوا»): **التناجش**: هو الغش والخديعة ويُطلَق علىٰ نوعٍ من البيع، وهو أن يدخل الرجل في البيع والشراء لا يريد السلعة وإنما يريد أن يرفعها علىٰ الناس .

وليس منه بيع مَن يزيد فإن بيع من يزيد جائزٌ لك أن تدخل في بيع فمن زاد في السلعة ورضي صاحبها أخذها أما هذا يدخل ولا يريد أن يشتري إنما يريد أن ينجش علىٰ المسلمين حتىٰ يرتفع السعر، وهذا من الظلم؛ لأنه من أخذ مالٍ الناس بالباطل.

فإن كان باتفاق بين البائع وبينه، فيقع الاثنان في الظلم وإن كان بغير اتفاق فهو واقع في الظلم والعياذ بالله.

ويوضح هذا المعنىٰ: أن النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»، كما سيأتي.

قوله: («وَلَا تَبَاغَضُوا»): والتباغض بالقلب ونحن مأمورون بحب بعضنا بعضا، وبالاعتصام بالكتاب والسنة، فالتباغض سببٌ للتدابر؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم:٣١-٣٢]، وقال الله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

- **فهذه صفة المؤمن**: لا يبغض أخاه المؤمن فَإِنِ أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيمَانُ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي اللهِ.

قوله: («وَلَا تَدَابَرُوا»): غالبًا ما ينتج التدابر عن التحاسد، والتناجش، والتباغض، والتنافس، والتجسس، والتحسس؛ ولهذا قُدِّمَت في النهي قبل هذه العبارة، والتدابر هو إعراض كِلا المؤمنيْن عن بعض.

وَالنَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: نَهَىٰ: أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٌ، قال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[(١)].

وكُنّيَ بالتدابر؛ لأن المعرض عن أخيه كالذي يوليه الظهر، وكلٌ منهم يسير في طريق آخر ونحن مأمورون بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ [سورة المائدة:٢].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٦٠)، عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

- **وأكثر ما يفرق بين الناس**: هي الدنيا؛ لأن التحاسد والتناجش، والتباغض، والتدابر غالبًا لاجلها.

وكم من أُناسٍ يكون حالهم طيب، علىٰ خيرٍ عظيم، ومحبة وتزاور، وتصافي، فإذا ما وقعت بينهم الشراكة وإذا بهم يخالفون ما أُمِروا به من قول النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

وانظر إلىٰ ما قصه الله عَزَّوَجَلَّ علينا من قتل ابن آدم لأخيه قتله بسبب الحسد، ومن أجل التنافس في الدنيا.

قوله: («وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»): فإذا عَلِم المسلم أن آخاه قد دخل في بيع وشراء في هذه السلعة فلا يجوز له أن يدخل في البيع عليها، حتىٰ يعلم أنه قد ترك، وهكذا الخِطبة علىٰ خِطبة أخيه، فهذا من كبائر الذنوب؛ لأنه يؤدي إلىٰ إيغار الصدور، ولأنه انتهاك لحرمة المسلم ومخالفة لأمر النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله: («وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»): هذا دليلٌ علىٰ أن الأخوة الدينية تنافي ما تقدم والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات:١٠]، فدلت هذه الآية مع معنىٰ الحديث علىٰ أن الأخوة الإيمانية مقدمة علىٰ الأخوة الطينية.

وقد آخىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار، آخىٰ بين سلمان وأبي الدرداء، وقد سمىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ العبيد إخوة لنا ففي حديث المعرور بن سويد: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ. فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ

تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مما يأكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِما يَلْبَسُ ولا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ فإنْ تكلَّفوهُمْ فأعِينُوهُمْ»[1].

قوله: («المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمُ»): كل المسلم أخٌ للمسلم وإن بعُدَت الأقطار، وتناءت الديار، واختلفت الأنساب، واختلفت الألوان، والأخ للأخ كاليد للأخرىٰ لا يستغنىٰ أحدٌ عن الآخر ومن تمام الأخوة ألا يظلمه بأخذ ماله أو سفك دمه، أو هتك عرضه فإن الظلم ظلمات يوم القيامة لا سيما ظلم القريب:

وظُلْمُ ذَوي القُربىٰ أشدُّ مَضاضَةً ... علىٰ المَرءِ مِن وَقعِ الحُسامِ المُهنّدِ

والله عَزَّوَجَلَّ قد حرم الظلم علىٰ نفسه كما تقدم معنا وقال: فلا تظالموا."

وقوله: («وَلَا يُخَذِّلُهُ»): **من تمام الأخوة الإيمانية**: أن الأخ يعين أخاه وينصره ولا يكون من المخذِّلين له، أو المخذِّلين عنه، فإن التخذيل لا يجوز لما يؤدي إليه من إضعاف قوة المسلمين.

والتخذيل والظلم قد يكون باللسان، وقد يكون بالجوارح بالأفعال، فالإنسان يبتعد عن جميع أنواع المخالفات الشرعية.

قوله: («وَلَا يُكَذِّبُهُ»): أي لا يكذب عليه، ولا يكذب له، فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور والفجور يهدي إلىٰ النار، وهكذا لا يُكَذِّبه إذا تكلم، إلا إذا تيقن أنه قد وقع في الكذب، فيبين له أنه خالف وإلا فإن الأصل في المسلم العدالة فإذا

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠، ٢٥٤٥).

حَدَّث بحديث يُحمَل علىٰ الصدق لأن الله عَزَّوَجَلَّ إنما أمَرَنا بالتثبت في أخبار الفاسقين فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [سورة الحجرات:٦] وفِي قراءة: [فَتَثَبَّتُوا].

قوله: («وَلَا يَحْقِرُهُ»): أي أنه يحتقره إما لنسبه أو لفقره أو لدمامة خلقه، أو بغير ذلك بمعنىٰ أنه لا يبالي به، ولا يكون منه الاحترام له، بينما المسلم له حقوق علىٰ أخيه المسلم، كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[(١)].

وأبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما قال لبلال: يا ابن السوداء عَيّره النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: وَقَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»[(٢)].

- فالاحتقار لا يجوز لأمور:

الأول: إنه يُدخِل علىٰ المُحتَقَر التألم والتأثر وكسر نفس المسلم لا تجوز.

الثاني: أنه تفاخر وتعاظم واعتراض علىٰ تقدير الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: («التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ»): أي في القلب، والله عَزَّوَجَلَّ لا ينظر إلىٰ الصور والأموال، ولكن ينظر إلىٰ القلوب والأعمال فمن صلح قلبه، صلحت جوارحه وهذا الحديث يفسره قول النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٠)، ومسلم حديث رقم: (١٦٦١).

«أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[1].

وكرر النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثَلَاثًا لبيان أهمية علاج القلوب، والحفاظ عليها، والمراقبة لها، فإن كل فسادٍ يقع من الإنسان أوله القلب، فما من خير أو شرٍ يقع فيه الإنسان، إلا ومبدأه من القلب، بالخاطرة والفكرة ثم بالوقيعة فيه.

- وفيه: دلالة علىٰ أهمية الأعمال الباطنة وصلاح العقائد فإن التقوىٰ إنما تصدر عن صلاح عقيدة.

- وفيه: دلالة علىٰ أن الإنسان يعامل المسلم بما ظهر له، فإنه لا يستطيع أن يحكم عليه بمجرد الظاهر، فإن الباطن هو علامة علىٰ صدق الإيمان والعمل لكن نحكم بالظاهر ولا نظلم، ولا نخذل، ولا نُكذب، ولا نحقِر، وكل امرئٍ حسيبه الله عَزَّوَجَلَّ.

- وفيه: ما كان عليه النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من إعادة الكلام ثلاثا، فإنه كان يُسلم ثلاثا وكان إذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاثا حتىٰ تُفهَم عنه.

قوله: («بِحَسَبِ اِمْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يُحَقِّرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»): أي يكفيه من الإثم احتقار المسلم وكثير من الناس يقع في هذا الأمر في احتقار إخوانه إما لقلة علم عندهم، أو لقلة مالٍ، أول لقلة جاه، أو لدمامة خِلقَةٍ، أو لغير ذلك مما يحتقر الناس بعضهم بعضًا بسببه.

---

(١) تقدم تخريجه عن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فهذا من الشر العظيم بل ينبغي للمسلم إذا رأىٰ المبتلىٰ أو من هو دونه أن يحمد الله عَزَّوَجَلَّ فهو الذي يسر له ما يسر من الخير، ثم يسعىٰ في علاج نفسه، بالدعاء لأخيه والاستغفار له، وهضم النفس، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾[لقمان:١٨].

- وفيه: عِظَم حق المسلم إذا كان حَسبِ اِمْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يُحَقِّرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ: كيف بضربه، كيف بشتمه، كيف بسبه، وكيف بهجرة، إلىٰ غير ذلك مما يلحق المسلم من إخوانه المسلمين.

قوله: («كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ»): ثم أتىٰ بلفظ يدل علىٰ عموم حقوق المسلمين يعني كل ما تقدم من التفاصيل فيه بيان لأنواع الشرور، التي تُسبب الفرقة بين المسلمين وتسبب إيغار الصدور.

- ثم ختمها بتعميمٍ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ» سواءً كان هذا المسلم من طينتك وجلدتك أو كان من البعيدين عنك.

قوله: («دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»): وقد قام النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أعظم المواطن يخطب الناس في أيام منىٰ وعرفات: «أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا هَلْ بَلَّغْت»[1].

- وهذه الثلاثة الأمور هي التي تقع عليها المشَاحَّة يوم القيامة وهي:

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٧).

أولًا: (الدماء): قال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ»[١]، ويقول ابن عمر: (ومن استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم، فليفعل)، ويَقُولُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»[٢]، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[النساء:٩٣].

ثانيًا: (أخذ المال بغير حق) فهذا محرم، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا طَابَتْ بِهِ نَفْسُهُ»[٣]، وقال النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ حِينَ يَنْتَهِبُهَا مُؤْمِنٌ»[٤].

- وحذَّر النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السرقة ومن جميع أنواع البغي التي تؤخذ بها الأموال.

---

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" حديث رقم: (٩٢٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٢٧٠).

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٥٤٨٨).

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٥٧٨).

ثالثًا: (**العرض**): فعرضه من المصونات بالإسلام فلا يجوز قذف المسلم بما ليس فيه وأعظم القذف أن يتهمه بالزنا، أو الفاحشة، وقد رتّب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذلك أن يُجلَد القاذف ثمانين جلدة، جلد المفتري، ولا تُقْبَل له شهادة أبدًا إلا أن يتوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [سورة النور:٤]، حتىٰ إن الله عَزَّوَجَلَّ حرَّم علىٰ الرجل أن يقع في عرض نفسه، مع حرص الإنسان أن لا يقع في عرض نفسه، وقد لا يتكلم إلا إذا رأىٰ شيئًا عظيمًا كما قال ذلك الرجل: يَا رَسُول الله! أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، وَإِنَّ تَكَلَّمَ جَلَدْتُمُوهُ، وَإِنَّ سَكَتَ سَكَتَ عَلَىٰ أَمْرٍ عَظِيمٍ..، فأنزل الله:﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [سورة النور:٤].

فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك كيفية الملاعنة بين الرجل وزوجته وهذا لشدة حقوق المسلمين في باب الأعرض.

- وفي "**مسند أحمد**": عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ الطَّيْرُ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقَعَدْتُ، قَالَ: فَجَاءَتِ الْأَعْرَابُ، فَسَأَلُوهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَتَدَاوَىٰ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ» قَالَ: وَكَانَ أُسَامَةُ حِينَ كَبِرَ يَقُولُ: «هَلْ تَرَوْنَ لِي مِنْ دَوَاءٍ الْآنَ؟»، قَالَ: وَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ، هَلْ عَلَيْنَا حَرَجٌ فِي

كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «عِبَادَ اللَّهِ، وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ إِلَّا امْرَأً اقْتَرَضَ امْرَأً مُسْلِمًا ظُلْمًا، فَذَلِكَ حَرِجَ، وَهَلَكَ» قَالُوا: مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ»[1].

الذي يقع في عرض أخيه المسلم هو الذي يهلك كَمَا فِي حَدِيثِ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»[2].

- **والعرض يدخل فيه**: الغَيْبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالكَذِبُ، وَالبُهْتُ وغير ذلك من أنواع الطعن كالسب، والشتم وما إليه .

❁ **فهذا حديثٌ عظيم** تضمن الأمر بالبُعد عن منهيات كثيرة إذا امتثلها المسلمون صلح لهم دينهم ودنياهم، وصلحت آخرتهم، فَإِنَّ صَلَاح الدِينِ، وَالدُّنْيَا، بِامْتِثَالِ أَمَرَّ اللهِ وَامْتِثَالِ أَمَرَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالبُعْدُ عَنْ نَهْيِ اللهِ، وَعَنْ نَهْيِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **والحمد لله رب العالمين**.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٨٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري" حديث رقم: (٢٤٤٩).

الحديث السادس والثلاثون

«مِنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهِ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سِلَّكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اِجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مَنَّ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1].

الشَّرْحُ

❁ **هذا حديث عظيم** حوىٰ جُمَلًا مما ينبغي المسلم من أخيه المسلم من المبادرة إلىٰ تفريج كربته، وإلىٰ تنفيس همه، وإلىٰ تيسير أمره، وإلىٰ سِتر عيبه، وإلىٰ إعانة أخيه، وما في هذه المذكورات من المنافع علىٰ العبد نفسه في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩٩)، وجاء عند الترمذي حديث رقم: (٢٩٤٥)، وابن ماجه حديث رقم: (٢٢٥)، وأحمد حديث رقم: (٧٤٢٧).

والجزاء من جنس العمل، وكم هي الأحاديث التي يُخبِر بها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الجزاء من جنس العمل ومنها: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»[1]، ويقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْحَموا مَنْ في الأرض يرحمْكُم من في السَّماءِ»[2].

- وفي هذا الحديث جُمَلًا مما يدل ذلك:

أولها قوله:(«مِنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ»): والكربة هم وحزن يأخذ بالنفس وكُرَب الدنيا التي يمر بها المسلمون كثيرة منها الديون، وقلة ذات اليد، وما يلحقهم من الفتن والبلاء، فمن سعىٰ في تنفيس كَرب المؤمنين، كان ذلك من تنفيس كربته يوم القيامة، مع الفرق العظيم فإن كربة الدنيا تزول إما بتغيير حالٍ.

فمن كانت كربته من البيت الضيق عسىٰ أن يأتي البيت الواسع، وإن كانت كربته من قلة ذات اليد عسىٰ أن يأتي الرزق الطيب الواسع، وإن كانت كربته من جارٍ سيئ عسىٰ أن يأتي الجار الخَيِّر، وإن كانت كربته من زوجةٍ مؤذية عسىٰ أن يُخلَف بغيرها من الزوجات الطيبات، وإن كانت كربته من ولدٍ عاق عسىٰ الله أن يصلحه أو ييسر بغيره، وإن كانت كربته من حاكم ظالم عسىٰ أن يغير الله عَزَّوَجَلَّ الحال، المهم أن كُرَب الدنيا زائلة وليست بشيء أمام كُرَب الآخرة، ومع

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦١٣).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٩٢٤).

ذلك لما كان الله عَزَّوَجَلَّ هو الكريم الأكرم أكرم المؤمن بأضعاف أضعاف أضعاف بل لا مقارنة علىٰ عمله.

وعَنْ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، قَالَ: فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»[1].

فهذا تجاوز عن شخص في الدنيا في أمرٍ ربما كان في قطعة قماش، أو كيلو من الأرز، أو البطاط، أو الطماط، أو نحو ذلك من المطعومات والملبوسات فيتجاوز الله عنه يوم القيامة تَجَاوُز الخالق المالك، القاهر، الظاهر عن العبد المحتاج، الضعيف، الفقير، فالجزاء من جنس العمل.

وهذا يدل دلالة عظيمة علىٰ كرامة الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين ومنها ما جاء في مسلم من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٤٨٠).

إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»[1]، فالله عَزَّوَجَلَّ يُكرِم من يُكرم أولياء، فليكن هذا دينك أيها المسلم.

قوله: («وَمِنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»): المعسر من لَحِقَه عُسْر إما بِدَيْن أو بسبب ذلك والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة:٢٨٠]؛ فإذا كان الإنسان في عُسْرٍ وضيقٍ فينبغي أن يُنظَر إلىٰ ميسرة لقضاء دينه، ومن سعىٰ في تيسير أمره يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، فالجزاء من جنس العمل، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦١].

- وفيه: أن الشيء بسببه، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يعجزه أن يفرج كُرَب المكروبين من المؤمنين، وييسر أمر المعسرين، ومع ذلك قضىٰ قضاءً كونيًا أن يكون تفريج الكُرَب وتيسير الأمور بأسبابها، ولا يمنع أن الله عَزَّوَجَلَّ يُكرِم من شاء من أولياءه بما يُسمىٰ بكرامات الأولياء.

لكن هذا في حالاتٍ يشتد عليه العسر والضيق حتىٰ لا يجد ملجأ إلا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فعند ذلك قد تأتيه الكرامة بغير سببٍ ظاهر، وربما كان من أعظم أسباب الكرامة "الدعاء" وغير ذلك من الأسباب.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٦٩).

- وفيه: أن فعل الخير سببٌ لخيرّيّ الدنيا والآخرة، ومن ذلك حَدِيثُ أَنَس عِنْدَ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»[(١)]، فالله هو الكريم، العظيم، الأكرم، المعطي، الغني الحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- ومن أعظم التيسير: التيسير علىٰ المُعْسِرين لا سيما في باب الدَّيْن والنَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ»[(٢)].

وهكذا التيسير في شؤون الدعوة، والفتوىٰ، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا»[(٣)].

وهذا الدين دين يُسْر فينبغي للناس أن يُرفِقُوا بأنفسهم حتىٰ لا تقع عليهم الأغلال والآصار التي كانت علىٰ مَن قبلهم.

قوله: («وَمِنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»): في هذا بيانٌ من النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أن الواجب ستر عورات المسلمين، وعدم التتبع لها، فإن في ذلك مفاسد عظيمة، منها فضح المؤمن، والمؤمن أُمِرَ بِستره والتجاوز عنه، والعفو

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٨٠٨).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٠٠٦)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٩)، ومسلم حديث رقم: (١٧٣٤)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عنه قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»[1].

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حذر من التجسس وتتبع العورات لما في ذلك من فضيحة المسلم فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي حَدِيثِ اِبْنِ عُمَر وَجَاءَ عَنِ البَرَاءُ بِنْ عَازِبٌ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»[2].

فإذا رأيت من مسلم خطأ من الأخطاء فعليك النصح، والتوجيه، مع الستر وعدم السعي في إشاعة الفاحشة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النور:١٩].

والعجيب أن تجد أن أحرص الناس علىٰ كشف عورات المسلمين هم أصحابهم، ومن يجالسوهم، ممن ينبغي أن يكون أشد حرصًا علىٰ كتم الأسرار فإن المجالس بالأمانات هذا إذا لم يكن الأمر يتعلق بالدين أما إذا كان الأمر يتعلق بالدين في التحذير من بدعة، أو شرٍ فلا بأس بذلك فإن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ذهب ينظر شأن ابن صَيَّاد ليعرف شره، ويكون فيه التحذير مما هو قادم عليه

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٨٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٣٢).

من الشر، لكن الواقع أن الناس يتكلمون في أصحابهم وإخوانهم وجُلَسائهم بما لا يسلمون منه، فمِنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

أيما ستر! سترٌ عظيم أن يستر الله عَزَّوَجَلَّ عيبك عن أعين الناظرين.

وفي "مسلم" عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- « إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا »، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[1].

- وما منا إلا وله عيب وكما قال القحطاني:

والله لـو علِمـوا قبـيح سـريرتي ... لأبـىٰ السـلامَ علـيّ مـن يلقـاني

- وذكر بعض السلف: أن قومًا سكتوا عن أعراض غيرهم فستر الله أعراضهم، وإن قومًا تكلموا في أعراض غيرهم فما ماتوا حتىٰ ابتلوا فيما عيروا بِه الناس.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٩٠).

- **ولِعِظَم ستر المسلمين قضىٰ الله** عَزَّوَجَلَّ: أن الفاحشة لا تثبت علىٰ المسلم إلا بأربعة شهود، وَيُغَلَظ في هذه الشهادة، حتىٰ يشهد أنه رأىٰ رؤية المِيل في المُكحِلة، فلا يكفي أن يشهد بأنه رَآه معها، أو رآه في حضنها، حتىٰ يشهد بثبوت الواقعة ثبوتًا لا شبهة فيها، وإن لم تتم الشهادة جُلِدوا سترًا علىٰ المسلمين.

- **ويُذكَر**: أن عُمَر بْن الخَطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في شأن المغيرة بن شعبة حين ذكروا فيه ما ذكروا وجاء الشهود، كان يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بستر أصحاب مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فاختلفت شهادة بعض الشهود فَجَلَدَهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقد اِلتُمِس العذر للمغيرة بن شعبة أنها كانت زوجة له أو سرية من سراياه، ولم يتفطنوا فاتهموه بما هو بريء منه، فهو من خيرة أصحاب النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وإذا تكلم الرجل في أمرأته مما ينبغي فيه الستر عوقِبَ بالملاعنة منها، والفراق أبدًا حتىٰ لا يقول: كذبتُ عليها وأردتُ كذا، ووقعت في كذا.

- **وينبغي للإنسان**: أن لا يجاوزه إلا ضرورة ولهذا أمر النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن تُدرأ الحدود بالشبهات فما بالك بتتبع العورات.

فإذا فعل رجل معصية فيما بينه وبين الله فأظهرها الله عَزَّوَجَلَّ عليك فلا تذهب وتشيعها مع أن الأمر، يحتاج إلىٰ ستر وتجاوز، مع بذل النصيحة فإذا عُلِمَ من هذا الشخص أن شره مستطير وأن فساده عريض، فعند ذلك لا بأس أن يُحَذَّر الناس بالطريقة التي تصلح فإن كان التحذير سِرًا حُذِرَ سِرًا وإن كان

فساده في الدين حُذِّر منه كما يُحَذَّر من أهل البدع، وفي الحديث: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[1].

- وينبغي: أن ندعوا الله عَزَّوَجَلَّ بستر عيوبنا فإنها كثيرة ومن يسلم:

مـــنْ ذا الـــذي مـــا ســـاء قـــطُّ ومـــنْ لـــهُ الحُسْـــنىٰ فقـــطْ

قوله: («وَاللهِ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»): إي ومن أسباب عون الله تعالىٰ للعبد أن يكون في عون أخيه، فمن أعان أخاه علىٰ أمر من الأمور ويا حبذا أن تكون من معالي الأمور أعانه علىٰ طلب العلم، وعلىٰ التفرغ للعبادة والتأليف، والتصنيف، أو الزواج، أو بناء البيت، أو شراء المركب، أو أعانه حتىٰ علىٰ تحميل المتاع، فإن كل ذلك من أسباب عون الله عَزَّوَجَلَّ للعبد ومن الصداقات العظيمة التي تُقَرِّب المؤمن من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.

قوله: («وَمِنْ سِلَّكِ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»): أي من اتخذ سبيلًا به طريقه إلىٰ الجنة ففي هذه الجملة الحث علىٰ طلب العلم، وسلوك سبله فإنه يؤدي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

- وفي **"صحيح ابن حبان"**: عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا وَأَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٤٨٨)، عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[1].

- فـ(مِنْ سِلِّكِ طَرِيقًا): أي: سبيلًا يلتمس به علم الكتاب والسنة سهل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة إما أن تتوسع له الأعمال الصالحة التي يعملها، فتكون سببًا لرفعته في الدنيا والآخرة، وإما أن يسهل الله عَزَّوَجَلَّ يسهل له المواطن التي سَيقدُم عليها من القبر وحين القيام لرب العالمين، وحين المرور علىٰ الصراط، وغير ذلك من المصاعب، فالعلم منزلته رفيعة ولهذا امتن الله علىٰ نبيه به فقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة النساء:١١٣]، وقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة الضحىٰ:٧]، وأمره أن يدعوَه به بقوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه:١١٤]، وأخبر أن الخشية لأهله فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر:٢٨]، وأشهدهم علىٰ وحدانيته، قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران:١٨].

- **فمن أعظم أسباب دخول الجنة وأجمعها**: هو طلب العلم فهو جامع للفضائل مبعد عن الذائل فمن سلك طريق العلم، وسُبُل الفقه، كان ذلك من

---

(١) أخرجه ابن حبان حديث رقم: (١٢٢).

تسهيل الله عَزَّوَجَلَّ له، ووالله أننا رأينا هذه البركة، فكم من بركاتٍ امتن الله عَزَّوَجَلَّ علينا بها وعلىٰ غيرنا ممن تفرغ لطلب العلم، مع قلة علمنا، وكثرة زللنا، وحصول تفريطنا لكن الله عَزَّوَجَلَّ الكريم الذي يضاعف لمن يشاء.

قوله: («وَمَا اِجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مَنَّ بُيُوت اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ»): هذا هو المقصد من الجلوس في بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، لذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وشكره، لا لمذاكرة أمور الدنيا، ولا للغيبة، والنميمة، ولا للقيل والقال، وإنما كانت نيتهم الله عَزَّوَجَلَّ، وكانوا مقبلين علىٰ ما يقربهم من الله عَزَّوَجَلَّ، واختاروا أفضل الأعمال وهي التقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بتلاوة كلامه، والتفقه فيه والمدارسة له.

ولتلاوة كتاب الله طُرُق:

- إما أن يتلوا أحدهم صفحة، والآخر صفحة.
- أو جزء بجزء.
- أو سورة بسورة.
- وإما أن يتدارسونه جميعًا علىٰ سبيل التَعلُّم فلا بأس بذلك وإن كانت قراءتهم واحدة.
- وأما القراءة الجماعية فمنهي عنها لغير هذا المقصد.
- وإما أن يبقوا في المسجد كلٌ منهم يقرأ علىٰ حِدَة فقد جمعهم المسجد، وجمعهم بيت الله، من أجل تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل في ذلك تعلم

التفسير، والسنة، والفقه، وجميع أنواع العلوم، لأنها من أسباب معرفة معاني الكتاب والسنة الصحيحة.

وتلاوة القرآن محبوبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا صح عن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (مَا تَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ)[1].

فهو كلام الله ووحيه، وتنزيله، ونوره، الذي أنزله علىٰ نبيه مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»[2].

وَعن عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[3].

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة".

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٤٢٧)، ومسلم حديث رقم: (٧٩٧) عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٩٣٧)، ومسلم حديث رقم: (٧٩٨).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[1].

فكم من الأجور العظيمة في قراءة القرآن، ففي "الترمذي": عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[2].

فمن فعل ذلك أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: («نَزَلَتْ عَلَيْهُمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللهَ فِيمَنْ عِنْدَهِ»): وهذه لا تحصل لأصحاب الأموال والتجارات، والزعامات، وإنما تحصل لسُكَّان بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، الذين عمروها بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

- فتتنزل عليهم السَّكِينَةِ: كما في حديث أُسيّد بن حُضَيْر وحديث البراء: «وتلك السَّكِينَةِ تنزَلَت للقُرْآنِ»[3].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٩١٠).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٦١٤، ٤٨٣٩).

- وتغشاهم الرَّحْمَةُ: بحيث يرحمهم الله عَزَّوَجَلَّ ويحل عليهم ما في العلم من الرحمات: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يونس:٥٨]، والرَّحْمَةُ: يراد بها التجاوز، ويراد بها الستر، وهي عامة شاملة، وتشمل أيضًا التسديد في المستقبل.

- وَتحَفَّهُمْ المَلَائِكَةُ: لأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وَتَحُفَّهُم بِأَجْنِحَتِهَا إِكْرَامًا لَهُمْ، وإعظامًا لِشَأْنِهِمْ وفي هذا أيضًا فضيلة لطلب العلم النافع، علم الكتاب؛ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا،

وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[1].

- وَيذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهِ: أي يذكرهم في الملأ الأعلىٰ، تنويهًا بعظم شأنهم، وعلو منزلتهم، والجزاء من جنس العمل، حين ذكروا الله عَزَّوَجَلَّ ذكرهم الله، ومن نسي الله عَزَّوَجَلَّ نسيه الله، قال تعالىٰ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [سورة التوبة:٦٧]، قال تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [سورة البقرة:١٥٢].

والفرق عظيم بين الحالين، من نسيَه الله أنساه نفسه، ومن ذكره الله يسر له كل خير، من خير الدنيا والآخرة.

قوله: («وَمِنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»): وإن كان في الجملة جنس العرب أفضل من جنس العجم، هكذا يقول شيخ الإسلام وغيره فإنهم أكثر الناس فهمًا وإدراكًا.

فمَن تعلم اللغة العربية نَبُلَ طَبعه وحسنت أخلاقه، وزاد فهمه، إلا أن الفضل بالتقوىٰ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [سورة الحجرات:١٣].

- وفي معنىٰ هذا الحديث ما قاله النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٨٩).

أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[1].

وقد رفع الله عَزَّوَجَلَّ شأن بلال بن رباح، ومن سلك هذا المسلك وإن كان أسود اللون، شديد الفقر ووضع الله عَزَّوَجَلَّ أبا لهب مع قرب نسبه من النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

والنَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَمَا فِي حَدِيثِ عَمْرِو بِنْ العاص كَانَ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي فُلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»[2].

وذكر ابن رجب قول الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا الإنسانُ إلا بِدينِهِ فَلا تترُكِ التَقوىٰ اتِكالًا علىٰ النَسَبْ

فَقَدْ رَفَعَ الإسلامُ سلمانَ فارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الشِركُ الشَريف أبا لَهَبْ

❁ **فهذا حديثٌ عظيم**، فيه فوائد عظيمة، علقنا علىٰ بعضها وتركنا أكثرها لأن كلام النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من جوامع الكَلِم ومهما حرص الإنسان أن يأتي ببيانه فإنه سيفوته الشيء وكلما ازداد الإنسان علمًا، ازداد استنباطًا.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٠٦).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢١٥).

وقد ذكر بعضهم انه أخرج من حديث: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» ألف فائدة وفائدة!!.

ما بالك إذا وقف علىٰ مثل هذا الحديث المتضمن لمعالي الأمور التي هي سبب صلاح الأمة، والفرد، والمجتمع، ويدل هذا الحديث إلىٰ أهمية ترابط الجماعة وأهمية الألفة بين المسلمين وقد قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ أو كَالبَنَان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[(١)].

وعَنْ النُّعْمَانِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[(٢)].

وقال النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[(٣)].

- **والإسلام دين التكافل**، فليست الرأس مالية، ولا الاشتراكية، ولا الجمعيات، والمنظمات الكفرية، لكن بسبب بُعد المسلمين عن تعاليم دينهم، وامتثال سنة نبيهم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ربما حصل لهم شيء من الضعف ولا حول ولا قوة إلا بالله، **والحمد لله رب العالمين**.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٢٦).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠١١)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٣)، ومسلم حديث رقم: (٤٥).

الحديث السابع والثلاثون

«إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[1].

الشَّرْحُ

- وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ أَيْضًا نَحْوَهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٩١)، ومسلم حديث رقم: (١٣١).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٢٨).

- وَفِي البُخَارِيِّ مُعَلَّقًا: عَنْ أَبِي سَعِيدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صلىٰ الله عليه قال: «إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا»[1]، نَحْوَ مِنْ ذَلِكَ.

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً »، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

- وهذا حديثٌ عظيم فيه: بيانٌ من الله عَزَّوَجَلَّ لكتابته لحسنات بني آدم ولسيئاتهم، ومعنىٰ هذه الكتابة: كتابة أجرها وإثمها، وكذلك هي مكتوبة في اللوح المحفوظ كما هو معلوم، قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ [سورة الحديد:٢٢].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤١).

ثم بيَّن ذلك أي: لكل قسمٍ من الأقسام ما يخصه والحسنات هي فعل الطاعات، وأعلاها حسنة لا إله إلا الله فإنها الحسنة التي تُخَلِّص صاحبها من النار، فَفِي حَدِيثِ عَبْد الله بِنْ عَمْرو بِنْ العاص قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلَ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ: بَلَى ؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ! مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[1].

ثم يليها حسنة الصلاة، وهكذا الزكاة، والصيام، والحج، وغير ذلك من الحسنات الواجبات، والحسنات المستحبات، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد فرض علىٰ العباد وشرع لهم من الأعمال ما يؤدي الىٰ مرضاته ويجنبهم مساخطه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [سورة النساء:٦٩].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٣٩).

فطاعة الله عَزَّوَجَلَّ سواءً كان في واجبٍ، أو مندوبٍ فهو مما يُقَرِب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، إلا أن أعظمها (الفرائض) كما سيأتي معنا في حديثٍ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا»، إن شاء الله.

- **والسيئات**: هي المعاصي التي يُعصَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بها وهي متفاوته فمنها الكبائر العظيمة، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»[1].

وجاء فِي حَدِيثِ أَنَسَ وَعَبْدالله اِبْنِ عَمْرِو اِبْنُ الْعَاص: قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الكَبَائِرُ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينَ، وَقَتَلَ النَّفْس، وَاليَمِينُ الغَموس»[2].

- ومن السيئات الصغائر التي تكفيرها ترك الكبائر كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة النساء:٣١]، ويَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الصلواتُ الخمْسُ، والجُمعةُ إلى الجُمعةِ ورَمضانُ إلى رمضانَ، مُكفِّراتٌ لما بينهُنَّ إذا اجْتُنِبتْ الكبائِرَ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٧٦٦)، ومسلم حديث رقم: (٨٩).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٦٧٥).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٣٣).

- **فعلىٰ الإنسان**: أن لا يحتقر فعل الحسنات وإن دَقَّت وأن لا يأمن فعل السيئات وإن صغرت في عينه فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨].

- **والحسنات النافعة**: هي الحسنة التي يفعلها صاحبها ثم يبقىٰ محافظًا عليها حتىٰ يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بها فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام:١٦٠].

أما من يفعل الحسنات فهم كثير، فقد يكون فاعلًا للحسنة وعنده من الإشراك ما يمنع قبولها كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فِي قِصَّةِ ابْنِ جَدعَان قَالَتْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لاَ يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»[(١)].

و من عملها ثم رآءىٰ فيها فقد تُحبَط والعياذ بالله كما تقدم معنا في أبواب سابقة فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلا الْجُوعُ وَالْعَطَش، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلا السَّهَرُ»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢١٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (١٦٩٠) وغيره.

والسيئات لا تضر إلا من بقي مصرًا عليها حتىٰ يوافي بها عند الله عَزَّوَجَلَّ، فهو علىٰ خطر إن لم يتجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عنها، فإن كانت سيئة شرك فإن الله لا يغفرها قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [سورة النساء:١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [سورة النساء:٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [سورة المائدة:٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣]، وإن كانت السيئة دون ذلك فيُخشىٰ علىٰ صاحبها ألا يتجاوز الله عنه فيؤآخذ كما في حديث وصف الصراط: «وَمِنْهُمْ الموبق بسَيِّئَاتِه عَلَى وجهه فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

- والناس في الحسنات والسيئات على أقسام:

- منهم: من ترجح حسناته علىٰ سيئاته.

- ومنهم: من ترجح سيئاته.

- ومنهم: من يتساوىٰ في ذلك، وهؤلاء أصحاب الأعراف فإنهم قومٌ تساوت حسناتهم، وسيئاتهم، فيُحبَسون حتىٰ يتداركهم الله عَزَّوَجَلَّ برحمة منه ثم يُدخلهم الجنة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾

* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٦ - ٤٩].

قوله: («ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله عَزَّوَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ»): فبين الله عَزَّوَجَلَّ أن المؤمن في باب الحسنات له حالان:

الحال الأول: (في حالة العمل): يكتب الله عَزَّوَجَلَّ له بها عشر حسنات، وهذا في أي حسنة تُعمَل لكن يضاعف لمن يشاء بعد ذلك إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٠]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦١].

- ثم هل السبعمائة، هي آخر المقدار في هذا الباب؟

الجـواب: -لا- بل يضاعف لمن يشاء أكثر من ذلك، ففي حديث أبي هريرة في "الصحيحين": «الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي»[١]، وهكذا في الصبر، قال تعالىٰ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [سورة الزمر:١٠]، وقال تعالىٰ مبينًا سعة فضله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾[الجمعة:٤].

الحال الثاني: (أن يَهم بالحسنة وتستقر في قلبه، ويريد أن يعملها لكن شُغِلَ عنها، وحيل بينه وبينها) فهذا تُكتب له حسنة كاملة ودلائل ذلك كثيرة، منها ما جاء عَن أبي كَبْشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[٢].

والحديث: (حسن) وإلا ففيه انقطاع بين أبي كبشة وميمون ابن أبي شبيب.

- وينقسم الناس من حيث السيئات أيضًا إلى قسمين:

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٨٩٤).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٢٥).

الأول: (قسمٌ عمل السيئة) فهذا تُكتب عليه سيئة واحدة كما هو مبيَن في الحديث.

- وهل تضاعف السيئات؟

الجـواب: الصحيح أنها لا تضاعف لا في الزمان، ولا في مكان، ولكن قد تكون سيئات الحَرَم أعظم مع أنها سيئة واحدة، لكن لا تضاعف بحيث تكون عشر سيئات، سبعين سيئة، أو نحو ذلك.

والثاني: (مَن هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا) فهل تُكتب له حسنة؟

الجـواب: إن تركها من جرَّاء الله كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»[1].

وإن تركها للعجز عنها والحيلولة بينه وبينها، مع أنها قد توطنت في قلبه، واستقرت في نفسه، وصار للقلب عمل فتُكتب عليه سيئة والجمع بين هذا وبين قول النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ»[2].

يعرف هذا بأن للقلب، واللسان له عمل، وللجوارح أعمال، فكم من إنسان يكفر بقلبه، وكم من إنسان يصير منافقًا بقلبه، وكم من إنسان يكون عاصيًا لله عَزَّوَجَلَّ بقلبه، والأدلة من ذلك مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٢٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٢٧).

بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»[(١)].

- وفي رواية لحديث ابن عباس المذكور في "مسلم": «وَمَحَاهَا اللهُ وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ»[(٢)]، أي: من هَمّ بالسيئة وعملها قد يمحوها الله عَزَّوَجَلَّ ويتجاوز عنها ومما تُمحَىٰ به السيئات التوبة، والاستغفار، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة طه:٨٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة هود:١١٤]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الفرقان:٧٠]، وربما مُحِيَت بأعمال صالحة أوتيَ بها بعدها كما في حديث: «وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُهَا وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ»[(٣)].

وربما تفَضَّل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العبد، ومحاها كرامةً منه ومِنَّةً فهو الغفور الرحيم، وهو التواب الرحيم، وهو العفو الغفور.

- **وفي بعضها**: وقد روِيَ عن ابن مسعود: (**الويل لمن غلبت آحاده عشراته**)، **يعني**: سيئة تلو السيئة، ويأتي وقد غلبت الحسنات، التي الحسنة

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣١)، ومسلم حديث رقم: (٢٨٨٨) مختصرًا.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٣١).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٩٨٧).

تُكتَب بعشرة، أي حسنة تُكتب بعشرة ثم يقع المضاعفة بعد ذلك إلىٰ سبعمائة ضعف، وكم من الحسنات المضاعفة:

- فمن ذلك: (التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل)، أجورها عظيمة قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟»، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»[1].

وقد تقدم حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عند أبي داود: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «خَصْلَتَانِ، أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، يُسَبِّحُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ»[2].

وَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسُمِائَةِ سَيِّئَةٍ؟!.

❁ **فهذا حديثٌ عظيم فيه**: بيان لفضل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ المؤمنين، وفيه خطر المعاصي، والسيئات، كما أن فيه فضل الحسنات، إلا أن المعاصي والسيئات قد توبق صاحبها وهو لا يشعر:

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩٨)، عن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أبي داود حديث رقم: (٥٠٦٥).

لا تحقـــــــرن صـــــــغيرةً إن الجبـــال مـــن الحصـــىٰ

والحمد لله رب العالمين.

الحديث الثامن والثلاثون

«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[1].

الشَّرْح

قوله: («إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ»): شواهدها في القرآن، والسنة كثير، فإن الله عَزَّوَجَلَّ متكلم بحرفٍ وصوت متىٰ شاء وكيف شاء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورىٰ:١١]، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٥٠٢)، وابن حبان حديث رقم: (٣٤٧).

وقد تَفَرَّد به البخاري دون بقية أصحاب الكتب إلا رواية لابن حبان، وهو من رواية خالد بْنِ مَخْلَد القطواني.

- وقد قال الذهبي: لولا هيبة الصحيح لحكمت عليه بالوضع ومع ذلك فالحديث صحيح ومحتج به.

- وليس فيه ما يُنكَر علىٰ ما يأتي بيانه إن شاء الله، وشواهده في القرآن والسُنة كثير.

تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة النساء:١٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الصافات: ١٠٤]، إلىٰ غير ذلك.

قوله: («مَنْ عَادَى لِي»): أي: من المعاداة والمنافرة.

قوله: («وَلِيًّا»): أي: محبوبًا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأولياء الله عَزَّوَجَلَّ: (المتقون) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس:٦٢-٦٣]، وأولياء الله عَزَّوَجَلَّ (الصالحون) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٦]، ومن تولاه الله عَزَّوَجَلَّ هداه إلىٰ النور: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٧].

قوله: («آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»): أي أعلمته أني محاربٌ له، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الحج:٣٨]، وقال تعالىٰ في شأن موسىٰ وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة طه:٤٦]، وقال عن نبيه محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [سورة الطور:٤٨]، وقال: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الحجر:٩٥].

والله عَزَّوَجَلَّ يدافع عن أولياءه ويحارب أعداءه ولا يعجزه شيء مهما عَظُم وكثر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة فاطر:٤٤]، والعزة له ومن أعزه، قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [سورة فاطر:١٠]، ولما قال المنافقون: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [سورة المنافقون:٨]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المنافقون:٨].

- **ومما يدل علىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ يحارب من حارب أولياءه ويُعادي من عادهم:** قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَن صَلَّى الصُّبحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ ،فَلا يَطلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٦٥٧)، عن زيد بن خالد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

- **وما أخرجه أيضًا** الإمام مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأُ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ - لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ -: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ [سورة العلق:٦-١٣]. يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ -: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [سورة العلق:١٤-١٨]، زَادَ عُبَيْدُ اللهِ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ. وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ [سورة العلق:١٧]، يَعْنِي قَوْمَه[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٩٧).

وهدده الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [سورة العلق:١٧-١٨]، وهكذا هددهم الله بقوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥﴾ [سورة القيامة:٣٤-٣٥].

- ومن أعظم صور دفاع الله عن المؤمنين: ما حصل يوم بدر حيث كان عدد المؤمنين ثلاثمائة وسبعة عشر وعدد الكافرين ألف ومع ذلك هزمهم الله شر هزيمة، وسلط عليهم أولياءه من المؤمنين، والملائكة؛ كما في مسلم عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، ح وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي أَبُو زُمَيْلٍ هُوَ سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ:

فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَىٰ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَىٰ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَىٰ الْكُفَّارِ، فَعَسَىٰ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَىٰ الَّذِي رَأَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَىٰ أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُم[1].

- **لا يجوز بحال**: أن يُعادَىٰ المؤمن لإيمانه فهو ولي الله عَزَّوَجَلَّ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة:٧١]، وإنما البراءة بين المؤمنين والكافرين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الزخرف:٢٦-٢٧]..

وإذا حارب الله عَزَّوَجَلَّ عبدًا فإنه لا قوة له، ولا قدرة له علىٰ المغالبة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة القمر:٤٥].

- **وفي غزوة حُنَين حين انهزم المسلمون ابتداءً**، ثم أخذ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كفًا من حصىٰ ورمىٰ به وقال: شاهت الوجوه فما بقي أحدٌ من الكفار إلا وأصابه من ذلك الكف ثم انهزموا.

- **وفي غزوة الأحزاب** سلط الله عَزَّوَجَلَّ عليهم الريح وردهم خائبين: قال تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٧٦٣).

مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [سورة الأحزاب:٩-١١]، ومع ذلك جاء الفرج من الله عَزَّوَجَلَّ.

- **والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة**، فقد سَلَّط الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ قوم نوح الطوفان، وعلىٰ قوم عادٍ الريح، وعلىٰ قوم صالح الصيحة، وقوم لوط خسف بهم، وعلىٰ فرعون الغرق، قال تعالىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠]

قوله: («وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ»): فيه: بيانٌ أن ولاية الله عَزَّوَجَلَّ إنما تُنال بفعل الفرائض، والواجبات، وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ مراتب أولياءه بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢﴾ [سورة فاطر:٣٢]، فالذي يتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالفرائض ويجتنب النواهي فهو المقتصد ومن كان عاملًا للفرائض مستكثرًا من النوافل وهو المسارع إلىٰ الخيرات ومن قصر فهو الظالم انفسه فسبيل الولاية طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وليس السحر، والشعوذة، والكهانة، والعرافة، وليس سبيل

الولاية البدع، والمحادثات، والنسب، وإنما تُنَال الولاية بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، من كان لله تقيًا كان لله وليًا.

- **وأفضل ما يُتقرب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: (التوحيد)**؛ فإنه حقه كما قال النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[1].

- **ثم إن الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام ومن أوجب الواجبات**، ومن دعائم الإسلام العظيمة، في الشرع الحكم بَكْفُر تاركها، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [سورة التوبة:٥].

- **وهكذا** يتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالزكاة، والحج، والصيام، فأولىٰ ما يتقرب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الفرائض وما أقبح أن تشاهد رجلًا يصلي من الليل، وترًا، ثم ينام عن صلاة الفجر، هذا قبيح وأي قبيح أن يقدم النافلة علىٰ الفريضة؟! الواجب أن يُقدم الإنسان الفريضة علىٰ غيرها فإنها سبيل الولاية العظيم، وبابها الواسع، وفي هذا رد علىٰ الصوفية ومن إليهم الذين يظنون أن هنالك درجة من وصلها حُلَّت له المحرمات ورُفعَت عنه التكاليف ويستدلون بمثل قول الله

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٠).

عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [سورة الحجر:٩٩]، بينما اليقين عند تفاسير العلماء هو (الموت) وهم يجعلون اليقين درجة يصلون إليها فيتركون الفرائض، ويتعاطون المحرمات، ويصبح هذا الدين الذي بين أيدينا هو دين العامة أما هم فقد أُحِلَّ لهم كل شيء ومن أسوأ ما يُرْوَىٰ في ذلك ما رُوِيَ عن الباطنية في قولهم عن علي ابن الفضل:

أحـــل البنـــات مـــع الأمهـــات ... ومـــن فضـــله زاده حـــل الصـــبي

إذا الناس صاموا فكلـي واشـربي ... وإذا صـــــلَّوا فـــــلا تتعبـــــي

ولا تطلبـي السـعي عنـد الصـفا ... ولا زورة القـــــبر في يـــــثربِ

و مـا الخمـر إلا كمـاء السـماء ... مـــحل فقدســـت مـــن مـــذهبِ

ألـــيس الغـــراس لمـــن ربـــه ... وربَـــاه في الزمـــن الأجـــدبِ

قوله: («وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»): وهذه هي الدرجة العليا من درجات المؤمنين، أن يتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالفرائض ويأتي بالنوافل فهؤلاء هم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٤﴾[الواقعة:١٠-١٤].

بينما الصنف الأول الذي يتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالفرائض مع اجتناب النواهي فهو من أصحاب اليمين كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ

﴿٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤﴾ [سورة الواقعة:٢٧-٣٤]، الآيات.

وهذا الفضل، والتفاوت بينهم يحصل به تفاوت يوم القيامة: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾ [سورة الواقعة:٨٨-٩١].

فهنيئًا لمن سلك طريق ولاية الله عَزَّوَجَلَّ ولا تُنَال الولاية إلا، بمتابعة سنة النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلا يمكن أن يكون ولي وهو علىٰ بدعة، أو ولي وهو علىٰ رياء، فالولاية يشترط فيها الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

- ويشترط له المتابعة للنَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [سورة الأحزاب:٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [سورة آل عمران:٣١].

- **والنوافل منها القولي**؛ كنوافل الذكر، وقراءة القرآن، والدعاء، والشكر، وغير ذلك.

- **ومنها الفعلي**؛ كنوافل الصلاة، والصيام، والحج، والصدقة وغير ذلك.

- **ومنها نوافل القلب**؛ وهو ما يقع في القلب من الخواطر التي يُزاد بها الإيمان، فمنه الواجب كالتوكل، والخوف والرجاء، ومنه ما هو مستحب، وهو الزيادة في ذلك.

فإذا تقرب المؤمن من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحبه الله، وإذا أحب الله العبد أكرمه بأنواع الكرامات، والله عَزَّوَجَلَّ يحب المحسنين، والمتقين، والصادقين، والصابرين، والتوابين، والمتطهرين، كما جاء في كثيرٍ من الآيات: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة آل عمران:٧٦]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [سورة آل عمران:١٤٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الصف:٤]، وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة:٥٤].

- **ففي هذا الحديث**: إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية التي تليق بجلاله عَزَّوَجَلَّ وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٦٥).

قوله: («فَإِذَا أَحبَبتُهُ»): أي: إذا أحب الله العبد، ومحبة الله عَزَّوَجَلَّ حاصلة بها يتقرب إليه العبد، من الفرائض والمستحبات، فإذا أحبه الله عَزَّوَجَلَّ سدده، ووفقه، وأعانه، وثبته، وهداه.

قوله: («كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»): ومعنىٰ ذلك أن الله يسدد جوارحه، فلا يسمع إلا خيرًا، ولا يقول إلا خيرًا، ولا ينظر إلا إلىٰ الخير، ولا يبطش إلا في الخير، ولا يمشي إلا إلىٰ الخير يحوطه الله عَزَّوَجَلَّ بحفظه، وكلاءته، ونصره، وتأييده.

ولا يتمكن منه الشيطان أبدًا؛ لأنه من المخلَصين، المنقادين لله عَزَّوَجَلَّ، وليس فيه شبهة للحلولية والاتحادية، الذين يزعمون أن الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان، أو أن الله عَزَّوَجَلَّ متحد بمخلوقاته فالله عَزَّوَجَلَّ في علوه علىٰ عرشه بائن من خلقه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥]، في ستة مواطن من القرآن: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [سورة فاطر:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦].

قوله: («وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ»): فيه دليل علىٰ استجابة الله عَزَّوَجَلَّ دعاء الداعين من المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

- وفي حديث النزول في "مسلم": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ»[1].

- وفيه: دليل على أن المحافظة على الفرائض، والإكثار من النوافل، من أسباب استجابة دعاء الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، وللدعاء أوقات يُرجَى فيها الإجابة، كبين الأذان والإقامة والساعة الأخيرة من يوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل، ويوم عرفة، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم، والصائم، ودعوة الوالد لولده أو على ولده.

فالإنسان عليه أن يلتمس أوقات الإجابة ويكثر من الإلحاح على الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء.

وهذه مرتبة عظيمة أن يفرج الله عَزَّوَجَلَّ كربتك، ويجيب دعوتك، ويقضي حاجتك، ويثبت قلبك، ويسدد لسانك، وكم من الأولياء الذين استجاب الله عَزَّوَجَلَّ لهم ومن الأمثلة على ذلك، كما جاء عن سعد بن أبي وقاص حين أتهمه أهل الكوفة.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٥٨).

ففي "صحيح البخاري": شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَىٰ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّىٰ ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ «فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَىٰ الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّىٰ دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَىٰ أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ[1].

ومنه كذلك: ما جاء عن سعيد بن زيد في "صحيح مسلم": عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَرْوَىٰ بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَىٰ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَىٰ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟- قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ:

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٥٥).

«مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا، قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ[1].

- **ودعوة المظلوم**؛ كما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[2].

فكيف إذا انضاف إليها أن الداعي بها من أولياء الله عَزَّوَجَلَّ، فرب دعوةٍ دمرت دولة، ورب دعوة نصرت جيش.

قوله: («وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»): أي إذا طلب من الله أن يعيده من الشرور، والآثام، والفتن، أعاذه الله عَزَّوَجَلَّ وسلَّمه من كل شر، وكم من الاستعاذات في الكتاب والسنة.

- من الاستعاذات: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[3].

- ومنها: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٦١٠).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٤٨).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٨٦)، عن أبي هريرة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

- ومنها: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أظلِمَ أَوْ أُظلَم، أَوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ»[٢].

- ومنها: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»[٣].

- وهنا فائدة: في معنىٰ العوذ واللوذ، (فالعوذ): طلب دفع المرهوب، (واللوذ): طلب المرغوب.

- حتىٰ نظمها بعضهم في قوله:

يـا مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ فيمَـا أُؤمّلُـهُ ... وَمَـنْ أعُـوذُ بـهِ مِمّـا أُحـاذِرُهُ

لا يَجْبُرُ النّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كاسِـرُهُ ... وَلا يَهيضُـونَ عَظْـمًا أنـتَ جـابِرُهُ

والحمد لله رب العالمين.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٨٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٥٠٩٤)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٨٨٤)، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه النسائي حديث رقم: (١٣٤٧)، وأحمد حديث رقم: (٢٠٣٨١)، عن كعب بن مالك.

الحديث التاسع والثلاثون

«إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»(١).

الشَّرْحُ

❁ **والحديث** يضعفه جماهير العلماء ولا يثبت بحالٍ، ومن هذا الطريق في سنده سفيان ابن وكيع ضعيف، وغَيره أيضًا، ومع ذلك معانيه تدل عليها أدلة كثيرة من الكتاب والسُنة.

قوله: («إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي»): أي عن الإثم في هذه الأمور، أما ما يترتب عليها من الأحكام فلكلٍ حكمه، وهذا من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده، أنه لا يؤاخذهم إلا بما قصدوا وعَلِموا، بمعنىٰ: أنهم تعمدوا فعله مع علمهم بالمخالفة فيه، وإلا فإن العذر بالجهل قائمٌ في شريعتنا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء:١٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٢٠٤٣)، وابن حبان حديث رقم: (٧٢١٩)، والبيهقي- (ج٧/ ص٣٥٧، ٣٥٦)، والدارقطني (ج٤/ ١٧٠).

- قال النووي: [حَدِيث حَسَن رَوَاهُ ابْنُ مَاجَة وَالْبَيْهَقِي وَغَيْرُهُمَا]

لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [سورة النساء:١٦٥].

- وفي الحديث: «أَلَا مَا عَلَّمْتَ إِذْ كَانَ جَاهِلًا، وأَطْعَمْتَ إِذْ كَانَ جَائِعًا»[1]، فالله عَزَّوَجَلَّ أرسل الرسل، وأنزل الكتب لإقامة الحجة علىٰ عباده، قال تعالىٰ ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة الزمر:٧١]، في غير ما آياتٍ يحتج الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عباده بأن أقام عليهم الحجة، ولم يخلقهم عبثًا ولم يتركهم همْلًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلًا ١٦﴾ [سورة المزمل:١٥-١٦].

- وَفِي حَدِيثِ الأَسوَد بنْ سَرِيع وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يُحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ!، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، فَيَقُولُ: رَبِّ مَا آتَانِي لَكَ رَسُولٌ. فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٢٦٢٠)، عن شرحبيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَيُطِيعُنَّهُ. فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ: أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا سُحِبَ إِلَيْهَا»[1].

- **والقول بالعذر بالجهل هو المتعيّن**، وأما من قال في الجزيرة العربية لا يوجد العذر بالجهل فقوله مبنيٌ علىٰ أن العلم قد وصل الجميع.

ولكن من الناس يجهل، بل إن طلاب العلم يجهلون كثيرًا من الأحكام، فكيف بغيرهم.

قوله: («عَنْ أُمَّتِي»): المراد بها أمة الإجابة، لا أمة الدعوة؛ فإن أمة الإجابة هي التي اختصت برحمة الله عَزَّوَجَلَّ لها، وهي التي كان صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدعو لها، ويرغب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في رحمتها؛ كما في الحديث عبد الله بن عمرو: «يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»[2].

قوله: («الخَطَأَ»): الخطأ ضد العمد والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]، ويقول: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾ [سورة الأحزاب:٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (١٦٣٠١)، وابن حبان حديث رقم: (٧٣٥٧)، وهو في "الصحيح المسند" للشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ": عَنْ عَمْرو بِنْ العاص: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَان، وَإِذَا اِجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجرٌ»[1].

وفي "صحيح البخاري": عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: " لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ المُشْرِكُونَ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهِ عَلَيْهِ: أَيْ عِبَادَ اللهِ أُخْرَاكُمْ، فَرَجَعَتْ أُولاَهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ، فَبَصُرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ اليَمَانِ، فَقَالَ: أَيْ عِبَادَ اللهِ أَبِي أَبِي، قَالَ: قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّىٰ قَتَلُوهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ" قَالَ عُرْوَةُ: فَوَاللهِ مَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ بَقِيَّةُ خَيْرٍ، حَتَّىٰ لَحِقَ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ" بَصُرْتُ: عَلِمْتُ، مِنَ البَصِيرَةِ فِي الأَمْرِ، وَأَبْصَرْتُ: مِنْ بَصَرِ العَيْنِ، وَيُقَالُ: بَصُرْتُ وَأَبْصَرْتُ وَاحِدٌ[2].

فالخطأ من حيث الإثم لا يؤاخذ الإنسان به فهو مغفورٌ ومُتجَاوز عنه من الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن من حيث ما يتعلق به من الأحكام فلابد من جريان الأحكام في كثيرٍ من شؤون العبادات، والمعاملات.

فمن أخطأ وصلىٰ إلىٰ غير القبلة، ثم دُل علىٰ القبلة لزمه الاتجاه إلىٰ القبلة، إلا إذا كان قد انصرف من صلاته فهنا نقول لا يلزمه الإعادة لما ثبت في

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٣٥٢)، ومسلم حديث رقم: (١٧١٦)، والنسائي حديث رقم: (٥٣٨١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للنسائي.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٠٦٥).

"الصحيح": أن رجُلًا أدركهم وهم ركوع في صلاة العصر في مسجد بني سلمة، وفي صلاة الفجر في مسجد قُباء فمالوا إلىٰ الكعبة ولم يُذكَر أنهم أعادوا الصلاة.

وإن أخطأ وأخذ مال غيره يظنه مال نفسه أو يظنه مباحًا له، لا يؤاخذ ولا يأثَّم لكن يلزمه أن يرد حق الناس، فقوله الخطأ يسقط به الأحكام، وإنما يسقط به الإثم، فمن أخطأ وقتل رجُلًا لزِمَته دِيَة الخطأ.

وهي مائة بعيرٍ لكن علىٰ التخفيف ليست كدِيَة قتل العمد من حيث التغليظ.

وتكون دية العمد علىٰ القاتل، بينما دية الخطأ علىٰ العاقِلَة حتىٰ لا يُهْدَر دم المسلم.

قوله: («وَالنِّسْيَانَ»): أي: مما تجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عن الإثم فيه النِّسْيَانَ، وهذا علىٰ ما تقدم فمن نسي وصلىٰ علىٰ غير طهارة نقول وجب عليه الطهارة ثم إعادة الصلاة.

وإنما يتجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عن إثم العبد والإنسان مُعَرَّضٌ للنسيان، **فمثلًا**: في الصلاة إذا نسي ركن وجب عليه أن يأتي به، لكن لا يأثم في تركه، مع أنه لو تركه متعمدًا بطلت الصلاة، وهكذا إن ترك واجبًا تَعَيَّنَ عليه سجود السهو والنَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «مَنْ نَسِيَ صَلاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا»[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٦٨٤).

قوله: («وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»): ودليل هذا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [سورة النحل:١٠٦]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ [سورة آل عمران:٢٨].

- وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ٩٩﴾ [سورة النساء:٩٨-٩٩]، فالمُكرَه إن فعل الكفر أو تكلم ما دام قلبه منشرحٌ بالإسلام فلا يؤثر ذلك عليه، لكن من تلفظ بالكفر أو فعله مع رضاه أو الاعتقاد له (كَفَر).

- **وهنا مسائل كثيرة يذكرها أهل العلم في مسألة الاستكراه**: كأن يُكرَه أن يقتل غيره من أجل سلامة نفسه فهنا لا يجوز له أن يقتل غيره من أجل سلامة نفسه أو أن يُكرَه أن يزني بامرأة حتىٰ لا يُسجَن أو يُضرَب، فهنا لا يجوز له أن يتعاطىٰ هذا الفعل لأن فيه أذىً لغيره.

ثم إنه لابد أن يُنظَر إلىٰ الشيء الذي يُكرَه عليه فإن نبي الله يوسف عليه السلام تحَمَّل السجن عدة سنين حين راودته التي هو في بيتها عن نفسه، وأبىٰ أن يُعاقِر تلك الفاحشة، فليس كلما استكره عليه الإنسان يقول أفعله وأنا مُكرَه.

وذكروا أمورًا كثيرة، ومسائل متفرعة، مردها إلىٰ ما تقَدَّم اختصاره، حتىٰ أن بعضهم يقول من أُكرِهَ علىٰ الزنىٰ فله أن يقدم عليه ويجب عليه الحد.

- **وبعضهم يقول**: هذا لا يُعقَل أصلًا أن يُكره الإنسان علىٰ هذا الأمر؛ لأن الإنسان إن لم تكن له رغبة فيه لا يستطيع أن يفعله.

ومن هذا الباب ما يفعله كثير من الناس في التصوير ثم يقول: أنا مُكرَه من الذي أكرهه ؟ وما الذي لَحِقَه بسببه.

أو يؤمر بلبس البنطال أو نحو ذلك مما لا يرضاه الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يُسَلَّم بدعوىٰ الكراهة، وقد كنت كتبت رسالة إلىٰ أهل ليبيا في زمنٍ متقدم ونحن في دماج وهي منشورة وإن يسّر الله عَزَّوَجَلَّ أن توضع في هذا الموطن من شرح الأربعين وضعناها، مردها أنهم سألوا عن حكم حلق اللحية إذا أُكرِهوا عليه من أجل العسكرة ونحو ذلك.

فأجبناهم بضابط الإكراه، والأدلة عليه وليس كل مسألة يسوغ فيها دعوىٰ الإكراه، فالإنسان إن استطاع أن يتحمل فقد قال بعض أهل العلم فهو أولىٰ له حتىٰ لو كان في إزهاق نفسه.

- **كما فِي الحديث**: عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا ؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ

بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

فإذا تحمل الإنسان وصبر فله ذلك؛ لا سيما إذا كانت إجابته لِمَا أُكْرِه عليه تؤدي إلىٰ ضرر في الدين فإن الأمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ قد صبر علىٰ الضرب، وعلىٰ السجن، والعرض علىٰ السيف إلىٰ غير ذلك، وثَبَّت الله عَزَّوَجَلَّ به الأمة في فتنة القول بخلق القرآن ثم كانت الحجة ظاهرة له أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

- **وفي بعض المراسيل والقصص التي تحتاج إلىٰ نظر**: قصة ولد أم عِمارة لما أرسله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ مسيلمة الكذاب وأمره أن يسب مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأبىٰ أن يسبه ثم قربوه إلىٰ العذاب وقالوا: أتحب أن يكون مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانك وَتُسلَم من هذا قال ما أحب أن تصيبه شوكة وَأُسلَم من هذا ثم قطعوه إِرْبًا، إربا، ومع ذلك أبىٰ أن يتلفظ بكلمة الكفر، والآية التي ذكرناها سابقًا.

- **وذُكِرَ في أسباب النزول**: أن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، نزلت في

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٦١٢).

شأن عمار بن ياسر وذلك أنهم ضربوه وعذّبوه حتىٰ اضطر أن يقول كلمة الكفر فخشيَ علىٰ نفسه.

ومع ذلك عذرهم الله: أنهم لا يؤاخذون في كلامهم هذا وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنهم لا يؤاخذون في القول ويؤاخذون في الفعل فإن سجدوا لصنمٍ أو القبر أو نحو ذلك يلزمهم حد الردة، والصحيح أن هذا القول باطل فمن أُكرِهَ علىٰ شيء لا يلزمه فيه الحد، ولا تلحقه به التبعات، **والحمد لله رب العالمين**.

الحديث الأربعون

«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِيَّ فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)[1].

الشَّرْحُ

❁ هذا حديث عظيم فيه وصية النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عُمَر وهي وصيةٌ لنا، في الزهد في الدنيا، فإنها ليست بدار بقاء وإنما هي دار زوالٍ وَفناء، ومآل الناس إما إلىٰ جنةٍ، وإما إلىٰ نار، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [سورة الشورىٰ:٧]، وهكذا قول النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَرَغ الله مِنَ العِباد فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤١٦)، وجاء عند الترمذي بنحوه حديث رقم: (٢٣٣٣)، وابن ماجه مختصرًا حديث رقم: (٤١١٤)، وابن حبان حديث رقم: (٦٩٨) طبعة الرسالة.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢١٤١)، وأحمد حديث رقم: (٦٥٦٣) عن عبد الله بن عمرو.

- **والغريب**: لا يهتم بالبناء في الموطن الذي هو فيه، وإنما همه أن يبني الدار التي سيَقدُم عليها، فينبغي للمسلم أن تكون همه الجنة، فيحرص علىٰ بنائها، وعلىٰ زراعتها، وإلىٰ التزود من الأعمال الصالحة التي تؤدي إليها، وكما قيل: (**الدنيا مزرعة الآخرة**).

- وَفِي ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ التِّرْمِذِي وَغَيْرِهِ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السّلام لَقِيَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة أُسْرِيَ بِه فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»[1]، **فمن قال**: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَت له نخلةٌ في الجنة.

- **والنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد طَبَّق هذا الوصف فهو القائل**: «مَالِيَ وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ فَتَرَكَهَا»[2].

- وقال تعالىٰ مخبرًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾ [سورة غافر:٣٩]، ومع ذلك زُيِّن للناس فيها الملاذ والشهوات، قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٤٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٧٧).

ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٤-١٥].

- وكم وصف الله عَزَّوَجَلَّ الدنيا وحقَّرها، قال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحديد:٢٠].

وَوُصِفَت بأوصاف كثيرة يبين أنها ليست بدار بقاءٍ ولا محل إقامة وإنما هي دار تحولٍ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

- **فمن السَفَه**: أن الإنسان يقضي عمره وَيُضَيّع ماله في بناء دارٍ لن يسكنها؛ فهذا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يأخذ بِمَنْكِبِيَّ ابْنِ عُمَر لشدةِ التزهيد.

قوله: («كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ»): أي: ليكن حالك في الدنيا حال الغريب الذي لا يستقر حاله.

قوله: («أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»): وهذا أشد التَجَهُّز للرحيل؛ لأن الغريب وإن كان غريبًا في منطقةٍ من المناطق، قد يَمْكُث فيها أيامًا ثم يرجع إلىٰ بلدة وشأنه، أما عابر السبيل ربما يكون مارًا لا يبقىٰ فيها إلا اللحظات القليلة، والدقائق اليسيرة، ثم يمضي لشأنه.

والنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حقَّرَ الدنيا وقال: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ»[(١)].

- وفي الحديث الآخر: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[(٢)].

- وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»[(٣)].

وخرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أصحابه وقَالَ: «الْفَقْرَ تَخَافُونَ، أَوِ الْعَوَزَ، أَوَ تُهِمُّكُمُ الدُّنْيَا؟ فَإِنَّ اللَّهَ فَاتِحٌ لَكُمْ أَرْضَ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَتُصَبُّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغُكُمْ بَعْدِي إِنْ أَزَاغَكُمْ إِلَّا هِيَ»[(٤)].

بل وفَضَّل عليها الجدي الأسِك الميت، كما في حديث جابر عند مسلم أنهم كانوا مع النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، يعني

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٢٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٢٠)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٤٢)، والترمذي حديث رقم: (٢١٩١)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد حديث رقم: (٢٣٩٨٢)، عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مشوَه الخِلقَة وصغير وميت، لا ينتفع بجلده ولا يُفرَح به قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»[١].

ولمَّا كانت هذه منزلتها أعطاها الله عَزَّوَجَلَّ من لا يُحِب فكثير من الكفار يتنعمون فيها في مآكلها، ومشاربها، ومناكحها؛ حتىٰ قال رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِعُمَر بن الخطاب: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ»[٢].

فكم من عابدٍ لله عَزَّوَجَلَّ موحد علىٰ فقرٍ وحاجة وكم من كافرٍ مشركٍ مُنَدِد علىٰ غنىٰ وطغيان ولكن كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [سورة محمد:١٢]، وهي فتنة هذه الأمة ففِي حَدِيثِ كَعْب بْنِ عُيَاض قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وإن فتنة أمتي الْمَالُ»[٣].

فكم فُتِنَ من علماء، ومن شجعان، وأُمَرَاء، ووزراء، وعُبَّاد، فهي فاتنة مُفتِنَة، ولهذا كان من دعاء النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[٤]،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٥٧).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٩١٣).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٣٦)، وأحمد حديث رقم: (١٧٤٧١).

(٤) تقدم تخريجه.

ويدخل في فتنة المحيا: فتنة الدنيا فإنها كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ».

والحلو: يُرغَب فيه، **والأخضر**: يُطمَع في النظر إليه، ولكنها جُعِلَت علىٰ هذا الحال للاختبار: «وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»[1].

فمن عَمِلَ بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ كانت زاده إلىٰ الآخرة ومن عمل بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ، كانت حِملُهُ إلىٰ الآخرة نسأل الله السلامة؛ والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [سورة التكاثر:١-٢].

- **فينبغي للإنسان**: أن لا يلهيه، التكاثر في المال، أو في الأبناء، أو الزوجات، أو في شأن الدنيا، وإنما يجعل هذه الدنيا متاع، يفيده في الآخرة، وكان من دعاء النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»[2].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»[3].

و كان أصحابه يزهدون في الدنيا ويرغبون عنها، ما غيرتهم ببهرجتها مع أنها فُتِحَت عليهم فارس، والروم، وما زالوا هم أولئك الذين: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٤٢)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٥٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٤٤).

﴿ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٢٣]، وما زالوا علىٰ وحرصهم علىٰ الباقيات الصالحات؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الكهف:٤٦].

وينبغي للمسلم أن يأخذ الدنيا استعدادًا إلىٰ الآخرة كَمَا فِي حَدِيثِ عَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اغتنم خمسًا قبلَ خمسٍ: اغتنم حياتَكَ قبلَ موتِكَ وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ وشبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ وغِنَاكَ قبلَ فقرِكَ وفراغَكَ قبلَ شغلِكَ»[1].

- **وابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ بهذه النصيحة**، وزاد أنه حث علىٰ أبلغ الزهد، فقال: (**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ**): يعني بذلك أن حياة الإنسان كأنها بين وقتين بين: صباح ومساء، وبين: مساءٍ وصباح فعليه أن يكون مستعدًا متأهبًا، ولا يكون طويل الأمل.

وقد رسم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَىٰ هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: «هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا»[2].

---

(١) أخرجه الحاكم حديث رقم: (٧٨٤٦)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤١٧)، عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **والأمل أطول من الأجل**؛ ولهذا تجد أي إنسان إلا من رحم الله يموت وما قد قَنِعَ من الحياة، لا سيما مع كبر السن ففِي حَدِيث أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وتَشُبُّ مَعَهُ خِصْلَتَانِ: الْحِرْصُ وطُولُ الْأَمَلِ**).

فكلما كبر في السن زاد طمعه في هذه الدنيا وأمله في الحياة وعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان قُرْآنًا يُتلىٰ نسخه الله عَزَّوَجَلَّ: «**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»[(١)].

قوله: («**وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ**»): إذا زهِدَت في هذه الدنيا وكان الموت أقرب إليك من كل شيء، فَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ: أي استعد بالعمل الصالح، في أيام الصحة، والشباب، فإنه يستطيع أن يتزود فيها من الخيرات.

فَفِي حَدِيثِ اِبْن عَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»[(٢)].

والإنسان مسؤول عن صحته، وشبابه، وماله، ووقته كَمَا فِيْ حَدِيث أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٤٨)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤١٢)، وجاء عند الترمذي وابن ماجه.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٤١٦)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **ومعلومٌ** أن الإنسان الصحيح يستطيع مالا يستطيعه المريض، فالصحيح يصلي قائمًا، والمريض قد يحتاج إلىٰ القعود كما قال النبيَّ ﷺ في الحَديث الَّذِي أَخرَجه البُخَارِي: عن عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِي الله تَعَالَىٰ عنهُ قَالَ: «صَلِّ قائِمًا فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدا فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[1].

- **وأيهما أفضل للمرء، أن يمرض ويؤجر، أم يكون صحيحًا ويعمل؟**

الجواب: **الصحيح**: أنه لو كان صحيحًا مع العمل أنه أفضل له فإن المرض قد يحول بين الإنسان، وبين العمل، وقد يُحرَم بسببه الإنسان من الأعمال الصالحة مع أن الإنسان إذا مرض كُتُب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا.

قوله: («وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»): أي وخذ من حياتك لموتك كما أنك تأخذ من أيام الصحة والشباب للشيخوخة، والمرض كذلك خذ من حياتك التي أنت فيها لموتك الذي ستقدم عليه وتزود فإن خير الزاد التقوىٰ، قبل أن يُحال بينك وبين ما تشتهي، قال تعالىٰ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سورة سبأ:٥٤].

- **ورحم الله ابن كثير إذ يقول:**

تَمــرُ بِنَــا الأَيــامَ تتَــرَا وَإِنمَــا ... نُساقُ إلىٰ الآجَال وَالعينُ تَنْظر

فَلا عَائدٌ ذَاك الشَبابُ الذي مَضىٰ ... وَلا زَائلٌ هَـذَا المَشيبِ المُكـدر

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١١١٧)، وجاء عند أبي داود وابن ماجه.

فما علىٰ الإنسان إلا أن يستغل الأوقات، واللحظات في سُبُل الخيرات، سواءً كان ما يتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الصلاة، والصيام، ونحو ذلك، أو بأنواع النفقات التي ترفعه عند الله عَزَّوَجَلَّ الدرجات.

- **أما إذا لم يحصل منه ذلك فسيندم**، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة المنافقون:١٠-١١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الجمعة:٦-٧]؛ ما قال يتبعكم، أو سيدرككم، وإنما قال ملاقيكم وهذه أشد الأشياء علىٰ الإنسان، أن يكون في طريق وفجأة يظهر له الخصم، أو يظهر له شيء فيحول بينه وبين الاستمرار .

فعلينا أن نتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأنواع القُرَب قبل أن نتمنىٰ الرجوع، ولا رجوع، قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة المؤمنون:٩٩-١٠١]، لا رجوع!.

- **ورحم الله القائل:**

اغْتَنِمْ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَةْ
كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَةْ

فالإنسان يتزود من الطاعات ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، ويزهد في هذه الدنيا، فإنها والله لو كانت دار النعيم لكانت لغيرنا مِمَن هو أعبد، وأتقىٰ لله، وأزكىٰ عند الله، ولكن مات رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود في ثلاثين صاع من شعير وهو أفضل، وأكرم خلق الله، ومع ذلك كانوا في ذروة العبادة والطاعة، والصلاة، والمراقبة، والزهد، فلم تشغلهم الدنيا، أما هذا الزمان فإن الدنيا فاتنة مُفتِنَة، وذلك بسبب التوسعات فقد يتأثر الإنسان بجاره، أو صاحبه، أو زميله، وهكذا النساء في فعلينا أن يكون حالنا كما قيل:

إِنْ صَحِبْنَا الْمُلُوكَ تَاهُوا عَلَيْنَا وَاسْتَخَفُّوا كِبْرًا بِحَقِّ الْجَلِيسِ
أَوْ صَحِبْنَا التُّجَّارَ صِرْنَا إِلَىٰ وَصِرْنَا إِلَىٰ عِدَادِ الْفُلُوسِ
فَلَزِمْنَا الْبُيُوتَ نَسْتَخْرِجُ الْعِلْمَ وَنَمْلأُ بِهِ بُطُونَ الطُّرُوسِ

والحمد لله رب العالمين.

الحديث الحادي والأربعون

« لَا يُؤْمِنُ أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ.. »

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ): هو: أبو محمد القُرَشِي صحابي جليل، وكان من عُبَّاد الصحابة، كان يصوم يومًا، ويُفطِر يومًا، وكان يقرأ القرآن في سبع، وكان من شأنه أنه مِن حُفَّاظ السُنَّة وَكُتَابِها حتىٰ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَكْثَرُ حديثًا مِنِّي عَنْ رَسُولِ اللهِ، إِلَّا عَبْدالله بِنْ عَمْرو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ."

- **والسبب الذي جعل أحاديثه قليلة**؛ بالنسبة لأبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لعله شُغِلَ بالعبادة وشُغِلَ مع أبيه، في فتوحات مصر، ثم بعد ذلك فيما حصل من المعارك بين عَلِي وَمُعَاوِيَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: مَعَ أَنَّ عَبْد الله بِنْ عَمْرو لَمْ يَكُنْ يُقَاتِلْ وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في "السُنة" حديث رقم: (١٥)، و"الإبانة الكبرىٰ" لابن بطة حديث رقم: (٢٧٩)، وجاء في كتاب "الحُجة في بيان المحجة" حديث رقم: (١٠٣).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ].

النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا، وَلَا تَعْصِهِ»، قَالَ: فَأَنَا مَعَكَ، وَلَسْتُ أُقَاتِلُ[1].

- وهذا الحديث ضعيفٌ فيه عدة علل:

الأولى: في سنده نُعَيم بِنْ حَمَّاد الخُزَاعِي شيخ البخاري ضعيف.

والثانية: أنه اضطَرَب فيه فتارة يرويه عن مشائخه عن محمد ابن سيرين، وربما قال عن هشام، وتارة يُتَشَكك فيه عن هشام.

والثالثة: فيه عُقبة بن أوس، قيل: فيه مجهول، وقيل: لم يسمع من عبد الله ابن عَمْرو؛ ومع ذلك فلا يؤمن أحدكم الإيمان الواجب، الكامل، حتىٰ تكون محبته تابعة لما جاء به النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فما أمر الله به، وأمر به رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحبه المؤمن، وما حرَّمه الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أو نهاه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أبغضه المؤمن، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ [سورة الحجرات:٧-٨]؛ فمحبة دين الإسلام وأوامر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُعتبَر من فضل الله ونعمته علىٰ العبد؛ لأن المنافقين: ﴿كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾ [سورة

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٦٥٣٨).

محمد:٩]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨﴾ [سورة محمد:٢٨].

فالبغض لدين الله أو لما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب حبوط الأعمال، ومحبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والشرع الذي أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ وجاء به رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُعتبَر من الإيمان، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [سورة النساء:٦٥]؛ فلا يكمل إيمانهم حتىٰ يكون تحاكمهم إلىٰ كتاب الله وإلىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [سورة النساء:٨٣].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في بيان أن لا خيرة للعبد مع خيرة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [سورة الأحزاب:٣٦]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

وأمر الله باتباع نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يكون الاتباع إلا بمخالفة الهوىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف:١٥٧].

ولا يجوز أن يُقدِّم علىٰ محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء من المحاب فما قضاه الله عَزَّوَجَلَّ وأحبه أي قضاه شرعًا علىٰ الإنسان أن يأتي به مع محبته له، وما أبغضه الله عَزَّوَجَلَّ وكرهه وجب علىٰ المؤمن أن يبغضه ويكرهه والله عَزَّوَجَلَّ قد حذرنا أن نُقدم علىٰ محبته ومحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا من المحاب، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٣-٢٤].

- **والمحب يسير علىٰ هوىٰ حبيبه**، وقد أحسن القائل:

تَعْصِي الإِلـه وَأَنْـتَ تُظْهِـرُ حُبَّـهُ هـذا لَعمـري في القيـاس شَـنيعُ
لَـوْ كـانَ حُبُّـكَ صَـادِقًا لأَطَعْتَـهُ إِنَّ الْمُحِـبَّ لِمَـنْ يُحِـبُّ مُطِيـعُ

مع اختلاف العلماء بالحلف أو بقوله لَعمري؛ **فقال بعضهم**: المراد لَعمرك قسَمْي، وقالوا غير ذلك والأولىٰ ترك التعبير بها.

- **ومن محبة الله** عَزَّوَجَلَّ: أن تُحفَظ حدوده فلا يُؤْمِن العبد الإيمان الكامل حتىٰ يكون هواه وحبه لما جاء به النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فاتباع الهوىٰ سبب الضلال، قال تعالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة ص:٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾ [سورة الشورىٰ:١٥]، ومن لم يستجب الله عَزَّوَجَلَّ وأمر رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهو متبع للهوىٰ لا محالة، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة القصص:٥٠]، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول:﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الجاثية:٢٣].

- **وسُمِّي الهوىٰ هوىٰ**؛ لأنه يهوىٰ بصاحبه إلىٰ البدعة والضلالة وكان من دعاء النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ اَلْأَخْلَاقِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَدْوَاءِ»[1].

- **وقال بعض السلف**: إذا أردت أن تُلازِم الحق فخالف هواك، ويذكرون أن أعداء الإنسان ثلاثة: (**النفس، والشيطان، والهوىٰ**).

إِبْلِيسُ، وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهَوَىٰ كَيْفَ الخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

- وفي الحديث والدعوة إلىٰ ملازمة السنة والهدي النبوي، والتحذير من تقديم الآراء، والأقيسة، علىٰ ما جاء من وحي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فإن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تركنا علَىٰ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ.

- **وسُميَّ أهل الأهواء بهذا الاسم**؛ لأنهم قدموا الهوىٰ علىٰ الكتاب والسنة، فالجهمية قدموا آراء جَهْم، والمعتزلة قدموا آراء واصل بن عطاء الغزال، وعَمْر بن عبيد، ومن إليهم، والأشاعرة قدموا آراء محمد بن عبد الله بن كُلَّاب وأبي الحسن الأشعري قبل توبته .

وتجد أصحاب الأحزاب يقدمون أهواء أئمتهم ومن أسسهم علىٰ قول الله وقول رَسُولَه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بينما أهل الحديث سَلِمتَ لهم عقيدتهم، ودينهم لما أخذوا بالكتاب العظيم، فهو حبل الله المتين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في "السُنة" حديث رقم: (١٣)، جاء عند ابن حبان بنحوه رقم: (٩٦٠).

جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]؛ فمن اعتصم بالله ثبَّته الله عَزَّوَجَلَّ وهداه، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠١].

- ومن المحبة في الله ما تقدم من قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

فإن إتباع الهوىٰ في الغالب يحمل علىٰ الحقد، والحسد، والبغض، والكراهة، وعدم محبة الخير للناس وغير ذلك.

- **ونُعَيم بِنْ حَمَّاد الخُزَاعِي** إمام في السُنة، ضعيف في الحديث، **وهو القائل**: (من مَثَّل الله بخلقه كَفَر، ومَن شبَّه الله بخلقه كَفَر؛ وليس فيما وصَف الله به نفسه، أو وصف به رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تمثيلٌ ولا تشبيه).

والحمد لله رب العالمين.

❀ ❀ ❀

(١) تقدم تخريجه.

الحديث الثاني والأربعون

«يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي..»

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَالَ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِي بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ[1].

الشَّرْحُ

❁ وأنت ترى: أن هذا الكتاب قد حوىٰ خيرًا كثيرًا، في العقائد، والآداب، والأحكام، وغالب ما ذكر فيه من الأحاديث فهو من الصحاح، والحِسان ما عدا أحاديث يسيرة، فإنها لم تثبت سندًا ومعناها يثبت من أدلةٍ أُخَرىٰ.

- وأول هذه الأحاديث: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»؛ فالصحيح فيه: أنه مُرسَل، عن علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٥٤٠).

وثانيها: حديث سَهلِ بن سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دُلَّني عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأَحبَّني النَاسُ؟ فَقَالَ: «ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»؛ فيه: خالد بن عَمْر الْقُرَشِي اتهم بالكذب.

والثالث: حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»؛ **فالصحيح**: أنه ضعيف، وربما ذُكِرَ الإجماع علىٰ ضعفه أو قارَب في ذلك.

الرابع: حديث عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا يُؤْمِن أَحدكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ»؛ فيه: نعيم بن حَمَّاد وغير ذلك من العلل.

❁ **وهذا حديث عظيم** ختم به النووي رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب الأربعين.

وهو من الأحاديث القُدسِية التي تُضاف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وبها يُثبَت أن الله عَزَّوَجَلَّ مُتكَلِم بحرف وصوت، يتكلم متىٰ شاء، وكيف شاء، والدليل علىٰ الحرف والصوت قوله: يَا ابْنَ آدَمَ، فإن الياء حرف نداء، وابْنَ آدَم مُنادىٰ، وقد سمع موسىٰ عليه السلام كلام الله؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣].

قوله: («يَا ابْنَ آدَمَ»): وخاطب الله عَزَّوَجَلَّ ابْنَ آدَمَ دون غيره؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد كرَّم هذا الصنف، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [سورة الإسراء:٧٠]؛ وخلقه الله في أحسن تقويم، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا

ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة التين:٤]؛ وقال تعالىٰ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[التغابن:٣].

- ثم جعل الله عَزَّوَجَلَّ الكرامة لهذا الإنسان بالتقوىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات:١٣].

- وهل هذا النداء يراد به العموم أم يُرَاد به الخصوص؟

الجواب: لا يُبعَد أنه يراد به العموم؛ فإن جميع بني آدم لو تُحقِقَ فيهم ما ذُكِر لاستجاب الله عَزَّوَجَلَّ لهم، وغفر لهم، ولكن الواقع أن أكثر الناس علىٰ شرك وانحراف، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يوسف:١٠٦]، قال تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة سبأ:١٣].

قوله: («إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ»):

والدعاء عبادة عظيمة، قال الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر:٦٠]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [سورة البقرة:١٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ

فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ [سورة الأنبياء:٩٠].

وكم من الآيات التي أخبر الله عن دعاء الأنبياء سواءً ما قصَّة الله في سورة الأنبياء من دعاء أيوب، ويونس، وزكريا، أو ما جاء في غيرها كدعاء نوح، ولوط وغير ذلك من الأدعية.

- **وفي حديث النعمان بن بشير**: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»[1]، وأما حديث أنس بن مالك: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»[2]، فهو ضعيف.

- **والدعاء قسمان**:

الأول: **دعاء مسألة**.

الثاني: **دعاء عبادة**.

- **ودعاء المسألة**: هو الطلب كأن تقول: (اللهم اغفر لي، اللهم ارزقني، اللهم اعطني)، وهذا الدعاء يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ [سورة العنكبوت:٦٥]، وفي بعض الأحاديث وفيه كلام: قال

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٩٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٣٧١) **وقال**: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ.

رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك الرجل: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟» قَالَ: سَبْعَةً، قَالَ: «فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ[1].

فالذي يفرج الكروب، وييسر الأمور، ويقضي الحاجات، هو الله عَزَّوَجَلَّ، والإنسان كلما دعا الله عَزَّوَجَلَّ فهو في خير عظيم فعن أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»[2].

ودعاء العبادة هو الصلاة، والصيام، والحج وغير ذلك من العبادات، ودعاء العبادة في الغالب يتضمن دعاء المسألة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يُدْعَىٰ في كثيرٍ من العبادات كالصلاة، والحج، والصيام وغير ذلك .

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ أوقاتًا لاستجابة الدعاء مع أن الله عَزَّوَجَلَّ يستجيب في أي وقتٍ وحين لمن شاء من عباده، فهو حيٌّ قيومٌ لا تأخذه سِنَة ولا نوم.

- ومن هذه الأوقات: (الساعة الأخيرة يوم الجمعة)؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تعالى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٤٨٣)، قال الألباني: ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١١١٣٣)، عن أبي سيعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٨٥٢).

- ومنها: (الثلث الأخير من الليل)؛ حين ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ السماء الدنيا فيقول كما فِي "الصحيح" من حديث أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وجاء عن غيرهما: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلْنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(١)].

- ومنها: (دعاء يوم عرفة)، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(٢)].

- ومنها: (الدعاء في السفر)؛ كما في حديث الثلاثة الذين لا تردُّ دعوتهم.

- ومنها: (السجود)؛ ففي "سنن أبي داود": عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَشَفَ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَىٰ لَهُ، وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ، فَعَظِّمُوا الرَّبَّ فِيهِ، وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١١٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٥٨٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَحَمَّادُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ هُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ، وَهُوَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيُّ المَدِينِيُّ وَلَيْسَ هُوَ بِالقَوِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ. قال الألباني: حسن.

(٣) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٨٧٦)، قال الشيخ الألباني: صحيح

- ومنها كذلك: (بين الأذان والإقامة)؛ وهو من أرجىٰ الأوقات لاستجابة الدعاء.

- ومنها: (دبر الصلاة)؛ فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الله دبر الصلاة كثيرًا، وشرع لنا أن ندعو الله عَزَّوَجَلَّ فيها، وفي غير ذلك من الأوقات.

- ومنها: (دعوة المظلوم)؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب كما في حديث معاذ في مسلم.

- ومنها: (دعوة الوالد علىٰ ولده) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»[1].

- ومنها: (ساعة في الليل)؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»[2].

- وأيضًا: (عند القيام من النوم مع ذكر الله عَزَّوَجَلَّ)؛ لحديث عبادة بن الصامت: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ حِينَ يَسْتَيْقِظُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، ثُمَّ دَعَا رَبِّ اغْفِرْ لِي،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٠٠٩)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٥٧)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

غُفِرَ لَهُ»، قَالَ الْوَلِيدُ: أَوْ قَالَ: «دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»[١].

- **والدعاء الذي يؤتىٰ قبله** بالتسبيح والتحميد، والتهليل، والثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لما صح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَدْعُو بِهِنَّ قَالَ: «تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ عَشْرًا، وَتَحْمَدِينَهُ عَشْرًا، وَتُكَبِّرِينَهُ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِي حَاجَتَكِ فَإِنَّهُ يَقُولُ: قَدْ فَعَلْتُ قَدْ فَعَلْتُ»[٢].

- **ومنها**: (**الإلحاح في الدعاء**)؛ فإنها من أسباب الاستجابة، قال تعالىٰ ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [سورة الأعراف:٥٥]؛ والإنسان يخفي الدعاء ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا فإنه يدعو سميعًا، قريبًا، مجيبًا، كما قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبد الله بن قيس في "الصحيحين": «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»[٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [سورة النمل:٦٢].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١١٥٤)، وجاء عند الترمذي وأبو داود وغيرهما.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٢٢٠٧).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٢٠٥)، ومسلم حديث رقم: (٢٧٠٤).

وفي "سنن أبي داود: عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللهِ، مَرَّتَيْنِ، قَالَ: «لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ - أَوْ فَلَاةٍ - فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا» قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قَالَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»[1].

- والله عَزَّوَجَلَّ **لا يعجزه شيء**، ولا يجوز للإنسان أن يستثنىٰ في الدعاء يقول: (اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت)، فهذا من المنهيات؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٠٨٤)، قال الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٣٣٨)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٧٩) واللفظ لمسلم.

- **ولا يجوز أن يعتدي في الدعاء**؛ كأن يكون إنسان أساء إليك بإساءة فتقول: (اللهم اسلبه الإيمان، أو الإسلام)، أو يكون الخطأ في حقك يسير وتقول: (اللهم اقتله، اللهم افعل به)؛ لأمرٍ لا يستحقه أو أن يطلب شيء ليس كأن يقول بعضهم: (اللهم إني أسألك الوسيلة)؛ فإن الوسيلة لرجلٍ واحد قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ»[(١)].

- **ومن أسباب استجابة الدعاء: (الرجاء)** قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١١٠]، فيرجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن يستجيب دعاءه ويحقق رجاءه فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول كما جاء عند "مسلم": من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[(٢)].

- **والرجاء**: هو الطمع في الله عَزَّوَجَلَّ، أن يفرج كربك ويقضي دَيْنَك، ويُصلح حالك، وهو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٨٤).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٧٥).

- **وينبغي للإنسان قبل الدعاء**: أن يقدم بين يديه الثناء على لله عَزَّوَجَلَّ والصلاة على رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فإن رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ففي "السنن الصغير" للبيهقي: عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَأَىٰ رَجُلًا صَلَّىٰ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ، وَلَمْ يُمَجِّدْهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَانْصَرَفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «عَجِلَ هَذَا» فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ، أَوْ قَالَ: بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُو بِمَا شَاءَ»[1].

وفي "سنن أبي داود": عن بريدة قال: سمع رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالِاسْمِ الْأَعظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»[2].

قوله: («غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ»): لأن الله عَزَّوَجَلَّ غفور رحيم، والمغفرة هي ستر العيوب، والتجاوز عن الذنوب، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة طه:٨٢]، وقال رسول

---

(١) أخرجه البيهقي في "السنن الصغير" حديث رقم: (٤٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٤٩٣).

الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»[(١)].

وكم هي الأدعية التي فيها، اللهم اغفر لي اللهم ارحمنِ، بل لقد جاء في مسلم من حديث طارق ابن أشيْم كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ، عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي»[(٢)].

- ومن دعاء المسلمين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [سورة آل عمران:١٤٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [سورة البقرة:٢٨٦].

قوله: («وَلا أُبَالِيْ»)؛ لأن الله هو الغفور الرحيم والذي لا يعجزه شيء ولا يكرثه شيء، والأمر أمره لا يسأل عما يفعل وهم يفعلون.

قوله: («يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ»): عَنَانَ السَّمَاءِ قيل السحاب، وقيل: علو السماء، ولا يمنع أن يُراد بها الأمران، وفيه: أن العباد يذنبون ويخطئون.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩٧).

- وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(١).

فإذا كان الذنب حاصل منك أيها العبد، فعليك أن تسلك السُبل المؤدية إلىٰ تكفيره ومنها الاستغفار، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [سورة هود:٩٠]، وقال: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [سورة هود:٣]، وقال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [سورة نوح:١٠-١٢]، وقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝٥٢﴾ [سورة هود:٥٢].

وكان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انتهىٰ من الصلاة اسْتَغْفَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(٢).

وهكذا ما جلس مجلسًا إلا واستغفر ربه: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ،لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٤٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٩١)، والترمذي حديث رقم: (٣٠٠)، وغيرهما.

- وقبل موته أنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [سورة النصر:١-٣]، وقد فعل النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذا الأمر، فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُكثر أن يقول قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ)»، إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ [٢].

ويتعين الاستغفار بعد الذنب فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حث علىٰ ذلك ورَغَّب فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ »[٣].

---

(١) أخرجه بو داود حديث رقم: (٤٨٥٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٤٨٤).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

- وأسباب تكفير الذنوب كثيرة ذكرها شارح "الطحاوية" ونقلناها عنه في كتابنا شروط التوبة وملخصها:

١-التوبة.

٢- والاستغفار.

٣- والحسنات.

٤- والمصائب الدنيوية.

٥- وعذاب القبر.

٦- ودعاء المؤمنين واستغفارهم.

٧- ما يُهدىٰ إليه بعد الموت أي: من الأمور المشروعة: كالدعاء، والصدقة.

٨- والحج، أهوال يوم القيامة.

٩- وقوفهم علىٰ قنطرة بين الجنة والنار يقع التقاص.

١٠- شفاعة الشافعين.

١١- عفو أرحم الراحمين، وقد نظمها الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

ويسقط عن عبدٍ عذاب جهنمَ ... خصال متىٰ تحصل يفز بالذي يهوىٰ

فتوبته استغفاره حسناته ... مصائب عذاب القبر إن شئت أن ترضىٰ

كذاك دعاء المؤمنين لبعضهم ... كذلك ما يُهدىٰ له بعدما يُجتَىٰ

وأهوال يوم الحشر ثم وقوفهم بقنطرةٍ بين الجحيم كذا المأوىٰ

شفاعة شافعٍ وعفوٍ لربهم ملخص من شرح الطحاوية عسىٰ

قوله: («يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَ تُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً») فيه: أن هذا أعظم الأسباب لتحصيل الثواب، والتجاوز عن السيئات والعقاب وهو أن يلقىٰ العبد ربه بالتوحيد، فإن التوحيد أعظم حسنة والشرك أعظم سيئة، فمن تخلَّص من الشرك بنوعيه الأكبر، والأصغر فهو علىٰ خير عظيم فإن التوحيد حسنة عظيمة.

وكما في حَدِيثِ عَبْد الله بِنْ عَمْرو بِنْ العاص عند الترمذي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلَ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ: بَلَى ؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ! مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦٣٩).

- وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة:٧٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [سورة النساء:١١٦].

- وفيه: أن الذنوب فيما دون الشرك تحت المشيئة، إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ أخذ بها وإن شاء الله عَزَّوَجَلَّ عفا عنها هذا في من مات عليها أما من تاب منها فإن التوبة تهدم ما قبلها.

- قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن يمت ولم يتب من الخطا ... فأمره مفوض لذي العطا

فإن يشأ يعفو وإن شاء انتقم ... وإن يشأ أعطىٰ وأجزل النعم

- وقد تضمن الحديث ثلاثة أسباب لمغفرة الذنوب، والتجاوز عنها:

الأول: دعاء الله عَزَّوَجَلَّ والتضرع إليه.

والثاني: الاستغفار وفيه الإشارة إلىٰ التوبة.

والثالث: التخلص من الشرك وتحقيق التوحيد.

وفي حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَىٰ الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ: فَمَا

حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ، فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: " ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٢٠).

أي: أنهم حققوا التوحيد فاستحقوا دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب.

وقوله: («ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِيْ»): فيه: إشارة إلىٰ شروط التوبة فإن كان الذنب فيما بين العبد وبين الله، **وله شروط خمسة:**

الأول: الإخلاص.

والثاني: أن تكون في زمن يُقبَل فيه التوبة.

والثالث: الإقلاع عن الذنب.

والرابع: الندم علىٰ فعله.

والخامس: العزم أن لا يعود.

- **وإن كان الذنب بين العباد أنفسهم**؛ فيُشترط هذه الشروط الخمسة مع زيادة: (**التحلل من المظلوم**)؛ قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتْ عنده مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»[1].

- **وإن كان الذنب (بدعة)** يجب الزيادة علىٰ الخمسة الشروط: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٠]

- **وإن كان الذنب الذي تعاطاه (نفاق)** والعياذ بالله كحال الاشتراكيين، والرافضة والبعثيين، لا سيما من يعتقد أن لا إله والحياة مادة، **أو من يقول:**

---

(١) أخرجه البخاري" حديث رقم: (٢٤٤٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

آمنت بالبعث ربًا لا شريك له وبالعروبة دينا ماله ثاني

وأصحاب الحداثة، الذين تزندقوا وخرجوا من الإسلام، بهذه الاعتقادات الفاسدة فهؤلاء يجب في توبتهم زيادة علىٰ الخمسة الشروط ؛ ما قاله الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء:١٤٦].

- **وإن كان الذنب (كفرٌ)** فالتوبة منه بالإسلام، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [سورة الأنفال:٣٨].

- **وقد ضمَّنتُ هذه الشروط كتابي "شروط التوبة إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ".**

وختم به الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ الأربعين بهذا الحديث، كسَيّد الاستغفار الذي صح عن رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ»[(١)].

وككفارة المجلس الذي صح عن رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ،لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٣٠٦)، عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه بو داود حديث رقم: (٤٨٥٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

- **والحديث** من طريق: كثير بن فائد؛ وهو مجهول الحال، لكن قد جاءت له متابعات شواهد كثيرة في كتاب الله وفي سُنة رسوله ﷺ، **والحمد لله رب العالمين.**

❁ ❁ ❁

الحديث الثالث والأربعون

«أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا..»

قال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ»[1].

الشَّرْحُ

❁ هذا هو الحديث الثالث والأربعون، وليس هو من وضع النووي، وإنما هي من زيادات ابن رجب علىٰ الأربعين النووية، فقد زاد ثمانية أحاديث تتمة الخمسين مما عليها مدار الأبواب ومن الأحاديث الجوامع

- وقد أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم ما يتعلق بالفرائض قال تعالىٰ:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٧٣٢، ٦٧٣٥)، ومسلم حديث رقم: (١٦١٥).

لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۙ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [النساء :٧ – ١٢]

– **وقال تعالى:** ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء: ١٧٦].

- والفروض هي: الثلثان والنصف، والربع، والثُلث، والثُمُن.

فعند قسمة المواريث، يقوم الإنسان بالبدء بالفريضة، ثم التعصيب، والمعصبون يأخذون بقية المال.

- فمثلًا: رجُلٌ هلَك عن أُمٍ وأبٍ وزوجةٍ وولد.

فللأم السدس، وللأب السدس، وللزوجة الثُمُن، وبقية المال يرثه الولد تعصيبًا.

- ومثله: لو مات رجلٌ عن ابنتين وأب؟

فلابنتيه الثلثان، وللأب السدس فرضًا، ثم يأخذ الباقي تعصيبًا. \

- وهكذا: لو مات رجل عن بنتٍ وأختٍ؟

فللبنت النصف، وللأخت النصف، في مسائل كثيرة ليس هذا موطن البسط.

فالله عَزَّوَجَلَّ أنزل في القرآن ما يتعلق بفروض المواريث، وكان هذا الحديث حين انضم إلىٰ تلك الآيات مُبَيّنًا لكيفية قسمة المواريث، بين الفروض والعصبات.

وقوله: («أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا»): دليلٌ علىٰ أن من مات ومعه مال فإن ماله يصير إلىٰ ورثته فلا يجوز إهداره أو إتلافه، وما يفعله المسلمون في كثيرٍ من المناطق من حرمان الإناث من الميراث فإن هذا ظلمٌ، وجور، فإن الإناث لهن نصيبٌ جعله الله عَزَّوَجَلَّ لهن؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [سورة النساء:١١].

- والإرث نوعان: (فرضٌ، وتعصيب): فالفرض: ما تقدم بيانه، والتعصيب: ما ليس بفرضٍ، فإن وُجِدَ لهالك كثير من المعصبين فإن المال يُعطىٰ لأقرب واحد منهم.

- فمثلًا: رجل مات وله ابنه، وزوجة، وأخ، وأبناء أخ، وعم؟

فيُعطىٰ للزوجة الثُمُن، وللبنت النصف، وبقية المال يأخذه الأخ تعصيًا؛ لأنه أقرب واحد إليه.

قوله: («رَجُلٍ ذَكَرٍ»): قال بعضهم: لماذا قال ذَكَرٍ، ومعلوم أن الرجل لا يكون إلا ذَكَرٍ؟ قالوا: حتىٰ يدخل فيه الصغار والأطفال، فإنهم ليسوا برجال وهم ذكور.

- وينبغي للمسلمين: أن يتعلموا علم المواريث، فهو كما يُقال علم شهر ويستفيد منه الإنسان الدهر، هذا أولًا وثانيًا لأنه علمٌ أنزله الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وبيّنه ووضحه وجَلَّاه في سورة النساء في أولها ذكر ما يتعلق بالفرائض وفي آخرها آية الصيف التي تتعلق بالكلالة وهو الرجل الذي يموت ليس له وارث.

وفي آخر سورة الأنفال وفي أوائل سورة الأحزاب الإشارة إلىٰ التعصيب بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[الأحزاب:٦]، فالأرحام يُعَصِّب بعضهم بعضا وكلما قَرُب الرحم فالمال يُدفع إليه، وإن تساوىٰ الذكور في الرتبة فالمال يكون بينهم بالسوية.

- وإذا وُجِد الأخوة مع الأب فالأب يُعَصِب جميع المال وليس للأخوة شيء علىٰ الصحيح.

- وإذا وُجِد ابن للميت فالابن يعصب المال الذي بعد الفروض وليس لأحدٍ معه شيء.

❁ **فهذا حديثٌ عظيم** وهو من الأحاديث المتفق عليها ومن الأحاديث التي عليها مدار باب الفرائض المواريث.

ولو أردنا التفصيل في هذا الباب يطول، وإنما هذه إشارات فأصحاب الثُمُن الزوجة أو الزوجات، مع وجود الفرع الوارث، وأصحاب الربع الزوجة، مع عدم وجود الفرع الوارث والزوج مع وجود الفرع الوارث.

- **وأصحاب الثلث**: للأم في عدم وجود الأبناء، مع وجود الأخوة لها الثلث، وبقية المال يأخذه الأب تعصيبا، ويكون لأبناء الأم إذا كانوا اثنين فما فوق، والنصف يكون للأخت في عدم وجود الفرع الوارث، أو للابنة إذا لم يوجد إلا هي، وبقية المال يكون تعصيبا، والثلثان، للبنتين فما فوق، والسدس للأب، وللأم وللأخ من الأم، هذه أشهر ما يتعلق بالفرائض، **والحمد لله إلىٰ هنا يكفي**.

❁ ❁ ❁

الحديث الرابع والأربعون

« الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ»

قال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ»(١).

الشَّرْحُ

هذا حديثٌ عظيم وجاء بنحوه عَنْ اِبْنِ عَبَّاسَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي لفظ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»(٢).

- وقد نضم بعضهم ما يتعلق بذلك في قوله:

أَقَارِبُ ذِي الرَّضَاعَةِ بِانْتِسَابٍ ... أَجَانِبُ مُرْضِعٍ إِلَّا بَنِيهِ

وَمُرْضِعَةٌ أَقَارِبُهَا جَمِيعًا ... أَقَارِبُهُ وَلَا تَخْصِيصَ فِيهِ

- وقد ذَكَرَ الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن المُحَرمات من النسب، قال تعالىٰ:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣١٠٥، ٥٠٩٩)، ومسلم حديث رقم: (١٤٤٤)، والنسائي حديث رقم: (٣٣١٣). وجاء عند أبي داود وأحمد وابن ماجه.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٤٤٧).

أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾[النساء:٢٣].

- وفي هذا الحديث: بيانٌ لما يُسمىٰ بلبن الفحل وهو أن الأب من الرضاعة مُعتبَر ومما يدل علىٰ ذلك مَا جَاءَ فِي "الصَّحِيحَيْنِ": عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (أَنْ أَفْلَحْ - أَخَا أَبِي القعيس - اِسْتَأْذَنَ عَلِيٌّ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الحِجَابُ فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا آذَنُ لَهُ، حَتَّىٰ أَسْتَأْذِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ائذني لَهُ، فَإِنَّهُ عَمُّكِ مِنْ الرَّضَاعَةِ وَيَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»[(١)].

- فإذا كان العم من الرضاعة فمن باب أولىٰ الأب من الرضاعة.

- والرضعات المُحرِمات خمس؛ كما قالت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ، بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ[(٢)].

- وضابط الرضعة: أن يأخذ الصبي الثدي فيرضع منه ثم يتركه، ثم يرضع منه ثم يتركه من نفسه فإن تم له خمس رضعات، فقد صارت المحرمِيَة بينه

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم :(٦١٥٦)، ومسلم حديث رقم: ٥- (١٤٤٥).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٤٥٢).

وبين تلك المرأة التي رضع منها، بل وكل من ينتسب إليها، فَإنه يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ.

- والرضاعة المعتبرة: هي رضاعة الحولين كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك في كتابه: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [سورة البقرة:٢٣٣].

- ومن أحب أن يُرضِع لولده جاز ذلك حتىٰ وإن كان في الأم لبن، فقد كان العرب يتخيرون لأبنائهم مرضعات ذوات لبن وبنية، وربما تغذىٰ الولد وصار قوي البدن.

- والأصل: أن الرضاعة من المجاعة وفِي الحولين، أما وقد استغنىٰ الطفل باللحم والخبز عن اللبن، فالرضاعة غير معتبرة، إلا ما جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ سَالِمًا، مَوْلَىٰ أَبِي حُذَيْفَةَ كَانَ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ وَأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِمْ، فَأَتَتْ - تَعْنِي ابْنَةَ سُهَيْلٍ - النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنَّ سَالِمًا قَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ، وَعَقَلَ مَا عَقَلُوا، وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ، وَيَذْهَبِ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ»، فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُهُ. فَذَهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ[1].

وكانت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تأخذ بهذا الحديث، فإذا أحبت أن يدخل عليها أحدٌ أمرت من يقربها أن يرضع وذلك الرجل حتىٰ يدخل عليها.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٤٥٣).

وأما بقية زوجات النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأبين أن يدخل عليهن أحدٌ بتلك الرضاعة.

- **وقد اختلفوا في شأن هذا الذي يحتاج إلىٰ الإرضاع وهو كبير، هل يرضع منها مباشرة بمساس، أم أنها تصب له اللبن بإناءٍ ثم يشربه؟**

والجواب: **الذي يظهر**: أن الحديث يدل علىٰ الإرضاع: «أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ»، هذا الأمر يكون من الرُخَص.

- **وشأن الرضاعة مهم** لا سيما في البوادي، والأماكن التي يقع فيها الخلطة فإن كثير من الناس قد تقع بينهم المحرمية وهم لا يشعرون لا سيما مع الجهل، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ: أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عُزَيْزٍ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي، وَلاَ أَخْبَرْتِنِي، فَرَكِبَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ» فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ، وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ[1].

فإن قُدِّر بينهما أبناء قبل معرفة الرضاع فالأبناء يُنسَبون إلىٰ أبيهم وأمهم، وهم أبناء شبهه يرثون من أبيهم، ويرثون من أمهم وعند الفراق بينهم لا يلزم الطلاق بل يجب عليه أن يفارقها بمجرد ثبوت الرضع.

وقوله: («يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»): هذا من حيث الخلوة لا من حيث الإرث والولاء وغير ذلك، وقد أجاز العلماء شهادة المرأة في

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٨٨).

الرضاعة، إذ لم يكن إلا هي فإن كانت من أهل الصدق، والصلاح قُبِل قولها ولو لم يكن إلا علىٰ أنه شبهة وإن عُلِمَ منها الكذب، وأرادت أن تُفَرق بين الرجل وزوجه لا يلزمه أن يفارق إلا إذا تَيَقن الرضاعة بمن يشهد معها.

- وهناك أحكام كثيرة:

- منها: هل يجوز للرجل أن يجمع بين المرأة وبين أختها من الرضاعة، أو بين المرأة وبين أمها من الرضاعة أو بين المرأة وبين خالتها من الرضاعة.

ومعلوم أن النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نهىٰ أن يُجمَع بين المرأة وعمتها أو بين المرأة وخالتها كما في حديث أبي هريرة في الصحيحين فيبقىٰ الحديث علىٰ عمومه: «ويَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ».

فالإنسان يحاول في هذه الأمور أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ، وقد ذُكِرَ أن بعضهم في عهد عمر بن الخطاب: كانت له جارية وكان يأتيها فأرادت امرأته أن تحرمها عليه فأرضعتها، فلما رجع إليها قالت: دونك جاريتك فقد أرضعتها فذهب وسأل عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ولم ينهه عنها وأخبره أن ذلك لا يضره.

- الشاهد: أن مسألة إرضاع الكبير إنما هي من الرُّخَص وإلا في الأصل أنها لا تدخل في باب المحرمية، ومن هذا ما يفعله بعضهم من رضاع ثدي زوجته، مع أن الأولىٰ ترك هذا الفعل، لو لم يكن إلا وجود الشبهة وربما أداء إلىٰ قلق الإنسان، **والحمد لله رب العالمين.**

الحديث الخامس والأربعون

« إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيعَ الخَمْرِ، وَالمَيِّتَةَ..»

قال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ، وَالخِنْزِيرِ، وَالأَصْنَامِ»، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ!: أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ؟ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنَ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسَ فَقَالَ: «لَا هُوَ حَرَامٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»[1].

الشَّرْحُ

❁ هذا حديثٌ عظيم، اتفق عليه الشيخان، وَقَدْ سَمِعَهُ جَابِرُ اِبْنُ عَبْدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الفَتْحُ، وهو في السنة الثامنة من الهجرة، (فتح مكة) لما فُتِحَت مكة حصل الفتح العظيم حيث دخل الناس في دين الله أفواجًا.

- والفتح العظيم كان قبل دخول مكة بعام، حين صد المشركون رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن البيت الحرام، ووقع صُلح الحديبية، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٢٣٦)، ومسلم حديث رقم: (١٥٨١).

فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ [سورة الفتح:١]؛ لأن قريشًا اعترفوا بِالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعملوا معه صُلْح وهذا في الغالب يدل علىٰ ضعف الخصم، إذ رضي بالإصلاح بينك وبينه، لا سيما في مثل حال قريش الذين كانوا يُسَفِّهون النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه، ومن معه.

وكان الصلح في نظر الناظر فيه إجحاف علىٰ المسلمين وتَعَنُّت من الكافرين كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي وَائِلٍ قَالَ قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَىٰ قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا عَلَىٰ حَقٍّ وَهُمْ عَلَىٰ بَاطِلٍ؟ قَالَ: «بَلَىٰ»، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَىٰ»، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا»، قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَىٰ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَىٰ حَقٍّ وَهُمْ عَلَىٰ بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، قَالَ:

فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ فَتْحٌ هُو؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَع[1].

ثم إن رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمر الصحابة أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هَديَهم فأبوا من شدة ما وقع في قلوبهم من هذا الصُلْح، وكان من شروط الكفار من جاءكم من قِبَلِنا تردونه، ومن جاء إلينا من قِبَلِكُم لا نرده، وكان أبو جندل ابن سهيل ابن عمرو في ذلك الوقت في وقت الصُلْح يرفس في قيوده حتىٰ وقع عند المسلمين، فقال: سهيل بن عمرو هذا أول ما نقاضيك عليه يا محمد، فردوه في حالة من الخوف، والفزع، ومع ذلك أنزل الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [سورة الفتح:١]، وكان فتح مبين.

قوله: («حَرَّمَ بَيعَ الخَمْرُ»): **المُحَّرِم هو**: الله، وَرَسُولُهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هُوَ المُبَلِّغُ؛ كَمَا فِي مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدُ لَمَّا كَرِهَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَكَلَ الثَّوْمُ فَقَالَ الصحابة: حُرِّمَتْ حُرِّمَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ بِي تَحْرِيمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لِي، وَلَكِنَّهَا شَجَرَةٌ أَكْرَهُ رِيحَهَا»[2]، ولكن رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ هو المُبَلِّغُ عن الله.

والبيع يُطلَق علىٰ الشراء، وعلىٰ البيع الذي هو معروف فهي من الألفاظ المشتركة، كما أن لفظة شراء تُطلَق ويراد بها البيع، ويُرَاد بها أخذ السِلعَة.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣١٨٤)، ومسلم حديث رقم: (١٧٨٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٦٥).

وشأن الخمر عظيم، وقد أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في تحريمه حالات:

الأولى: قال تعالىٰ: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [سورة النساء:٤٣].

والثانية: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة المائدة:٩٠].

ولعن رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ في الخمرة عشرة كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَالْمُشْتَرِي لَهَا وَالْمُشْتَرَاةُ لَهُ»[1].

وأخبر النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن مَن شَرِبَ الخمر لا تقبل له صلاة أربعين يوما كما في حديث عَبْد الله اِبْن عَمْرو عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ.

وكان من أسباب تحريمها ما وقع في شأن سَعَد بْنْ أَبِي وَقَّاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ففي "صحيح مسلم": عن سَعَد بْنْ أَبِي وَقَّاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ - قَالَ - حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّىٰ يَكْفُرَ بِدِينِهِ وَلاَ تَأْكُلَ وَلاَ تَشْرَبَ، قَالَتْ زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا، قَالَ: مَكَثَتْ ثَلاَثًا حَتَّىٰ غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَىٰ سَعْدٍ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيّ الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٢٩٥).

بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [سورة العنكبوت:٨]، الىٰ قوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ [سورة لقمان:١٥] وَفِيهَا: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان:١٥]، قَالَ: وَأَصَابَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَنِيمَةً عَظِيمَةً فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ نَفِّلْنِي هَذَا السَّيْفَ فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ، فَقَالَ: «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، فَانْطَلَقْتُ حَتَّىٰ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبَضِ لاَمَتْنِىٰ نَفْسِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ أَعْطِنِيهِ، قَالَ: فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ: «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [سورة الأنفال:١]، قَالَ: وَمَرِضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَانِي، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمْ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ، قَالَ فَأَبَىٰ، قُلْتُ: فَالنِّصْفَ، قَالَ فَأَبَىٰ، قُلْتُ: فَالثُّلُثَ، قَالَ فَسَكَتَ، فَكَانَ، بَعْدُ الثُّلُثُ جَائِزًا، قَالَ: وَأَتَيْتُ عَلَىٰ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ - وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ - فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ، وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ. قَالَ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ. فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ

اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - شَأْنَ الْخَمْرِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠](١).

- **وكان تحريمه حين** أنزل الله عَزَّوَجَلَّ آيات الربا من آخر سورة البقرة، فَفِي "الصَّحِيحَيْنِ": عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لمَّا أُنزلت الآيات من آخر سورة البقرة قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وخرج النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واقترأهُنَّ علىٰ الناس، ثم نهىٰ عن التجارة في الخمر.

وكان قد قال النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالْخَمْرِ، وَلَعَلَّ اللهَ سَيُنْزِلُ فِيهَا أَمْرًا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَبِعْهُ وَلْيَنْتَفِعْ بِهِ»(٢).

فلما نزل التحريم قال النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنْ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الخَمْرُ فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ وَلَا يَبِيعُ»(٣).

وَفِي حَدِيثِ اِبْنِ عَبَّاسَ أَيْضًا فِي "مُسْلِمٍ": أَنَّ رَجُلًا أَهْدَىٰ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَاوِيَةَ خَمْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ قَدْ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٧٤٨).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٥٧٨).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٦٧- (١٥٧٨).

حَرَّمَهَا ؟، قَالَ: لَا فَسَارَّ إِنْسَانًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِمَ سَارَرْتَهُ؟»، فَقَالَ: أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا، فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا»[1].

وامتثل الصحابة رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَمْر النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي حَدِيث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ يَوْمَ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ فِي بَيْتِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَا شَرَابُهُمْ إِلَّا الْفَضِيخُ الْبُسْرُ وَالتَّمْرُ، فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي، فَقَالَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ، فَخَرَجْتُ فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، قَالَ: فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَاهْرِقْهَا فَهَرَقْتُهَا[2].

والخمر أم الخبائث كما جاء عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان عثمان ممن ترك شربها في الجاهلية.

- **ومما يذكرون**: أن رجلًا خُيِّر بين القتل، والزنا، وشرب الخمر، فنظر إلىٰ أيسرهما في ذهنه، فكان الخمر فشربه ثم زنا وقتل؛ لأن الخمر يسلب العقل، يجعل الإنسان كالمجنون.

وانْظُر إِلَىٰ مَا فِي "صحيح مسلم": عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الخُمُسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٦٨- (١٥٧٩).

(٢) أخرجه مسلم" حديث رقم: (١٩٨٠).

يَرْتَحِلَ مَعِيَ، فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ الصَّوَّاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي، فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ مَتَاعًا مِنَ الأَقْتَابِ، وَالغَرَائِرِ، وَالحِبَالِ، وَشَارِفَايَ مُنَاخَتَانِ إِلَىٰ جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، رَجَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ، فَإِذَا شَارِفَايَ قَدْ اجْتُبَّ أَسْنِمَتُهُمَا، وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ المَنْظَرَ مِنْهُمَا، فَقُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ فَقَالُوا: فَعَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّىٰ أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِي الَّذِي لَقِيتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لَكَ؟»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ قَطُّ، عَدَا حَمْزَةُ عَلَىٰ نَاقَتَيَّ، فَأَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، وَهَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِدَائِهِ، فَارْتَدَىٰ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّىٰ جَاءَ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةُ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنُوا لَهُمْ، فَإِذَا هُمْ شَرْبٌ، «فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ»، فَإِذَا حَمْزَةُ قَدْ ثَمِلَ، مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَىٰ رُكْبَتِهِ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَىٰ سُرَّتِهِ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي؟ فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ ثَمِلَ، فَنَكَصَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ القَهْقَرَىٰ، وَخَرَجْنَا مَعَهُ[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٠٩١)، ومسلم حديث رقم: (١٩٧٩).

والآن وفي آخر الزمان صار الخمر يُشرَب بغير اسمه واستحله الناس كما قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ»(١)، وقال: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»(٢).

فربما سُميّ بالشراب الروحي، وفي بعض البلدان يسمونه بالقهوة، وإن كان اسم القهوة اسمٌ قديم له كان يذكره الجاهليون، وفي بعض البلدان الخمر أرخص من الماء، كما في بلاد تنزانيا، وقد تنوعوا في صناعته حتىٰ لربما وجدت مثل هذا المنديل وهناك ما هو أكبر.

قوله: («وَالمَيْتَةُ»): أيضًا مما حرمه الله عَزَّوَجَلَّ: (الميتة): وهو ما مات حتف أنفه من غير ذكاةٍ من الحيوان المباح وغيره، قال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٥٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٣٦٨٨).

[المائدة: ٣]، في آيات كثيرة وحرَّم النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الانتفاع بالميتة، وبما يخرج منها حتىٰ الشحم، كما سيأتي.

والكفار أغلب ما يأكلون الميتات فلحومهم ميتات يصعقونها صعقًا، أو يضربونها ببعض الكرة الحديدية في الرأس حتىٰ تموت، أو ربما قتلوها فرموها حية، وما نُزِع من الحيوان وهو حي فهو ميتة.

وربما استفادوا من أجزاء الميتة، في كثير من الصناعات فليكن الإنسان علىٰ حذر حتىٰ الجيلي، الجيلي إذا كان يُشترىٰ من الجيلي الأوروبي أو الجيلي الذي يؤتىٰ من بلاد الكفار لا يجوز أكله؛ لأنهم في الأصل يضعون بينه ما يُسمىٰ الجيلاتين ما يؤخذ من بُطُون صغار الحيوان، فيوضع بين الجيلي فيتجمد، ولكن يُشترىٰ مما يُصنع في البلاد العربية كالسعودية والإمارات، وغير ذلك من البلدان.

وليحذر المسلمون من اللحوم المستوردة من بلاد الكفار، فإنها ميتات حتىٰ وإن كتبوا عليها مذبوح علىٰ الطريقة الإسلامية فإنهم لا يُصدقون في ذلك فإنه قد ثبت بشهادة الشهود أنهم يصعقونها صعقًا.

قوله: («وَالْخِنْزِيرُ»): **أيضًا مما حرمه الله** عَزَّوَجَلَّ: (**الخنزير**)، حيًا، وميتًا وهو طعام النصارىٰ أما اليهود فلا يأكلونه.

- **والخنزير**: حيوان دنيٌّ، حقير، يأكل الجِيَف، ويذكرون أنه قليل الغيرة ولهذا من تعود أكله من الناس تقل غيرته، بل تذهب وسماه الله عَزَّوَجَلَّ رِجس،

قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥].

قوله: («وَالأَصْنَامُ»): أيضًا مما حرَّم الله عَزَّوَجَلَّ: (بيع الأصنام): وَالأَصْنَامُ: هو ما كان علىٰ هيئة الإنسان أو الحيوان، والأصل أنهم كانوا يصنعونها ليعبدونها من دون الله عَزَّوَجَلَّ، واتخذوها آلهة يعكفون حولها ويذبحون لها، ويتمسحون بها وهي لا تسمع ولا تبصر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الأحقاف:٥-٦]، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [سورة مريم:٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٧١]، فقام عليهم عليه السلام، وضربها بيمينه وكسرها تكسيرًا.

- **والوثن**: أعم من الصَنَم، **فالوثن**: هو ما عُبِدَ من دون الله عَزَّوَجَلَّ من صَنَمٍ، أو حجرٍ، أو شجرٍ، أو قبرٍ، أو شيء، بينما الصَنَم ما كان علىٰ صورة.

- **فنهىٰ** عن بيع الأصنام لما تؤدي إليه من ذرائع الشرك، ولما فيها من تعظيم طريق المشركين ولما فيها من تكثير سوادهم ويدخل في ذلك بيع الآثار

التي هي عبارة عن أصنام، فلا يجوز بيع الصنم لا من الكافر، ولا من غير الكافر بل أُمِرنا بتكسير الأصنام ففي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[1].

قوله: (قالوا يَا رَسُولَ اللهِ!، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةُ؟): فيه: سؤال العالم فيما يُشكِل والاستفصال إذا وقع الإجمال، فربما ظنوا أنه المنع عنه أكل اللحم فسألوه عن الشحوم، وهو الدُهن الذائب.

قوله: (فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنَ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسَ فَقَالَ: «لَا هُوَ حَرَامٌ»): فنهاهم النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جميع أوجه الانتفاع وهذا يدل علىٰ أن الحرام لا يُقَارَن، ولا يستفاد منه وفي الحديث عند أبي داود وغيره: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ».

- قال العلماء: ما حُرِّمَ الانتفاع به حَرُمَ ثمنه ومن ذلك السُنُّور كما في حديث جابر مع أن الإمام أحمد يُعِلُّهُ، لأنه من رواية مَعْقِل بن عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر وهي تشبه رواية ابن لهيعة.

وهل كل ما يُحرم أكله يُحرَم الانتفاع به؟ أو البيع كالحمار الأهلي؟

الجواب: لا نقول يُحرم ما دام ينتفع به، ولا بأس أن يبيعه ويشتريه، وأما الكلب فقد اختلفوا فيه، حتىٰ ولو كان للمنفعة ككلب الصيد والحراسة،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٩٦٩).

والزرع، فذهب بعضهم إلىٰ جواز شرائه، وذهب بعضهم إلىٰ المنع، والأولىٰ المنع؛ لأن النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد نهىٰ عن ثمن الكلب.

قوله: («لَا هُوَ حَرَامٌ»): يعني أنه لحق بأصله، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ.

قوله: («قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ»): فيه: النهي عن الحِيَل، وجواز لعن الكافرين سواءً كانوا أحياء أو أموات، واختلف العلماء في لعن المُعَيَّن الحي.

قوله: («إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لِمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»): أي: لما حرَّم عليهم الشحوم، ذهبوا يذوبونها ثم يجملونها، ثم يذهبون بها إلىٰ السوق يبيعونها من غيرهم، حيلة علىٰ الله.

فلعنهم الله لذلك، وهم يقولون نحن ما نأكله إنما أكلنا ثمنه فآكل ثمنه كالآكل له، فهذا حديثٌ عظيم فيه النهي عن الحِيَل وقد بَلَغَ عُمَرَ بنُ الخطَّابِ أَنَّ سَمُرَةَ باعَ خَمْرًا، فَقالَ: قاتَلَ اللهُ سَمُرَةَ! أَلَمْ يَعْلَمْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لعنَ اللَّهُ اليَهُودَ؛ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَلُوها فَباعُوها».

- **تضمن هذا الحديث عدة مسائل**، وهي مسائل جامعة لغيرها لما يدخل تحتها، فالخمر يدخل تحته: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٠٠٣).

ويدخل أيضًا: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»[١]، والميتة يدخل تحتها جميع أنواع الميتات إلا ميتة البحر والجراد فإنهم مستثناة من ذلك.

ففي "سنن ابن ماجه" عن عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ»[٢].

والخنزير هذا من الحيوان الذي جاء تحريمه مفردًا ولم يدخل تحت كل ذي ناب من السِبَاع، ولا كل ذي مخلب من الطير، وهكذا الأصنام يشمل الأصنام التي تُعبَد ويشمل الأصنام التي تتخذ للزينة لما فيها من المضاهاة ولما فيها من ذرائع الشرك، فمن اعتذر بأنه لا يريد الشرك والشرك بعيد عليه يُنهىٰ عن شرائها لعلة المضاهاة بخلق الله:

وفي "صحيح مسلم": عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي دَارِ مَرْوَانَ فَرَأَىٰ فِيهَا تَصَاوِيرَ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٢٩٩)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٥٧٢٣)، وجاء عند ابن ماجه.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٥٥٩)، ومسلم حديث رقم: (٢١١١).

وفي حديث أبي جحيفة عند "البخاري": وفيه: «وَلَعَنَ المُصَوِّرَ»[1]؛ **لأن المصور يقع في محظورين:**

الأول: مضاهاة خلق الله.

الثاني: ذرائع الشرك.

- **وفيه**: الحِيَل المحرمة التي يُحَل بها الحرام، ويُحَرَّم بها الحلال، وقد اشتهر اليهود بهذه الحِيل فإن الله عَزَّوَجَلَّ لمَّا حرَّم عليهم صيد السبت فكانوا يضعون الشباك يوم الجمعة، ثم يأخذونها يوم الأحد، فانتقم الله منهم وكان مما قصه في كتابه، قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف:١٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠].

- **ومن الحِيَل المحرمة، بل شديدة الحرمة**: لهوَ ما يعمله بعض الناس فيما يسمىٰ بزواج التحليل وهو التيس المستعار، وقد تكلم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ علىٰ هذه المسألة بأوجه كثيرة مبينًا أنه أشد حرمه من الزنا ورَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد لعن: «وَالمُحِلَّ، وَالمُحَلَّلَ لَهُ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٢٣٨).

(٢) أخرجه أحمد حديث رقم: (٤٤٠٣).

الحديث السادس والأربعون

« كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ »

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا، فَقَالَ: «وَمَا هِيَ؟» قَالَ: الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ، فَقِيلَ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا الْبِتْعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»[1].

الشَّرْحُ

قوله: (أَبِو مُوسَى الْأَشْعَرِي): هُوَ عَبْد الله بِنْ قَيْس مِنْ اليَمَنِ مِنْ زبيد من قبيلة الأشاعرة، وقد هاجر هو وأصحابه يريدون المدينة فأخذتهم السفينة إلىٰ الحبشة فالتقوا جعفر بن أبي طالب حتىٰ كان بعد خيبر فرجعوا إلىٰ المدينة، وقد أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بعض فضائل الأشعريين فقال: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٣٤٣)، ومسلم حديث رقم: (١٧٣٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٨٦)، ومسلم حديث رقم: (٢٥٠٠).

- وَالحَدِيث فِي "الصَّحِيحِ" وَجَاء مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «لَوْ رَأَيْتَنِي الْبَارِحَةَ، وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»، قَالَ: قُلْتُ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهَا لَكَ تَحْبِيرًا، قَالَ: لَقَدْ أُوتِيتَ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ[1].

وكان شجاعًا إذ جعل النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخاه عامر علىٰ سرية، ثم إن عامر أُصيب فرأىٰ أبي موسىٰ الأشعري الرجل الذي أصابه فانطلق خلفه فهرب، فقال ألست بعربي يعني: يعيره بالهروب، فانتظر حتىٰ جاء أبو موسىٰ وقتله.

والرافضة يطعنون فيه بشدة ويصفونه بالحمق والكذب، وبغير ذلك من الأوصاف وهذا دينهم وطريقهم، في الطعن بأصحاب النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسلم.

وحب صحابة رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إيمان، وبغضهم نِفاق، فيعتمدون علىٰ قصص مكذوبة، علىٰ أن أبي موسىٰ الأشعري تنازل عن خلافة علي، وأن عمرو بن العاص ثبت معاوية، وهذه قصة موضوعة لا أساس لها، ففي ذلك الوقت لم يكن معاوية يطلب لا يقاتل من أجل الخلافة وإنما كان قتاله لأخذ الثأثر من قتلة عثمان مع أن الحق مع علي في تلك الحروب.

قوله: (بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ): بعثه وبعث معاذًا، معاذ إلىٰ الجَنَد في تعز، وأبا موسىٰ إلىٰ زبيد إلىٰ الأشعريين قومه، وفي هذا دليل أن الرجل قد ينتفع منه قومه

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٩٣).

ويتأثرون بدعوته لاسيما إذا كانوا من أهل القبول والآثار التي تُروىٰ عن السلف: «أزهدَ الناس في العالِمِ أهله».

محمولة علىٰ الذين عندهم إعراض فيزدادون إعراضًا إلىٰ إعراضهم، وإلا فإن كثيرًا من الناس يفرحون حين يكون العالِم، والمحقق، والمؤلف، والخطيب منهم، ويعتبرون ذلك كرامة.

والنَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يهتم ببعث البعوث للدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ولتعليم الناس دينهم، فقد بعث إلىٰ كثير من البلدان بعث أبا عبيدة بن الجراح إلىٰ نجران، وبعث أبا موسىٰ، ومعاذ بن جبل إلىٰ اليمن، ففي "صحيح مسلم": عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ قَالَ «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»[1].

- والسنة فلما وصلوا ببعض الطريق غدروا بهم وقتلوهم ففي "صحيح مسلم": عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَنَتَ شَهْرًا يَلْعَنُ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ[2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٣١- (١٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٦٧٧).

- **والخروج دعوة من الأمور المهمة**؛ فإنها توصل دين الله، إلىٰ مناطق قد لا يصل فيها الدين، لولا ما هيأهُ الله عَزَّوَجَلَّ من وبث العلم والخير بين الناس.

قوله: (فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا) أي: سأل النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن حكم هذه الأشربة، وقد تتنوع التسميات من بلد إلىٰ بلد فيسمون الخمور بغير اسمها الشرعي فلهذا ينبغي للداعي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يستفصل ويسأل عن الأسماء الشرعية.

- **وفيه**: أن الأصل في الأشربة والأطعمة الحِل إلا ما جاء الدليل بتحريمها ويؤخذ من قوله: (فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ) أي: عن نوع مخصوص من الأشربة وليس عن كل الأشربة ومما يدل علىٰ أن هذه الأشربة دخلت في الريبة أنها تُصنع وَتُعْمَل وليست أشرب طبيعية كحليبٍ وماءٍ ونحو ذلك، ولكن الأشربة تُصنع من بعض الحبوب أو غير ذلك.

قوله: (وَمَا هِيَ؟): هذا يدل علىٰ أن السائل هو أَبو مُوسَىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيث سأل النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أجل إذا أتىٰ إلىٰ قومه يعرف الحكم في هذه الأمور.

قوله: (الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ) لعله كان اسم مشهور، والآن لا نعلم به، الله أعلم هل مازال هذا الاسم متداول في اليمن أم أنه قد اندحر واندفن.

قوله: (فَقِيلَ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا الْبِتْعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ): هذا تفسير من الراوي.

قوله: («كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»): وفي بعض الروايات: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»[(١)]؛ فهذا من جوامع كلِم النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدل أن تستفصل الناس عن كل مسألةٍ وعن اسمها ومما تُصنَع ومما تُعمَل الحكم هذا هو: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ».

وما أسكر كثيرة فقليله حرام؛ **والسبب في هذا السؤال**: أن الخمر بالمدينة كان من البسر والتمر؛ ولهذا لما ذهب أبو حنيفة ومن إليه أن الخمر لا يكون إلا من العنب رد عليهم السلف رضوان الله عليهم بأن الخمر كان يُشرب في المدينة من البُسر والتمر ولم يكن فيها عنب في ذلك الوقت.

وَجَاءَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (**نَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ يَوْمَ نَزَلَ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءٍ: مِنْ العِنَبِ، وَالْتَمْرُ، وَالعَسَلُ، وَالحِنْطَةُ، وَالشَّعِيرُ**)[(٢)].

وقد يفعلها الخمَّارون من هذه الأشياء فيخلطون بعض الأشياء، ببعض الآنية، وربما وضعوها في أرض وحفروا عليها، أو وضعوها وغطوها بحيث تشتد الحرارة فيها فتزبد فتصير خمرًا والخمر تقدم الكلام علىٰ بعض أحكامه

- **وجاء عن أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب بالجليد والنعال، وأن أبا بكر جلد في الخمر أربعين، وأما عمر فاستشار الناس فجعل يجلد ثمانين جلدة وجاء عن عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه جلد في الخمر أربعين ثم قال

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٠٠٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٦١٩)، ومسلم حديث رقم: (٣٠٣٢).

جلد رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الخمر أربعين وجلد أبو بكر أربعين وجلد عُمر ثمانين وكل سنة)[1].

ومن شرب الخمر في الدنيا ثم مات قبل أن يتوب منه لم يشربه في الآخرة كما جاء في حديث ابن عمر في "الصحيح"، وقد استشكل العلماء كيف إذا دخل الجنة وقد عُلِمَ أن الذي يدخل الجنة، له ما اشتهت نفسه ولذت عينه؟

فكان الجواب: أنه إذا دخل الجنة، لا يشتهي الخمر؛ لأن الإنسان لا يُمَنع مما فيها من الأطعمة، والأشربة.

- **ويتكلم العلماء بهذا الموطن علىٰ أن مزيل العقل ينقسم إلىٰ قسمين:**

الأول: منه ما يكون فيه لذة وطرب، وهذا هو الخمر وهو حرام شُرِبَ أو أُكِلَ، وغير ذلك

والنوع الثاني هو: ما يزيل العقل بدون لذة ولا طرب كالبنج وهذا يجوز للحاجة؛ لأن الأنسان لا بد له منه عند العلميات وما أشبهها.

- **وأما حديث**: «نهى رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن كل مُفَتِّرٍ ومُسْكِرٍ»، فهذا اللفظ من طريق شهر ابن حوشب أخرجه أبو داود عن أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ويكفي ما تَقَدَّم من العموم في الحديث: «كل مُسْكِرٍ حَرَامٌ»، وفِي لفظ آخر في الصحيح: «كل مُسْكِرٍ خَمْرٍ وكل خَمْرٍ حَرامٌ».

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٧٠٧).

- نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعافينا من هذه البلايا والآثام، والحمد لله رب العالمين.

الحديث السابع والأربعون

«مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ..»

قال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَن المقدامَ بنَ مَعْدِ يكربَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ،وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».[1].

الشَّرْح

❁ هذا حديثٌ عظيمٌ وهو أصلٌ جامعٌ في أصول الطِب.

وقد ألَّف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ كتاب نافعًا وهو ضمن "زاد المعاد" ويعرف: «بالطب النبوي».

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٨٠) وقال: وَقَالَ التِّرْمِذِي حَدِيثٌ حَسَنٌ، ورواه ابن ماجه حديث رقم: (٣٣٤٩)، وأحمد حديث رقم: (١٧١٨٦)، وابن حبان حديث رقم: (٦٧٤).

– وهو من طريق يحيىٰ بن جابر ذكر العلماء أنه لم يسمع من المقدامَ بنَ مَعْدِ يكربَ فالحديث يكون بهذه الصورة منقطعًا، وقد جاء بصيغة السماع في بعض الكتب، وعليها اعتمد الشيخ الألباني رحمه الله تعالىٰ، فصححه وحسَّنَه.

والذي استفدناه من شيخنا مقبل رحمه الله: أن إعلال المتقدمين مُقَدَّم فالمتقدمون جزَموا بعدم سماعه من المقدام، مع أنه عاصره كثيرًا.

وتجد في كتب الجوامع، وفي غيرها كثيرًا من الأحاديث الدالة علىٰ هذا الباب، ومن أنواع الطب الحمية وهو الاحتماء عن الأمراض بتخفيف ما يكون سببًا لها، ككثرة النوم، والأكل، والجماع فإن فساد جسم الإنسان من هذه الثلاثة، ومن أشد هذه الأنواع البِطنَة وهو ملئ البطن بالطعام والشراب، وقد قيل قديما: (**البِطْنَةُ تُذْهِبُ الفِطْنَةَ**)، أي: أن الإنسان إذا امتلأ بطنه قل ذكاؤه، وكثرت أمراضه، ومن الأمثال السائرة التي تروىٰ عن الحارث بن كلدة طبيب العرب: (**الحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّرَاء وَالبِطْنَةُ رَأْسَ الدَّاءُ**).

- وذكر ابن رجب: أنه قد رُوِي أن ابن مأسوية الطبيب لما قرأ الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: (لو استعمل الناس هذه الكلمات سَلِموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت (البيمارستانات) يعني: المستشفيات، ودكاكين الصيدلة، فامتلاء البطن سببٌ لأمراضٍ كثيرة: منها: مرض السكر، أمراض المرارة، وغير ذلك من الأمراض، وربما أدت إلىٰ كثرة النوم، وتبلد الذهن، وقلة الفهم، بينما إذا أكل الإنسان ما يُقيم صَلبة وخفف كثرة الطعام، لربما زاد فهمه، وزاد حفظه.

والإنسان بين ثلاثة أمور:

الأول: بين أن يأكل حتىٰ يشبع، فيحتاج أن ينام حتىٰ يشبع.

والثاني: أن لا يأكل فيصاب بالماخوليا، ويصبح كالموسوس، وقد ذُكِر أن رَجُلًا جاء إلىٰ ابن سيناء الطبيب، وابن سيناء هذا زنديق ولكنه كان مشهورًا بالطب، فقال له: اذبحني إني بقرة، وكان الرجل مقتنعًا بذلك، فعلم ابن سيناء أنه

أُصيب بمرض الماخوليا فقال: أنا بقرة ضعيفة والناس لا يعجبهم هذا اللحم، لكن كُلْ حتىٰ تسمن، ثم بعد ذلك نذبَحُك، فلما أكل الرجل ذهب منه المرض.

والثالث: أن يعتدل بطعامه وشرابه، علىٰ ما دل عليه هذا الحديث العظيم، فنحن نحتاج إلىٰ ملازمة الهدي النبوي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ عَنْهُ عَائِشَةُ: (مَا شَبَّعَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ)[(١)].

وخَطَبَ عُمَر ابن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس فقال: لقد رأيت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دقلا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ[(٢)]، **والدِقْل**: رديئ الْتَمْر.

وقد ربط الْنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ بطنه الحجر من الجوع، وربما كان يأتيه الضيف فيُرسل إلىٰ أكثر نسائه لا يجدن ما يُطعِمَن هذا الضيف لِقِلَة ذات اليد.

والأكل الكثير من سيماء الكافرين: قال تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾[محمد:١٢]، وَفِي الحَدِيثِ، حَدِيث أَبِي مُوسَىٰ، وَجَابِرُ وَابْنُ عُمَر، وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَكُلِّهَا فِي الصَّحِيحِ: «أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعَي وَاحِدٍ، وَالْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»[(٣)]، ومع ذلك ليس بالحرام أن يشبع الإنسان.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٧٠).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٩٧٨).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٣٩٦).

ففي "الصحيح البخاري": أَللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَىٰ الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَىٰ بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَىٰ طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الحَقْ»، وَمَضَىٰ فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَىٰ أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَىٰ أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّىٰ بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ

حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَىٰ يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّىٰ قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّىٰ وَشَرِبَ الفَضْلَةَ[1].

ولكن هذا في القليل النادر، أما نحن نسأل الله السلامة الآن ربما أكثرنا من الطعام والشراب فكثر نومنا، وَقَلَّ علمنا وقد كان بعض السلف ربما ترك التُفاح، ولم يأكل إلا عند موته وذلك لِمَا تُسببه من النسيان للعلم.

والأطعمة متنوعة منها الحلو، ومنها الحامض، ومنها الذي يحتاج إلىٰ ملح، ومنها اللحوم، والشحوم وأيضا قد قسموا اللحوم إلىٰ اللحوم البيضاء واللحوم الحمراء، والجسم ينبغي أن يأخذ حاجته، دون زيادةٍ ولا نقصان، حتىٰ لا يحصل الضرر بسبب كثرة الأكل، ولا الضرر بسبب قلة الأكل .

- فمثلًا: الحوامل تحتاج إلىٰ شيء من الطعام الذي يحتوي علىٰ الكالسيوم ويحتوي علىٰ غير ذلك من الفيتامينات، حتىٰ يخرج الطفل وهو صحيح البنية، وهكذا مريض السكري يحتاج إلىٰ أنواع خاصة من الأكل،

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٥٢).

ومريض القلب يحتاج إلىٰ أنواع خاصه من الأكل، ومن الأكلات ما هي جامعة للأدوية كالعسل فإن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبر أن شفاء الأمة في ثلاث: «شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةٍ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ»[1].

- ومنه أيضًا: الحبة السوداء مع الانتباه للإكثار منها فإن ذلك قد يضر فإن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ دَاءٍ إِلَّا فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ مِنْهُ شِفَاءٌ إِلَّا السَّامُ»[2].

أي إلا الموت.

- وهكذا: القسط البحري، ففي "صحيح مسلم": عن أُمَّ قَيْسٍ بِنْتَ مِحْصَنٍ - وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ اللَّاتِي بَايَعْنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَهِيَ أُخْتُ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ، أَحَدِ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ - قَالَ: أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِابْنٍ لَهَا لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَأْكُلَ الطَّعَامَ، وَقَدْ أَعْلَقَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعُذْرَةِ - قَالَ يُونُسُ: أَعْلَقَتْ: غَمَزَتْ فَهِيَ تَخَافُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عُذْرَةٌ - قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «عَلَامَهْ تَدْغَرْنَ أَوْلَادَكُنَّ بِهَذَا الْإِعْلَاقِ؟ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ - يَعْنِي بِهِ الْكُسْتَ - فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ، مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ».

- ومن الأدوية كذلك: الحجامة وهي مفيدة للاستفراغ، فعند أهل الطب الحمية والاستفراغ، حتىٰ أنهم يذكرون أن علىٰ الإنسان أن يعمل له استفراغ في كل فترة:

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٦٨٠).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٥٦٨٨)، ومسلم حديث رقم: (٢٢١٥).

- فمثلًا تارة يحتاج إلىٰ الاستفراغ ببعض المسهلات.

- وتارة يحتاج إلىٰ الاستفراغ بالقَيّء.

- وتارة يحتاج إلىٰ الاستفراغ بالمحجم أو الفصد ونحو ذلك.

والحمية: بترك بعض الأطعمة لما تؤدي إليه من الضرر، وقد أخرج بعض الأطباء مبحثًا علىٰ أن مرض السكر ربما يأتي في الإنسان بسبب زيادة وزنه كيلوات، فإذا ما استخدم الرياضة وأذهب هذه الكيلوت الزائدة، لربما عاد البركنياس إلىٰ القيام بدوره وإفراز الكمية اللازمة من الأنسولين، فتحصل الصحة.

والإنسان يحتاج إلىٰ صحة العقل، وصحة الدين، فإن كثرت الأكل والشرب لا سيما من غير النظر إلىٰ الحلال والحرام لربما تكون من أسباب دخول النار، قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ مِنَ النَّاسِ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْأَجْوَفَانِ؟ قَالَ: «الْفَرْجُ وَالْفَمُ»[1].

قوله: («بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ»): أي كان يكفيه أن يستخدم من الطعام ما يُقِيم جسمه لا يتَنَحَّف ويتزهد حتىٰ يتضرر فإن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد نهىٰ عن صيام الدهر وقال: «لَا صَامَ مِنْ صَامَ الأَبَدُ»[2].

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩٦٩٦).

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: (٢٣٧٨).

ولما قال رجل لا آكل اللحم غضب النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ: «مِنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

لكن علىٰ الإنسان أن يكون حاله وسط: «فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ،وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».

- **هذا الذي لو عُمِل به مع ضعف الحديث فهو فائدة صحية جدًا؛** لأن الإنسان بعد الأكل يحتاج إلىٰ ماء، من أجل أن يُلَّين الطعام وهكذا يحتاج إلىٰ نَفَس، ونسأل الله العافية، **والحمد لله رب العالمين..**

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه ابن خزيمة حديث رقم: (٢٠٢٤، ١٩٧).

الحديث الثامن والأربعون

«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا..»

قال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1].

الشَّرْح

- وجاء أيضًا: فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»، فبمجموع الحديثين، ذُكِرَ فيهما خمس علامات من علامات النفاق:

الأولى: أن يكذب في حديثه.

الثانية: أنه يُخْلِف وعده.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٥٩)، ومسلم حديث رقم: (٥٨)، والترمذي حديث رقم: (٢٦٣٢)، والنسائي حديث رقم: (٥٠٢٠)، وأبو داود حديث رقم: (٤٦٨٨)، وأحمد حديث رقم: (٦٨٦٤)، وابن حبان حديث رقم: (٢٥٥)، بألفاظ متعددة.

- **وهذا ينقسم إلىٰ قسمين:** (أن يعزم علىٰ الخُلْف من حين الوعد، أو أن يعد ثم يخلف، بدون عذر شرعي)، وأما إذا وعد ثم لم يفِ لعذر شرعي فلا تُعَد فيه خصلة من خصال النفاق.

والثالثة: إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ: والخصومة قد تقع بين الناس كثيرًا لكن المنافق يفجر في الخصومة، فربما كانت الخصومة لا تستحق الهجر فيقع منه الهجر، وربما كانت الخصومة لا تستحق التقاطع، والتدابر فيقع منه ذلك.

أو ربما لا تستحق المكر، والغدر، فيقع منه ذلك.

ومازال الناس يتخاصموا إما علىٰ مال أو علىٰ عِرضٍ، أو علىٰ غير ذلك من الخصومات، ولكن المذموم هو الفجور في الخصومة، وفي حديث عَائِشَةَ عِنْدَ "الصحيحين" قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ»[1].

الرابع: أنه إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ: والغدر صفة ذميمة لا يتصف بها من كَمُلَ إيمانه، وفضيحته شديدة يوم القيامة.

فَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد فِي مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنْصَب عِنْدَ اسْتِهِ، يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٢٤٥٧)، ومسلم حديث رقم: (٢٦٦٨).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣١٨٦)، ومسلم حديث رقم: (١٧٣٧)، وجاء عند غيرهما.

والخامس: الخيانة في الأمانة وفي الحديث: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[الأنفال:٧١].

- والنفاق ينقسم إلى قسمين:

١- نفاق عملي.

٢- ونفاق اعتقادي

- والفرق بينهما: (أن النفاق الاعتقادي): هو أن يظهر الإسلام، ويبطن الكفر فيُظهِر أنه يؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رسولًا ونبيًا، ويؤمن بكتب الله وملائكته ورسله ظاهرا، وربما كفر بها جميعًا أو ببعضها باطنًا، وهؤلاء هم الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ۖ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[النساء:١٤٥].

- وهم الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأنهم: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾[الحديد:١٣-١٤].

- وهم الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿* وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾[المنافقون:٤].

- وقال الله عنهم: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾[البقرة:١٠].

- فهم المفسدون، والفاسقون، وهم الذين يستهزؤون بالمؤمنين ويخادعونهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾[البقرة:١٤-١٥]، خذلوا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومكروا به لقتله، وسخروا من أصحابه: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، بل أعظم من ذلك أنهم تزيّوا بزي الصالحين وأرادوا المكر بالدين، لولا أن الله عَزَّوَجَلَّ فضحهم وبَوْرَ مكرهم قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[التوبة:١٠٧].

ونهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يصلي في ذلك المسجد، حتىٰ لا يُتَخَذ دخلًا علىٰ المسلمين، فهم يكذبون في معتقداتهم، كما أنهم يكذبون في أقوالهم، وأفعالهم، والكذب يهدي للفجور ففي حديث ابن مسعود: «وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[1].

- ومن أشهر المنافقين:

الباطنية.

والرافضة.

والاشتراكية.

ومن إليهم من الزنادقة.

والنوع الثاني من النفاق: (هو النفاق العملي)؛ وهو المذكور في هذين الحديثين حيث أن هذه الأخلاق، أخلاق المنافقين وليست بأخلاق المؤمنين وإن كان المتعاطي لهذه الأخلاق ليس بكافر، وإنما هو علىٰ خطرٍ عظيم إذ تَشَبَّهَ بالمنافقين في خصالهم، وأوصافهم، واهتدىٰ واقتدىٰ بهم، والواجب عليه أن يكون تَشَبُّهُهُ بالمؤمنين .

وهذا الحديث ليس علىٰ سبيل الحصر في أن صفات النفاق العمل ليست إلا خمس، وإنما هذه أظهر علامات المنافقين.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٩٤).

قوله: («كَانَ مُنَافِقًا»): وفي رواية: «مُنَافِقًا خَالِصًا» وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلَوْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ».

فالمراد بها: أن هذه الصفات لا تجتمع علىٰ أسوأ وجوهها إلا في حق المنافق الاعتقادي أو أن من تلَبَّس بهذه الصفات كان من أصحاب النفاق العملي، ونفاقه الظاهر.

وفي الحديث: أن الإنسان بما فيه من الخير والشر، فكلما ازداد خيره علت منزلته وكلما قل خيره دنت منزلته، فقوله مَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ يدل علىٰ ذلك.

- وَمَنْ زَادَ زَادَ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ اِبْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ»[1].

- **وفي الحديث: أن من تابَ تاب الله عليه؛** وأن الإنسان قد يُخْطِئ، لكن من ترك ما كان فيه من الخطأ، وعاد إلىٰ الله وأناب فيُرجىٰ عنه التجاوز، لقوله كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا.

فإذا تركها زالت عنه الخَصلة وإذا تميّز بضدها وهو الصدق، والأمانة، والعفة، والوفاء، والعفو، فهو المؤمن.

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٣٩٠٥)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٧٢٦).

قوله: («مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ»): بدأ بالكذب لخطره وضرره، ومن أشد الكذب؛ الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[آل عمران:٦١].

- **ومنها**: الكذب علىٰ أولياء الأمور، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: وَذَكَرَ مِنْهُم رَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ»[(١)].

- **ومن الكذب العظيم**: كذب أولياء الأمور علىٰ رعيتهم فهم رؤساء، وأُمراء، وملوك، لا يحتاجون إلىٰ التخلص بالكذب ومع ذلك قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[(٢)].

وَفِي حَدِيث سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رضي الله عنه كَمَا فِي "صحيح البُخاريُّ": أن الكذاب: «يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٦)، والترمذي حديث رقم: (١٢١١) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٠٧)، عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٠٤٧).

قوله: («وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»): الناس يعدون ولكن ينبغي للمسلم أن يَفِي، كَمَا ذُكِرَ فِي الحديث حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ»[1].

- ومن صفات المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠﴾ [الرعد:٢٠].

قوله: («وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»): تقدم الكلام عليه.

قوله: («وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ»): كذلك العهود والمواثيق التي بين الناس لا يجوز الخُلْف فيها ولما أمر نبيه بنبذ العهد الذي بينه وبين الكفار أمره أن تنبذ إليهم علىٰ سواء، قال تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١﴾[التوبة:١].

ثم إن النفاق مرضٌ خطير لا يخافه إلا مؤمن ولا يأمنه إلا منافق كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ وعلَّقه البخاري في "صحيحه": وَقَالَ اِبْنُ أَبِي مليكة: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ: كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٧٨٧).

وَقَالَ عُمَر بِنْ الخَطَّابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِحُذَيْفَةَ: أَسْأَلُكَ بِاللّهِ أذَكَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ؟.

- **وينبغي علىٰ كل مسلم**: أن يخشىٰ علىٰ نفسه من هذا المرض، الذي هو مرضٌ قلبي قد يسري في الإنسان وهو لا يشعر؛ فيفسد دين المرء ودنياه وأما تغير القلب بسبب بعض التفريط فليس من النفاق، مع أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرونه من ذلك حتىٰ لقد ذهبوا إلىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: غَدَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكْنَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ»؟ قَالُوا: النِّفَاقُ. النِّفَاقُ. قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ النِّفَاقَ».. الحديث[1].

وفي مسلم عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَىٰ مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) "مسند أبي يعلىٰ" حديث رقم: (٣٣٠٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1].

فنسأل الله السلامة من هذا المرض من تَلَّبس به قل حياؤه كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾[المجادلة:١٤]، وقلَّ خوفه ومراقبته لله عَزَّوَجَلَّ، وأصبحت مجالسهم مجالس الريبة والمكر بالإسلام وأهل الإسلام.

لا يرون إلا ما قَبُحَ من الأعمال هذا إن وُجِد في المسلمين أشاعوها وإن لم يجدوا ذلك التمسوا العثرات، ولهذا أخبر رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مُتتبع عورات المسلمين يُخشىٰ عليهم من النفاق، فَفِي حَدِيثِ اِبْنِ عُمَرٍ وَالبِرَاء: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»[2]. والذي لم يُؤْمِن بقلبه هم المنافقون.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٢-(٢٧٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٣٢).

نسأل الله السلامة وكم عانت الأمة المحمدية من المنافقين، فقد أرادوا أن يُنَفِّرُوا جَمَل النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في غزوة تبوك ليغتالوه وسلَّمَه الله عَزَّوَجَلَّ وكانوا أربعة عشر كما في مسلم.

انتظر النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عند عَقَبه فإذا ما صعد البعير نَفَّروها، فأخبر النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بهم حذيفة وقال هم أربعة عشر لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها، تظهر بهم الدبيلة: نار في أكتافهم حتىٰ تخرج من صدورهم.

- **وواحد منهم قيل له**: تعال يستغفر لك رسول الله قال: لئن أجد جَمَلي أحب إليَّ من أن يستغفر لي رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَعَبَد الله ابن أُبَيّ رأسهم يقول: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون:٨].

كان عندهم رَسُولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أذهانهم ذليلًا فرد الله عليهم ذلك: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون:٨].

- والقصة عن زيد بن أرقم في "الصحيح" حين قال هذا القول وآذَوْهُ في أهله، وتكلموا في عرضه واتهموها بما برأها الله عَزَّوَجَلَّ منه، وحالها كما قال حسان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ:

حَصَـــانٌ رَزَانٌ مـــا تُـــزَنّ بِرِيبَـــةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَىٰ من لحـومِ الغوَافِـلِ

و مكروا به في الغزوات التي كانت تقع حول المدينة، فيتمالأون مع الكفار ومع ذلك: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٢].

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

الحديث التاسع والأربعون

«لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ..»

قال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ عُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُوا خِمَاصاً وَتَرُوْحُ بِطَاناً»[1].

الشَّرْحُ

❁ **هذا حديثٌ عظيم** وهو أصل في التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، مع بذل الأسباب الشرعية، لتحصيل الأرزاق المعنوية، والحسية.

- والتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ هو: صدق اعتماد القلب على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في جلب المصالح ودفع المضار، من أمور الدنيا والآخرة، ويتحقق لدى العبد أنه لا ينفع أو يضر إلا الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾[الأحقاف:٤].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٤٤) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ، ورواه ابن ماجه حديث رقم: (٤١٦٤)، وأحمد حديث رقم: (٢٠٥، ٣٧٠)، وابن حبان حديث رقم: (٧٣٠).

- **والتوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ خُلُقٍ عظيم**، يحمل صاحبه علىٰ الرضا بقضاء الله، وتقديره، وهو من أسباب جلب الأرزاق، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[الطلاق:٣]، أي: كافيه، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٨١﴾ [النساء:٨١]، فهو نِعم المولىٰ، ونِعم الوكيل يُعتَمَد عليه في كل خيرٍ، ويُرجىٰ في دفع الشر والتوكل هو جِمَاع الإيمان، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾[المائدة:٢٣].

- **ولازمه**: أن من لم يعتمد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فليس بمؤمن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾[الأنفال:٤]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ عن نوح: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾[يونس:٧١].

فكان الأنبياء يصمدون أمام أممهم لتحقيقهم هذه الخصلة العظيمة، خصلة الاعتماد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والعلم أنه لا ينفع، ولا يضر إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَفِي حَدِيثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا قَالَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ»، ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[1].

- وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[المائدة:٦٧].

وَفِي حَدِيثِ اِبْنِ عَبَّاس فِي البُخَارِيِّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: حَسْبِي اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ: قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران:١٧٣][2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٣-(٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٥٦٣).

وحين حقق إبراهيم عليه السلام هذه الخِصلَة العظيمة بصدق الاعتماد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ جاء الفرج العظيم مع الشدة العظيمة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾[الأنبياء:٦٩].

- وهكذا مُحَمَّدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اجتمع عليه الملأ من قريش وحاصروا المدينة بعد أن تمالأوا مع اليهود والمنافقين فسَلَّمَهم الله عَزَّوَجَلَّ وأرسل الريح للدفاع عن عباده، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾[الأحزاب:٩].

إن التوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، يجعل الإنسان لا يبالي بمن خالفه ما دام علىٰ الحق، فهو يعلم أن الله وكيله وأنه سيدافع عنه، وكان من دعاء النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين كان يغزو: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»(١).

فلو كثر الأعداء ما بالىٰ بهم حاله كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾[آل عمران:١٧٥].

وإن قَلَّة الأرزاق ما بالىٰ لعلمه بحديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنها لن تموت نفس حتىٰ تستوفي رزقها وأجلها: «اتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٢٦٣٢)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٢١٤٤).

وإن ضاق الحال ما بالىٰ لعلمه أن الأمور بيد الله يُصَرِّفها كيف شاء، وهو الذي يُغَيِّر حال الإنسان، من حالٍ إلىٰ حال، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[الرعد:١١]، والمتوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ يعلم أنَّ ما أخطَأَهُ لم يَكُن لِيُصِيبُهُ، وما أصابَهُ لم يَكُن، ليُخطِئُهُ.

ويعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن يضروه بشيء، لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وإن اجتمعوا علىٰ أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له." كما تقدم في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالتوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، عبادةٌ قلبية عظيمة؛ تجعل الإنسان منقادًا بجوارحه ومنقادًا بلسانه ومنقادًا بقلبه.

والتوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ كان سببًا في رزق مريم عليها السلام وهي في محرابها، قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾[آل عمران:٣٧].

والتوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ كان من أسباب رزق زكريا بالولد عند أن كَبُر وشابَ رأسه وَرَقّ عظمه، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ

ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾[مريم:٦].

والتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ دأب بالصالحين وطريق المرسلين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢﴾[إبراهيم:١٢].

ونصر الله أنبياءه، وأولياءه، حين حققوا هذه الصفة العلية، والمرتبة السَنِيَّة، وقد أخبر رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ شَرَّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، أَوْ جُبْنٌ خَالِعٌ»[1].

- **والسبب في ذلك**: عدم التوكل، بينما الصادق مع الله لا يخذله الله، وإن كانوا قليل وقد ذكر أهل التاريخ أن أوروبا جمعت عُدَّتها وعتَادِها لغزو بلاد المسلمين فجهزوا ستمائة ألف مقاتل مائة ألف يوجهونهم إلىٰ اليمن والجزيرة، ومائة ألف إلىٰ الشام، ومائة ألف إلىٰ مصر والمغرب، ومائة ألف إلىٰ العراق ومائة ألف إلىٰ بلاد المشرق.

وكان قد لحق المسلمون الهزيمة والقلة والضعف فانطلق رجلٌ يقال له الأمير ألب أرسلان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فجمع معه نفر من المسلمين لقتال هذا الجيش العظيم فاجتمع عشرون ألفا فلما بدأ بالتوجه إليهم فرَّ ثمانية آلاف ولم

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٢٥١١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يبقىٰ معه إلا اثنىٰ عشر ألفًا، فالتقىٰ جيش المسلمين مع جيش الكافرين وكانوا ستمائة مقاتل مقابل اثنيّ عشر ألف مقاتل، ومع ذلك قال لهم ننتظر حتىٰ يصلي الناس الجمعة لعل خطباؤهم يدعو لنا ثم انطلقوا معي لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعجل بنصرٍ.

فلما كان بعد الظهيرة من ذلك اليوم انطلق علىٰ جيش النصارىٰ وكما قلت لكم كانوا ستمائة ألف فدخل فيهم، وجعل يقتل حتىٰ وصل إلىٰ محل القيادة فأسر ملوكهم وأُمراؤهم وانهزم الجيش الكبير، وعاد مكسورًا وما زال المسلمون يقتلون حتىٰ كَلَّت سيوفهم، وكَلَّت أيديهم فلما كان في المساء، وإذا برجلٍ من المسلمين يأتي بملك الأوروبيين ليبيعه فما وجد له مشتري إلا رجلًا من المسلمين اشتراه بكلب.

فلما جاءوا به إلىٰ ألب أرسلان قال: الكلب أفضل منه رُدوه إلىٰ قومه، فلما ردوه إلىٰ قومه سَمَّلُوا عينيه وقتلوه، وعذبوه؛ لأنه أهلك شبابهم ورجالهم، فالذي دعا هذا الرجل، إلىٰ هذه المباسلة وإلىٰ هذه المقاتلة، والدفاع عن حوزة الدين، لهو الاعتماد والتوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: («لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ»): هذا تخصيص في صدق التوكل علىٰ الله ومعناه: (**لو أنكم** تعتمدون عليه ظاهرًا وباطنًا وتصدقون في ذلك).

قوله: («لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ»): تُرزَقون ويبارك لكم في أقواتكم، كما يرزق الله عَزَّوَجَلَّ الطير، والطير لا مزارع، ولا قوة لها إلا أنها تفعل السبب الشرعي، وهي تذهب في الصباح، وترجع في المساء، تذهب تلقط الحَبَّ وتبحث عن الطعام، وقد استدل بعض الصوفية بهذا الحديث، علىٰ أن فعل السبب ينافي التوكل وهذا من جهلهم.

فإن الاعتماد علىٰ غير الله عَزَّوَجَلَّ شركٌ وترك العمل بالسبب قدحٌ في الشريعة وهذا الحديث ردٌ عليهم من حيث: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أثبت للطيور سببًا وهي: تَغْدُوا خِمَاصًا: أي تخرج من بيوتها جياعًا، وتروح بطانًا، فالحديث دالٌ علىٰ العمل بالسبب وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالعمل بالسبب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[النساء:٧١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك: ١٥]، مع أنهم متوكلون علىٰ الله، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾[الأنفال:٦٠]، مع أنهم متوكلون علىٰ الله.

وكان النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا خرج للجهاد لبِس المغفر ولَبْس الدرع، فقد خرج يوم أُحُد مظاهرًا في درعين وهذا من فعل السبب مع اعتماده، وتوكله علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

والناس في هذه العبادة بين مضيعٍ لها، وممتثلٍ لها، أما الممتثلون لها فهم المؤمنون الذين حققوها فحقق الله لهم مرادهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وضيعها أناسٌ فمنهم من ترك الأعمال بالأسباب كما تقدم فانحرفوا في هذا الباب، وغَلَوا في معنىٰ التوكل ومنهم من جعل اعتماده علىٰ القبور والأولياء، فصاروا ينادونهم لجلب المنافع ودفع المضار فأحدهم يقول:

هات لي منك يـا ابـن موسىٰ إغاثـة عاجـــلاً في ســـيرها حثاثـــة

- **وربما قالوا:** (يا ابن علوان المدد أو الغوث).

فكان توكلهم واعتمادهم علىٰ المقبورين، وهكذا أصحاب الأصنام كان اعتمادهم علىٰ أصنامهم وعلىٰ معبوداتهم فلحقهم الذل، والهوان بينما أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ كانت توكلهم علىٰ ربهم، قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[هود:٥٣-٥٦].

والحمد لله رب العالمين.

الحديث الخمسون

«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»

قال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَنْ عَبْدُ اللهِ بِنْ بُسْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسولَ الله، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»[1].

الشَّرْح

❁ هذا حديثٌ عظيم في بيان الذكر هو جامع الأعمال الصالحة.

قوله: (رَجُلٌ): قد يكون الرجل الذي أتىٰ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو عَبْدُ اللهِ بِنْ بُسْرٍ حيث جاء في بعض الروايات.

قوله: (إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَمُرْنِي بِأَمْرٍ أَتَمَسَّكُ بِهِ): فيه: سؤال النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدلالة علىٰ الخير.

- وفيه: أن الإنسان يحرص من الأعمال علىٰ جوامعها، فَرُبَّ عملٍ يسير، يقوم مقام أعمالٍ كثيرة، ومن ذلك: كفالة اليتيم ففي "صحيح البخاري" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ

---

(١) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٧٦٨٠)، والترمذي حديث رقم: (٣٣٧٥)، وابن ماجه حديث رقم: (٣٧٩٣).

وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» وَأَحْسِبُهُ قَالَ - يَشُكُّ القَعْنَبِيُّ -: «كَالقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ»[1].

- **وهكذا الجهاد في سبيل الله**، ففي "صحيح مسلم"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى»[2]؛ وذلك أنه كَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ.

وكما في "صحيح مسلم": عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»[3].

وي "صحيح مسلم": عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٠٠٧).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٨٧٨).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٧٢٠).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»(١).

- ومن ذلك قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انتهىٰ من المجلس، قال: «كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(٢).

- **وقالت عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (مَنْ قَالَ خَيْرًا خُتِمَ لَهُ طَابَعٌ عَلَىٰ ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً له).

- ومثل صيام يوم عرفة يكفر السنة الماضية والآتية، ومثل صيام يوم عاشوراء يكفر السنة الماضية، ومثل صيام ست شوال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»(٣).

- ومثل صيام ثلاثة أيام من كل شهر: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٨٥٧)، قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله: (ثلاث مرات).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٠٤-(١١٦٤)، عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد حديث رقم: (٧٥٧٧).

- **وهكذا** ما جاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: رَآنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا أُحَرِّكُ شَفَتَيَّ، فَقَالَ: «لِمَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ؟»، فَقُلْتُ: أَذْكُرُ اللهَ، قَالَ: «أَفَلا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ، وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ»، قَالَ: فَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ إِنْسَانًا، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَهُنَّ عَقِبِي مِنْ بَعْدِي فَعَلِّمْهُنَّ عَقِبَكَ[1].

وهو حديث محتجٌ به.

ومثله ما أخرجه "مسلم" عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟»، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»[2].

---

(١) "مسند الروياني" حديث رقم: (١٢٣٣)، وجاء مختصرًا عند الطبراني والحاكم وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩٨)، عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومثله عن طارق بن الأشْيَم قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ، عَلَّمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي قَالَ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وأُخْرَاكَ»[1].

وهذا كثيرٌ في كتاب ربنا وفِي سنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلىٰ الإنسان أن يحرص علىٰ التمسك بجوامع الخير، فإن شرائع الإسلام قد كثرت، فأحدهم يحب الصلاة، والآخر الصيام، وهذا يحب الانفاق والبذل، وهذا يحب العلم والنصيحة، وهذا يحب كذا والمهم أن الإنسان لا يترك الواجب، فإذا أتىٰ بالواجب الذي أوجب الله عليه بعد ذلك تخَيْر من الأعمال الصالحة ما يناسب حاله، ويصلح له.

- وفي الحديث: ما عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الحرص علىٰ الخير، والسؤال عنه والعمل به، فإنه سأل الْنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال أتمسك به، وفعلًا كانوا إذا أُمِروا بشيءٍ لا يجاوزونه وإذا التزموا أمام الْنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء لا يتركونه.

حتىٰ وإن كان الأمر مستحبًا فصيام يوم وإفطار يوم من المستحبات، وقراءة القرآن في سبع ليال من المستحبات، ومع ذلك كان عبد الله ابن عمرو ابن العاص يصوم يومًا، ويفطر يومًا، حتىٰ بعد أن كبر سنه وتَعِب فكان ربما صامَ أيامًا متتالية، ثم يفطر أيامًا متتالية.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٣٦-(٢٦٩٧).

- **وفيه**: ما عليه أهل الإسلام من إثبات تنوع الأعمال وأنها داخلة في مسمىٰ الإيمان، وشرائع الإسلام كثيرة منها ما يكون بالقلب: كالتوكل، والإنابة، والخشية، والخوف، والرجاء، والرغبة، والرهبة، والإخلاص.

- **ومنها**: ما يكون باللسان كالذكر والدعاء والنصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وغير ذلك.

- **ومنه**: ما يكون بالجوارح كالصلاة، والصيام، وإزالة الأذىٰ عن الطريق، ومنه ما يكون ماليًا، وهي من عبادة الجوارح، لكن يرافقها البذل، والبذل أنواع أعلاه بذل العلم، كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكذلك تلميذه ابن القيم، وقد سُبِقوا إلىٰ ذلك أن أفضل الجود، الجود بالعلم وهو احدىٰ التفسيرين لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير:٢٤]، وتُكتَب بالظاء (بظنين)، وبالضاد، ولها معنىٰ من الظاء ولها معنىٰ من الضاد، وكلاهما معنىٰ صحيح.

أي: وما هو علىٰ الغيب ببخيل، وما هو علىٰ الغيب بمتهم فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان باذلًا للعلم، مؤديًا له للقريب والبعيد، بل يؤديه حتىٰ إلىٰ أعداءه، اليهود حين يأتون إليه ويسألونه. ويرىٰ فيهم التَعَنُّت في السؤال، ومع ذلك يحدثهم ففي "صحيح مسلم": ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي»، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: «سَلْ» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ»، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَىٰ إِثْرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: «يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: «مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ». قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى أَتَانِيَ اللهُ بِهِ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٣٤-(٣١٥).

و شرائع الإسلام كثيرة كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1].

وقد ألَّفَ البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ كتابًا جامعًا بعنوان "شُعَب الإيمان"، واختصره هو أو غيره في "مختصر شُعَب الإيمان".

قوله: («لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»): وليس معنىٰ ذلك أن هذا يترك الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلىٰ الجيران، وغير ذلك من الفرائض والواجبات، عليه أن يأتي بالواجبات لكن مع ذلك يُلازم الذكر، قال تعالىٰ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت:٤٥].

- **والذكر يأتي بمعنىٰ**: طاعة الله، كما قال سعيد بن جبير وغيره من أهل العلم، ولكن لَمَّا قُيِّدَ ذلك باللسان دليل علىٰ أن المراد بالذكر: (**الذكر القولي**) من تسبيحٍ، وتحميدٍ، وتكبيرٍ، وتهليلٍ، وما يدخل في بابه وهذه هي الباقيات الصالحات، كما تقدم معنا في غير ما حديث، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[الكهف:٤٦].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٥).

وفي الحديث فضيلة المداومة علىٰ العمل الصالح، والنَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان عمله ديمة ،و كان إذا عمل عَمَلًا أثبته وكان يقول: «أُحِبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ»[1].

- **والمَثل عند الناس** :(قليلٌ دائم ولا كثيرٌ مُنقطع).

- وكون الإنسان يحافظ علىٰ الوتر ولو بأقله أهون من أن يتركها ويُحافظ علىٰ الضحىٰ ولو بأقلها أهون من أن يتركها، ويُحافظ علىٰ أذكار الصلاة، وأذكار الصباح والمساء، ولو بأقلها وأحسن من تركها بالكلية.

- **وصلاح اللسان صلاح البدن**، كما تقدم في تعليقنا علىٰ حَدِيثُ مُعَاذ ابْن جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[2].

وقوله: («رَطْبًا») أي: طربًا منعودًا، **وفي هذا دليل**: علىٰ أن اللسان إذا تَعَوَّد الذكر رَطُب بذلك وسَهُلَ عليه الذكر، بينما إذا كان غير مهتم بالذكر يَثقُل عليه وتثقل عليه قراءة القرآن .

وقوله: («مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»): كقوله: (**بِذِكْر الله**) **ومعناه**: أن اللسان يرطب من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وبذكر الله معناه أن اللسان مستمرٌ بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ قد

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦١٦).

أمرنا بذكره كثيرًا، فقال تعالىٰ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾[الأحزاب:٤١-٤٢].

وفي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَذْكُرُ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ"(١).

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّا كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»(٢).

- وَعَنْ الأغر الْمُزَنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٣).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: مَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٣٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٥١٦).

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (٨٤٩٣)، وجاء في مسلم بلفظ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةُ مَرَّةً».

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٣٣٧٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»(١).

ولِعِظَم ذكرالله عَزَّوَجَلَّ يذكر الله عَزَّوَجَلَّ من يذكره، قال تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة:١٥٢].

- وفي الحديث القدسي: «إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ»(٢).

- والذكر طمأنينة للقلوب وانشراح للصدور، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد:٢٨].

- ومن أسباب وجل القلوب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنفال:٢-٣].

- والإعراض عن الذكر سبب للعذاب والهوان، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٤-(٢٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٧٤٠٥).

حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه:١٢٦].

وكم ممن سبقنا من أسلافنا ممن كان يلازم هذه الشعيرة العظيمة، شعيرة الذكر فانشرحت صدورهم، وقُضِيَت حاجاتُهم وثَبَّتَهم ربهم علىٰ دينهم.

- **وقد ذُكِرَ عن بعضهم كما ذَكر ابن رجب**: أن خالد بن معدان كان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة سِوىٰ ما يقرأ من القرآن.

- **وقيل لعمير ابن هاني**: ما نرىٰ لسانك يفتر فكم تسبح كل يوم ؟

قال: مائة ألف تسبيحة إلا أن تُخطِئ الأصابع.

فابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ربما كان يذكر الله بين لُقَم طعامه، وبين إجابة السؤال، وهو يُسبح، ويُحَمِّد، ويهلل.

فَعَوِّدوا ألسنتهم الخير فاعتادوه.

الْعِلْمُ بِالْتَعَلُّم وَالْحِلِمُ بالتَحَلُّم .

والذي يعود نفسه الذكر ينام علىٰ ذكر، ويستيقظ علىٰ ذكر، ويخرج علىٰ ذكر، ويدخل علىٰ ذكر، وعند حصول المصائب يقع منه الذكر، وهذا يدل علىٰ تعلق قلب بالله.

فربما يحصل له حادث بسيارته ويأتي الناس وهو لا يشعر بهم وهم لا يشعرون به، وإذا به يحرك لسانه لا إله إلا الله، سبحان الله، والحمد لله.

يقوم من الليل فزعًا مشغوفًا فنذكر الله بما ثبت عن عباده في "صحيح البخاري": «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ حِينَ يَسْتَيْقِظُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، ثُمَّ دَعَا رَبِّ اغْفِرْ لِي، غُفِرَ لَهُ»، قَالَ الْوَلِيدُ: أَوْ قَالَ: «دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»[(١)].

هذا الذكر من قاله من الليل عند أن يتعار من النوم فإن صلىٰ قُبِلَت صلاته، وإن دعا قَبُل دعاؤه، فهذا يدل علىٰ تعلق بالله.

وفِي حَدِيثِ النُّعْمَانِ بِنْ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ: التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ، أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ»[(٢)].

- **وأفضل، الذكر، قراءة القرآن**: ففي حديث أبي أمامه: «اقْرَءوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (١١٥٤)، وجاء عند الترمذي وأبو داود وغيرهما.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: (٣٨٠٩).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٥٢-(٨٠٤).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»[(١)].

سواءٌ قرأ من حفظه، أو قرأ بالنظر إلىٰ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- **وفي الأثر**: (وما تقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأحب مما خرج منه)[(٢)].

ولا يُقَدَّم عليه شيء إلا في أوقات الذكر المخصوصة، كالأوقات التي شرع النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها أذكار الصباح، وأذكار المساء، وأذكار الصلاة، ثم يأتي الإنسان بأذكار الصلاة، فإنها من أفضل القربات.

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً»[(٣)].

ومعنىٰ لا يخيب قائلهن أي لا تلحقه الخيبة، فـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ،

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: (١٤٦٤)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في "السنة".

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: (٥٩٦).

حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[(١)].

وغير ذلك كثير أذكار الصباح، والمساء:

- منها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»[(٢)].

- وهكذا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ..»[(٣)].

والكلام عن الذكر يطول، وختم به المصنف هذا الكتاب، كقوله بأن الذكر ينبغي أن يكون آخر ما يُخْتَم به المجالس وما تُختم به الكتب وما تُختَم به الحياة ولهذا كان من أفضل الذكر: لا إله إلا الله وقد أمر النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩١).

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: (٢٦٩٢).

(٣) تقدم تخريجه.

بتلقينها الميت فقال: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ»[١]، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَجَاءَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنَحْوِهِ: «لَقِّنُوا هَلْكَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ».

وَقَد لَقَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا مِنَ اليَهُودِ كَانَ يَخدُمُه فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَالَ: «أَسلِم» فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَالَ لَه: أَطِع أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمدُ لِلَّهِ الذِي أَنقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[٢].

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ رَجُلا مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ: «يَا خَالُ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ». قَالَ: خَالٌ أَمْ عَمٌّ ؟! قَالَ: «بَلْ خَالٌ»، قَالَ: وَخَيْرٌ لِي أَنْ أَقُولَهَا ؟! قَالَ: «نَعَمْ»[٣].

ودخل علىٰ عمه أبي طالب وهو في سياقة الموت: «أَيْ عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَهَا وَقَالَ هُوَ عَلَىٰ دِيْنِ عَبْد المُطَّلِبِ[٤].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: (٩١٧).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٣٥٦).

(٣) أخرجه أحمد حديث رقم: (١٢٥٤٣).

(٤) أخرجه النسائي حديث رقم: (٢٠٣٥)، عن سعيد بن المسيب عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فآخر ما تُختَم به المجالس: ذكر الله ولهذا خَتَم البخاري كتابه بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»(١).

ويختم العلماء بما جاء في حديث عائشة وغيرها: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ،لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(٢).

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٠٦).

(٢) أخرجه بو داود حديث رقم: (٤٨٥٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخاتمة

وبهذا نكون قد انتهينا من كتاب الأربعين النووية مع ما أُضيف إليه من تتمة الخمسين لابن رجب الحنبلي.

- **وكتاب الأربعين النووية** كما تقدم جُل أحاديثه صحيحة، بل كل أحاديثه من حيث المعاني صحيحة، ومجموع ما أخرج الشيخان، في الأربعين تسعة وعشرون حديثًا، وأما في الخمسين أربعة وثلاثين حديثًا، فهذا يدل علىٰ أن ثُلُثَيّ الكتاب من "الصحيحين" وبقية الأحاديث من "السنن".

وربما خرج إلىٰ غيرها قليلًا وكله صحيح إلا بعض الأحاديث ضُعِّفَت من حيث السند، الأول حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»، **فالصحيح**: أنه مُرسَل، عن علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ.

وثانيها: حديث سَهلِ بن سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُلَّني عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأَحبَّني النَاسُ؟ فَقَالَ: «ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».

والصحيح: أن فيه شِبه وَضَّاع وهو خالد بن عَمْر الْقُرَشِي اتهم بالكذب، وهكذا حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ.

فالصحيح: أنه ضعيف، وربما ذُكِرَ الإجماع أو قارَب في ذلك.

- **وهكذا** حديث عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ»، فيه: نعيم بن حَمَّاد وغير ذلك من العلل.

- **وهكذا** عند ابن رجب حديث: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ،وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»، مع أن بعض أهل العلم يحكم عليه بالصحة.

فالكتاب في الجملة من أحسن الكتب المصنفة.

- **وشرَحه** ابن رجب في كتابه "جامع العلوم والحِكَم"، فلو تنافس فيه طلاب العلم، والعوام حفظًا وعملًا ودعوةً لصار كتابًا، نافعًا، مفيدًا والحمد لله رب العالمين.

"سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ،لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"

الفهرس

مُقَدِّمَةِ شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّة ١
تَرْجَمَةٌ مُخْتَصَرَة لِلنَّوَوِيِّ -رحمه الله- ١٠
مُقَدِّمْة العلامَة النَّوَوِيُّ ١٢
الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ ٢١
«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ» ٢١
الحَدِيثُ الثَّانِي ٣١
مَجِيء جِبْرِيل لِتَعْلِيمِ النَّاسِ دِينهمْ ٣١
الحديث الثالث ٦٩
بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ ٦٩
الحديث الرابع ٧٩
«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ..» ٧٩
الحديث الخامس ٩٦
«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا ..» ٩٦
الحديث السادس ١٠٨
«إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ..» ١٠٨

الحديث السابع ١١٨
«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ١١٨
الحديث الثامن..... ١٣٠
«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ..»..... ١٣٠
الحديث التاسع ١٣٨
«مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ..» ١٣٨
الحديث العاشر..... ١٥٠
«إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا» ١٥٠
الحديث الحادي عشر..... ١٦١
«دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَىٰ مَا لاَ يَرِيْبُكَ» ١٦١
الحديث الثاني عشر ١٦٥
«مِنْ حُسْن إِسْلَام المَرء تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ» ١٦٥
الحديث الثالث عشر..... ١٦٨
«لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ ..» ١٦٨
الحديث الرابع عشر..... ١٧٥
«لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَىٰ ثَلاثٍ»..... ١٧٥

الحديث الخامس عشر..... ٢٢١
«مَنْ كانَ يُؤْمِن باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُل خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ..» ٢٢١
الحديث السادس عشر..... ٢٣١
«لا تَغْضَبْ» ٢٣١
الحديث السابع عشر..... ٢٤١
«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ..» ٢٤١
الحديث الثامن عشر ٢٥٢
« اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ..» ٢٥٢
الحديث التاسع عشر..... ٢٦٦
«احْفَظِ اللهَ يَحفَظك»..... ٢٦٦
الحديث العشرون..... ٢٩٧
«إِذا لَم تَستَحْيِ فاصْنَعْ مَا شِئتَ» ٢٩٧
الحديث الحادي والعشرون..... ٣٠٦
«قُلْ لِيْ فِي الإِسْلامِ قَوْلًا..» ٣٠٦
الحديث الثاني والعشرون ٣١٦
« أَرَأَيتَ إِذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَاتِ ..» ٣١٦

الحديث الثالث والعشرون.....٣٢٧
« الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ..».....٣٢٧
الحديث الرابع والعشرون.....٣٤٢
« يَا عِبَادِيْ إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِيْ..».....٣٤٢
الحديث الخامس والعشرون.....٣٥٩
«ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بِالأُجورِ».....٣٥٩
الحديث السادس والعشرون.....٣٧٢
« كُلُّ سُلامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ..».....٣٧٢
الحديث السابع والعشرون.....٣٨٥
« الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ..».....٣٨٥
الحديث الثامن والعشرون.....٣٩٥
« وَعَظَنا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ ..».....٣٩٥
الحديث التاسع والعشرون.....٤١٣
«أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ؟».....٤١٣
الحديث الثلاثون.....٤٣٧
«إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا..».....٤٣٧

الحديث الحادي والثلاثون ٤٤٧
«ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ..» ٤٤٧
الحديث الثاني والثلاثون ٤٦٠
«لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ..» ٤٦٠
الحديث الثالث والثلاثون..... ٤٦٨
«الْبَيِّنَةَ عَلَىٰ الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ..» ٤٦٨
الحديث الرابع والثلاثون ٤٧٨
«مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ..»..... ٤٧٨
الحديث الخامس والثلاثون..... ٤٩٥
« المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمُ..» ٤٩٥
الحديث السادس والثلاثون ٥٠٨
«مِنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا..» ٥٠٨
الحديث السابع والثلاثون..... ٥٢٥
«إِنَّ الله جَلَّ جَلالُهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ..»..... ٥٢٥
الحديث الثامن والثلاثون ٥٣٧
«مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ..» ٥٣٧

الحديث التاسع والثلاثون..... ٥٥٤
«إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي..» ٥٥٤
الحديث الأربعون ٥٦٣
«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ..» ٥٦٣
الحديث الحادي والأربعون..... ٥٧٤
« لَا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّىٰ يَكُون هَوَاهُ..» ٥٧٤
الحديث الثاني والأربعون ٥٨١
«يَا ابْنَ آَدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِيْ..» ٥٨١
الحديث الثالث والأربعون ٦٠٢
«أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا..» ٦٠٢
الحديث الرابع والأربعون..... ٦٠٧
« الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلاَدَةُ» ٦٠٧
الحديث الخامس والأربعون..... ٦١٣
« إِنَّ اللهَ وَرَسُولُهُ حَرَّمَ بِيعَ الخَمْرُ، وَالمَيِّتَةُ..» ٦١٣
الحديث السادس والأربعون..... ٦٢٩
« كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَام»..... ٦٢٩

الحديث السابع والأربعون..... ٦٣٦
«مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ..»..... ٦٣٦
الحديث الثامن والأربعون ٦٤٤
«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا..»..... ٦٤٤
الحديث التاسع والأربعون..... ٦٥٦
«لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ..»..... ٦٥٦
الحديث الخمسون..... ٦٦٦
«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»..... ٦٦٦
الخاتمة..... ٦٨٣
الفهرس ٦٨٥